المسلمون الصينيون

- أسئلة وأجوبة -

الكتب الاسلامية فى الصين

اهداءات ٢٠٠١
صيدلى/ حسن سعد الدين حجازى
الإسكندرية

المسلمون الصينيون

ـ أسئلة وأجوبة ـ

اعداد : شيو يوان

دار النشر باللغات الاجنبية بكين

الطبعة الاولى . . . . . . عام ١٩٩١

٢٤ شارع باى وان تشوانغ
بكين — الصين
الرمز البريدى ١٠٠٠٣٧

ISBN 7—119—01370—X

طبع فى جمهورية الصين الشعبية

الفهرس

المسلمون الصينيون

ــاسئلة واجوبةــ

١ ــ متى وصل الاسلام الى الصين ؟ وكيف وصل ؟

تختلف الآراء فى تحديد تاريخ وصول الاسلام الى الصين نظرا لنقص المعلومات التاريخية الدقيقة . ولكن ثمة رأيان اكثر شيوعا من غيرهما عن تاريخ وصول او دخول الاسلام الى الصين . الرأى الاول يعتبر اول زيارة لسفارة عربية للصين عام ٦٥١ (العام الثانى من حكم الامبراطور يونغ هوى فى اسرة تانغ) رمزا لوصول او دخول الاسلام الى الصين . والرأى الثانى يقسم دخول الاسلام الى الصين الى مرحلتين : الاولى من اوائل عهد اسرة تانغ (٦١٨ ــ ٩٠٧) الى عهد اسرة سونغ (٩٦٠ ــ ١٢٧٩) . والثانية دخول الاسلام الى الصين على نطاق واسع فى عهد اسرة يوان (١٢٧١ ــ ١٣٦٨) .

وصل الاسلام الى الصين عن طريقين ، هما طريق البخور البحرى المنطلق من المناطق الساحلية فى جنوب شرقى الصين ، وطريق الحرير البرى المنطلق من شمال غربى الصين . غير ان بعض العلماء اشار فى السنوات الاخيرة الى احتمال وجود طريق آخر سلكه الاسلام في الوصول الى الصين فى المنطقة الحدودية بين مقاطعة يوننان الصينية وبورما . وقد جاء الى الصين عن هذه الطرق السالفة الذكر مسلمون عرب وفرس ومسلمون من وسط آسيا حاملين معهم دين الاسلام .

كان المسلمون الذين يقدمون الى الصين فى عهد اسرة تانغ يتمركزون دائما فى حى بالمدينة التى يصلون اليها يطلق عليه اسم " فاتفانغ " (حى الاجانب) ، يقام فيها مسجد ومقبرة . كان حكام اسرة تانغ يحترمون دينهم ويسمحون بالتبشير له فى الصين . وبتعامل هؤلاء المسلمين الاجانب مع الصينيين امدا طويلا كان من الطبيعى ان تنتقل افكارهم الدينية بين الصينيين . علاوة على ذلك كان من بين المسلمين الاجانب عدد غير قليل من غير المتزوجين ، فتزوجوا من صينيات ، ورزقوا بنين وبنات (اطلق على ذرارهم لقب " فانكه المحليون ") . وظهر فى عهد اسرة سونغ " فانكه " من الجيل الخامس . وهذا ان دل على شىء ، فانما يدل على ازدياد عدد الاجانب المقيمين فى الصين يوما بعد يوم ، ومن ثم نشأ جسر ينشر الدين الاسلامى بصورة طبيعية عن طريق التزاوج والمصاهرة وعن طريق العلاقات الاجتماعية الاخرى .

شهد انتشار الاسلام فى عهد اسرة سونغ تطورا جياشا عن طريق التجارة البحرية ، لا سيما ان اسرة سونغ شجعت التجارة الخارجية . فقد نشأت علاقات تجارية بين اسرة سونغ الشمالية (٩٦٠ — ١١٢٧) وبضعة عشر بلدا . وكان التجار العرب فى مقدمة الوافدين الى الصين . اما فى عهد اسرة سونغ الجنوبية (١١٢٧ — ١٢٧٩) فقد بلغت التجارة البحرية الصينية ذروة ازدهارها ، اذ نسجت الصين علاقات تجارية مع اكثر من ٥٠ بلدا ومنطقة ، وكان التجار العرب يحتلون مكانة هامة . وكان معظمهم من المسلمين ، مما ادى دون شك الى انتشار الاسلام وتطوره فى الصين .

فى عهد اسرة سونغ لم يزدد عدد المسلمين الصينيين فحسب ، بل شكلوا قوة لا يستهان بها ، تركت آثارها وسجلت مآثرها فى مجالات السياسة والثقافة والاقتصاد .

ومع اقامة امبراطورية يوان انفتحت المناطق الواقعة على الحدود الغربية والشمالية من الصين ، واصبحت المواصلات البرية اسهل حالا مما كانت عليه . فجاء عرب وفرس ومسلمون من وسط آسيا الى الصين بأعداد كبيرة ، وانتشروا فى انحاء الصين ، وتعايشوا مع ابناء قومية هان والويغور ومنغوليا . ولم تقتصر اقامتهم على المناطق الحدودية شمال غربى الصين ، بل وصلوا الى الموانئ التجارية فى المناطق الساحلية واعماق الصين مثل ممر غربى النهر الاصفر ومقاطعة شنشى وخنان وشاندونغ ويوننان ، واستقروا فى المناطق الخصيبة والسهلة المواصلات .

كانت غالبية المسلمين الذين جاءوا الى الصين فى عهد اسرة يوان من الجنود واصحاب الحرف الذين يخدمون فى الجيش . وقد اتجهوا الى الشرق مع الجيش المنغولى دون اصطحاب زوجاتهم ، وتنقلوا فى ميادين الحرب نحو الشمال والجنوب . وبعد وصولهم الى الصين اختاروا لأنفسهم ازواجا ، فأخذ عدد المتزوجين من صينيات يزداد ازديادا مطردا . كما سجل عدد غير قليل من المسلمين الذين جاءوا الى الصين فى عهد اسرتى تانغ وسونغ مآثر عسكرية باهرة ، فأحرزوا مكانة اجتماعية رفيعة ، واتخذوا الصين موطنا ثانيا لهم ، وتحولوا من مغتربين الى مقيمين دائمين فى بلاد الصين .

شهد انتشار الاسلام فى الصين فترة ازدهار فى عهد اسرة يوان لكثرة عدد المسلمين الذين انتقلوا الى الصين . وقد اصدر حكام اسرة يوان مراسيم لحماية علماء الاسلام ، فتمتع هؤلاء العلماء بامتيازات منها الاعفاء من دفع الضريبة وتأدية اعمال السخرة . وقد اعتنق عدد من الامراء وكبار القوم دين الاسلام ، واصبحت تلاوة القرآن الكريم امرا طبيعيا . وفى نفس الوقت اخذت تظهر فى الصين مساجد جديدة ، وتوسع مساجد قديمة او يعاد ترميمها . ومن بين هذه المساجد مسجد تشينغجياو (دين الحق) فى مدينة تشانغآن

ومسجد شوايشنغ (الحنين الى النبي) في قوانغتشو ومسجد تشينغجينغ (دين الصفاء) في مدينة تشيوانتشو (مدينة الزيتون) ومسجد فنغهوانغ (العنقاء) في مدينة هانغتشو ومسجد دينغتشو في دينغتشو ومسجد دانانمن في مدينة كونمينغ .. الخ .

كان وصول الاسلام الى الصين وانتشاره خميرة لنشوء قومية صينية جديدة هي قومية هوى فانتشار ابناء قومية هوى في مختلف ارجاء الصين في عهد اسرة يوان يرمز بصورة اساسية الى دخول الاسلام الى بلاد الصين ، كما انه وضع اساسا متينا لتكوين قومية هوى .

يمكننا ان نعتبر تاريخ دخول الاسلام الى منطقة شينجيانغ جزءا من تاريخ دخول الاسلام الى الصين ، وذلك في الفترة ما بين نهاية القرن العاشر واوائل القرن الحادى عشر . كان شاترك بوراخان في اسرة قلاخان اول من اعتنق الاسلام من بين حكام ابناء قومية هويخه ، وهو في الوقت نفسه اول من نشر الاسلام بين ابناء قومية الويغور . بدأ الاسلام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ينتقل تدريجيا من الغرب الى الشرق ، ويتطور من منطقة كاشغر وخوديان الى منطقة آكسو وكوتشار .. الخ ، مما ادى الى وجود منطقة واسعة مأهولة بالمسلمين . اما في الفترة ما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، فتعايش المسلمون مع ابناء القوميات الاخرى واختلطوا معا في منطقة اورومتشي وتوربان وولاية قرا النارية والمناطق المجاورة لها . وفي القرن الخامس عشر اعتنق حسن امير ولاية قرا النارية دين الاسلام . وظهر في ثلاثينات القرن الخامس عشر المعتنقون لدين الاسلام من بين ابناء قومية منغوليا الذين كانوا يتولون منطقة هامى آنذاك . وفي اواخر القرن الخامس عشر اصبح اهل بلاط توربان الملكى كلهم من المسلمين . وفي اوائل القرن السادس عشر اعتنق بيا حاكم منطقة هامى بعد هالى حاكمها السابق (١٤٣٩ — ١٤٥٧) الاسلام

ايضا ، وكان لذلك تأثير هام فى انتشار الاسلام . وفى القرن الثامن عشر وبعد ان عزز الامبراطور تشيان لونغ فى اسرة تشينغ (١٦٤٤ — ١٩١١) حكمه ، سنحت الفرصة لتطور ورسوخ قوة الاسلام فى شمالى شينجيانغ . وفى اوائل القرن العشرين اصبحت المناطق شمالى شينجيانغ مأهولة بالمسلمين .

وجملة القول انه منذ اكثر من ١٣٠٠ سنة ، من القرن السابع الى القرن العشرين ، اخذت جذور الاسلام تتأصل فى الصين ، فدخلت فيه قومية هوى وقومية الويغور وغيرهما من القوميات الثمانى .

اكتسبت علوم الاسلام فى بلاد الصين بعض الخصائص الاجتماعية الصينية عبر مدة طويلة من التطور منذ دخل الصين ورسخ فيها . واولى تلك الخصائص هى الجمع بين علوم الاسلام ونظام المجتمع الاقطاعى فى الصين ، مما ادى الى ظهور نظام "جياوفانغ" فيما بعد ونظام "منهوان" (سيأتى التعريف الخاص بهما) فى الصين . والخاصة الثانية هى نوع من علم "الكلام" فى الوسط الفكرى ، اى انه فلسفة دينية تشرح جوهر تعاليم الاسلام بالافكار الكنفوشية . وقد ورد فى كتاب « الاديان العالمية الثلاثة فى الصين » " ان المجتمع الصينى القديم قد تشكل نظامه الاقطاعى المتكامل الناضج والافكار التى تتناسب معه بعد تطور طويل الامد . وهذا يختلف عما فى البلدان الاسلامية الاخرى . " و" ان الاسلام بعد ان دخل الصين كان لا بد لتعاليمه ، اذا ما ارادت ان تعيش فى ارض الصين وتتطور فيها ، من ان تميل الى الافكار الكنفوشية التى كانت تحتل المكانة القيادية فى المجتمع الاقطاعى الصينى . فجرى هذا الجمع خلال حقبة زمنية طويلة ، واشرف على الاكتمال فى الفترة ما بين اسرتى مينغ وتشينغ . وكانت علامة اكتمال هذا الجمع ظهور التعليم المسجدى لتعاليم الاسلام ، وما تشكل بعد ذلك من نشاطات تمثلت فى ترجمة الكتب الدينية الكبيرة الحجم فى

اواخر اسرة مينغ واوائل اسرة تشينغ . " (سيرد التعريف بذلك) و" الامر الذى كون للاسلام فى الصين لونا خاصا من حيث النظريات الدينية . وقد تأثرت علوم الاسلام بالمفاهيم والافكار الكنفوشية والبوذية والطاوية . وبذلك تم الجمع بين تعاليم الاسلام وبين الافكار التقليدية الصينية التى تتخذ الافكار الكنفوشية معتقدا دينيا رئيسيا . " و" اضافة الى ذلك اكتسب الاسلام فى الصين ميزات محلية غير قليلة فى مجال المعمار المسجدى والاعياد الدينية والعادات والتقاليد الدينية . "

٢ — كم عدد المسلمين فى الصين ؟

لم يجر احصاء دقيق لعدد المسلمين فى الصين قبل عام ١٩٤٩ — عام تأسيس الصين الجديدة . لقد ورد فى « حوليات الصين » الصادر عن دار الشؤون التجارية للنشر فى الصين عام ١٩٣٥ ان فى الصين نحو ٥٠ مليون مسلم . وهناك من قال كان فى الصين ٨٠ مليون مسلم فى تلك الفترة . وظل هذان الرقمان كثيرى التداول فى العالم .

اذن كم عدد المسلمين فى الصين بالضبط ؟ اذا اردنا الجواب عن هذا السؤال ، فلا بد من ان ننظر الى تكوين القوميات فى الصين .

الصين دولة متعددة القوميات ، تتعايش فيها ٥٦ قومية مثل قومية هان ومنشوريا ومنغوليا وهوى والتبت وتشوانغ ومياو وييى .. الخ . ويشكل تعداد قومية هان ٩٤٪ من ابناء الشعب الصينى ، بينما يشكل تعداد القوميات الاخرى التى تسمى بالاقليات القومية فى الصين ٦٪ . ومن بين هذه القوميات الستة والخمسين ١٠ قوميات تعتنق الاسلام ، هى قومية هوى (اكثر من ٨ر٦ ملايين نسمة) وقومية الويغور (٢١ر٧ ملايين نسمة) وقومية القازاق (اكثر من ١١ر١ مليون نسمة) وقومية دونغشيانغ (٣٧٤ الف نسمة) وقومية القرغيز

(١٤٢ الف نسمة) وقومية سالار (اكثر من ٨٨ الف نسمة) وقومية الطاجيك (اكثر من ٣٤ الف نسمة) وقومية الاوزبك (٥ر١٤ الف نسمة) وقومية باوآن (اكثر من ١٢ الف نسمة) وقومية التتار (اكثر من ٨ر٤ آلاف نسمة). ومجموع عدد ابناء هذه القوميات اكثر من ٥٩٧ر١٧ مليون نسمة . وهذا الرقم رقم موثوق به لأنه جاء نتيجة الاحصاء السكانى العام الرابع الذى اجرى فى الصين عام ١٩٩٠ . ان قومية هوى اكبر قومية مسلمة من حيث تعداد سكانها فى الصين ، وقد ازداد سكانها ٦ر٦٠٪ فى الفترة ما بين عامى ١٩٦٤ و١٩٨٢ . وتعد قومية سالار اسرع قومية مسلمة فى التزايد السكانى . ونسبة التزايد لدى قومية الويغور ٥٠٪ .

ومن الضرورى ان نشير هنا الى ان هناك مسلمين لا ينتمون الى القوميات العشر السابقة الذكر . وعددهم ليس كبيرا ، غير ان وجودهم حقيقة لا مراء فيها . اما الرقم المعتمد حاليا فهو ٥٩٧ر١٧ مليون نسمة . ولو اعتبرنا احصاء عدد المسلمين فى انحاء العالم الذى قامت به « دائرة المعارف البريطانية » والذى يقول ان عدد المسلمين فى العالم ٤٠٠ر٣٣٥ر٥٨٧ نسمة مقياسا ، لوجدنا ان عدد المسلمين الصينيين يشكل ١ر٤٪ من عدد المسلمين فى آسيا ، بينما يشكل ٩ر٢٪ من عدد المسلمين فى العالم كله . وذلك ان دل على شيء ، فهو يدل على ان المسلمين الصينيين جزء لا يتجزأ من المسلمين فى العالم .

تنتشر القوميات المسلمة الصينية فى منطقتى شينجيانغ ونينغشيا ومقاطعات قانسو وتشينغهاى وشنشى بصورة رئيسية . وانتشار ابناء قومية هوى واسع نسبيا ، حيث ينتشرون فى مدينة بكين ومقاطعة خبى ولياونينغ وآنهوى وشاندونغ وخنان ويوننان بأعداد كبيرة اضافة الى المناطق السابقة الذكر . اما فى المناطق والمقاطعات الخمس السابقة الذكر فكثافة السكان المسلمين قليلة ،

ذلك لأن مساحتها شاسعة . ولكن السكان المسلمين يحتلون نسبة معينة فى مناطقهم حتى ان بعض القوميات المسلمة يحتل نسبة كبيرة نوعا ما . فالمسلمون فى منطقة شينجيانغ مثلا يشكلون ٥٩٫٦٪ من سكانها .

٣ – كيف نشأت القوميات الصينية المسلمة ؟

لكل قومية تاريخ نشوئها وتطورها ، ولها ايضا مصدر يمكن الرجوع اليه .

الويغور لقب يطلقه ابناء قومية الويغور على انفسهم ، وكلمة الويغور معناها الوحدة والاتحاد . بالنسبة الى مصدر قومية الويغور فالرأى الشائع نسبيا انه يرجع الى قومية دينغلينغ فى اسرة هان (٢٠٦ ق . م – ٢٢٠م) ، والى قومية هويخه فى اسرة تانغ (٦١٨ – ٩٠٧) . وثمة رأى يقول ان مصدرها يتعلق بقبائل الهون .

اما الرأى الشائع فيقول ان اجداد قومية الويغور قد تحولوا الى اهل هويخه بعد امتزاجهم مع اهل دينغلينغ واهل تشيله الذين شهدوا تحولات فى نشوئهم فى اوائل القرن السادس الميلادى ، ثم تحول اسم هويخه الى هويهو . وفى اواسط القرن التاسع الميلادى تعرض اهالى هويخه للابادة فانتقلوا الى الغرب فى ثلاثة فروع ، انتقل احدها الى حوض توربان فسمى هويهو قاوتشانغ . وهاجر الفرع الثانى الى غرب جبل تسونغلينغ ، وهم هويهو تسونغلينغ . بينما انتقل معظمهم الى المنطقة الغربية اى منطقة شينجيانغ الحالية ، فكونوا قومية الويغور بعد مدة طويلة من الامتزاج بينهم وبين الاقوام الذين يتكلمون اللغة التركية ولهجة يانبنغ ولهجة تشيوتسى ولهجة يويتيان والهانيين فى المنطقة الغربية واقوام تشيدان والمنغول وتوربان الذين انتقلوا الى المنطقة الغربية من

ديارهم الاصلية . فاعتبرت هذه الفترة فترة مهمة لتكوين ونشوء قومية الويغور .

لقومية القازاق تاريخ عريق ، والسجلات الصينية المتعلقة بذلك كثيرة . كان اجداد قومية القازاق هم ووسون وسايتشونغ ويويتشى .. الخ فى عهد اسرة هان الغربية (٢٠٦ ق . م — ٢٥ م) . وفى اواسط القرن السادس الميلادى اسس الاتراك مملكة خان التركية ، فامتزج بعض الاتراك مع اهالى ووسون . وفى الفترة ما بين القرنين العاشر والثالث عشر حدث ان امتزج اجداد القازاق مع هويهو وتشيدان والمنغول ، فتكونت منهم قومية القازاق .

كلمة القازاق معناها اللاجئ او الهارب ، غير ان شروح المؤرخين لها مختلفة . واهم شرح يقول ان اجداد قومية القازاق قد انتقلوا الى الغرب مضطرين فى سبيل معارضة فتوحات جنكيزخان الغربية ، ثم انتقلوا الى الشرق معارضين اضطهاد اوزبك خان ، لذلك لقبت بالقازاق .

القرغيز لقب تتسمى به قومية القرغيز ، ومعناها " القبائل الاربعون " او " الفتيات الاربعون " او " القاطنون فى المروج " .

وثمة اسطورة مشهورة عن القرغيز تقول انه كان فى العهود الغابرة ملك له ٤٠ بنتا . وبدافع الفضول لمست هؤلاء البنات الاربعون الماء الجارى الذى تختفى فيه روح مظلومة تطالب العدالة فى احد احواض المياه ، فحملت كل منهن بعد فترة وجيزة . فثار ثائر الملك وطردهن الى خارج حدود مملكته . فلم يجدن بدا من ان يتجهن الى المناطق الجبلية والريفية . وانجبن هناك اولادا وبنات وربينهم . فتكونت بعد تكاثر الذرارى قومية القرغيز التى ربطت ذكرى نشوئها بهذه الاسطورة الجميلة المعبرة عن مشاعرهم القومية المتمثلة فى التطلع الى الحرية والسعادة .

لكن تاريخ قومية القرغيز ليس فى الواقع اسطورة . فقد ورد فى المدونات التاريخية ان اسلاف قومية القرغيز تنقلوا بين المناطق الواقعة فى مجرى نهر

ينيساى الاعلى طلبا للكلأ . وقد خضعوا لسيطرة الهون فى الفترة ما بين القرنين الاول والثانى قبل الميلاد . ثم اتجهوا الى منطقة جبال تيانشان ، وامتزجوا هناك مع بعض القوميات المحلية التى تتكلم اللغة التركية والمنغولية . فتكونت من ذلك تدريجيا قومية القرغيز فى عهد اسرة مينغ (١٣٦٨ — ١٦٤٤).. اما فى عهد اسرة تشينغ (١٦٤٤ — ١٩١١) فسميت بـ "بوروت" (معناها فى لهجة تشونقار الرعاة فى الجبال الشاهقة) . ثم سميت بالقرغيز رسميا بعد ثورة ١٩١١ فى الصين .

اما فى هضبة البامير — سقف العالم — فتقطن قومية الطاجيك التى تتصف بالشجاعة والحماسة منذ قديم الزمان . وهناك من قال ان ابناء قومية الطاجيك يعيشون فوق السحاب نظرا لارتفاع الهضبة . والواقع انها نشأت وتطورت عبر مراحل التاريخ . وتاريخ اسلاف الطاجيك يعود الى قبائل كانت تتكلم اللغة الفارسية وتقطن شرقى البامير فى العصور القديمة . وقد ورد فى السجلات التاريخية الصينية ان هذه القبائل سميت بقوم جيبانتوه فى عهد اسرة تانغ ، وسميت بقوم سيلكور فى فترة اسرتى سونغ ويوان . وكانت القبائل الرعوية التركية تسمى ابناء القبائل التى تنطق باللغة الفارسية وتعتنق الاسلام فى وسط آسيا "الطاجيك" . ثم تحولت "الطاجيك" الى لقب قومى لأبناء هذه المنطقة تدريجيا . وابناء الطاجيك فى منطقة شينجيانغ وابناء الطاجيك الذين انتقلوا من غربى البامير الى الشرق واستقروا فى تاشكورقان وما حولها هم اجداد الطاجيك الصينيين . والطاجيك لقب يطلقه ابناء قومية الطاجيك على انفسهم ومعناها "التاج" .

وكلمة "التتار" لقب لقومية التتار ، وتحمل عدة ترجمات صوتية ، منها "تادان" و"دادا" و"دادان" . ظهرت "دادان" اول ما ظهرت فى عهد اسرة تانغ . وكانت من القبائل الرعوية فى شمالى الصين تحت حكم

مملكة خان التركية . وبعد ان بادت هذه المملكة ازدادت قوة " دادان " تدريجيا ، واصبحت لقبا عاما لكل القبائل الشمالية ، وضمها المنغول اليهم فيما بعد . وكانت ثمة علاقة تاريخية عميقة بين المنغول وداداان حيث نهضت مملكة كاشان خان فى القرن الخامس عشر . ادعى ابناء هذه المملكة من اجل التباهى بأنفسهم انهم قوم التتار من سلالة المنغول . فتكونت قومية التتار ابتداء من ذلك التاريخ من قوم باوجيار وقوم تشينتشاك والمنغول عن طريق الامتزاج والتطور . ولما اشتد حكم روسيا القيصرية فى القرن التاسع عشر ، اضطر ابناء التتار فى مجارى نهر الفوالجا ونهر كاما الى الهرب والتشرد فى مختلف المناطق ، فنزح بعضهم الى وسط آسيا متجها الى الجنوب ، ثم دخل جنوب شينجيانغ مارا بتاشكورقان . وحتى بداية القرن العشرين كان كثير من التتار ما زالوا يدخلون الى شينجيانغ فرارا من روسيا .

ولقب قومية الاوزبك يعود تاريخه الى اوزبك خان لمملكة تشينتشاك خان فى القرن الرابع عشر . تفككت هذه المملكة فى القرن الخامس عشر ، وانتقل بعض سكانها الى خارجها . ومن بقى من الرعاة من مختلف المصادر سموا بالاوزبك . ثم دخلوا وسط آسيا فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر وامتزجوا بالسكان المحليين . لقد جاء اجداد الاوزبك الى منطقة شينجيانغ الصينية من وسط آسيا فى وقت مبكر ، وازداد عددهم تدريجيا فى خمسينات القرن الثامن عشر خاصة . وظل اناس منهم الى القرن العشرين يدخلون شينجيانغ ويستقرون فيها .

وبالنسبة لقومية سالار فقد هاجر اجدادها من سمرقند فى وسط آسيا الى منطقة شونهوا شرقى تشينغهاى الصينية ، واستقروا فيها بعد تنقلات شاقة ، ثم امتزجوا بأبناء قومية التبت وهوى وهان القاطنة فى المناطق حولها ، فتشكلت قومية سالار .

أما قومية باوآن فقد تكونت تدريجيا من المسلمين المنغول الذين كانوا جنودا مرابطين يزاولون الاعمال الرعوية فى منطقة تونغرن بتشينغهاى فى عهد اسرتى يوان ومينغ بعد مدة طويلة من تعاملهم مع ابناء قومية هوى وهان والتبت وتو .

وبالنسبة لمصدر قومية دونغشيانغ لم نعثر بعد على تسجيلات تاريخية مباشرة وكاملة . غير ان ثمة آراء مختلفة حول بعض المعلومات القليلة المتناثرة والحكايات غير الكاملة . فأحدها يقول انها منحدرة من قومية المنغول ، ورأى آخر يقول انها نتيجة امتزاج قومية هوى والمنغول والتبت وهان .

كيف تكونت قومية هوى ؟

تعد قومية هوى اكبر قومية مسلمة من حيث تعداد السكان من بين القوميات المسلمة فى الصين . كما تعد قومية كبيرة نسبيا من حيث تعداد السكان بين القوميات الست والخمسين فى الصين ، لأنها اكتسبت فى مجرى تكونها وتطورها خصائص متميزة عن القوميات الاخرى ، فلفت تاريخها انظار الناس .

قومية هوى لقب مختصر لقومية هوى — هوى . ويسمى ابناء قومية هوى فى شمالى الصين انفسهم ابناء هوى او ابناء "مو" لتمييزهم عن ابناء قومية هان ولاظهار انهم من المسلمين . وقومية هوى تكونت من عناصر قومية متعددة داخل الصين وخارجها عبر ازمان طويلة . ودخول الاسلام الى الصين لعب دورا هاما فى تكوين هذه القومية وتطورها .

بدأ الاسلام يدخل الى الصين فى اواسط القرن السابع . فقد جاء الى الصين التجار العرب والفرس ، واستقروا فى قوانغتشو وتشيوانتشو وهانغتشو ويانغتشو .. الخ ، وتزوجوا من صينيات وانجبوا وكثرت ذراريهم . وبعد تطور استغرق ٥٠٠ — ٦٠٠ سنة اصبحوا جزءا من تكوين قومية هوى .

وسمي المكان الذى كانوا يتجمعون فيه " فانفانغ" او " فانشيانغ" (حى الاجانب) ، وسمي ابناؤهم " فانكه" المحليين . وفى عهد الامبراطور هوى تسونغ (١١٠١ – ١١٢٥) فى اسرة سونغ الشمالية ظهر عدد كبير من " فانكه" المحليين من الجيل الخامس . وان عددا غير قليل من التجار المسلمين الذين جاءوا الى الصين لم يعودوا الى موطنهم ، فاستقروا فيها ، وواراهم ترابها . والمصدر الرئيسى لقومية هوى هم ابناء عدة قوميات من وسط آسيا وفرس وعرب انتقلوا مضطرين الى الشرق مع جيش المنغول علاوة على التجار الذين قدموا الى الصين . كان عدد هؤلاء الناس كبيرا وعناصرهم معقدة ، فانتشروا فى انحاء الصين جنودا مرابطين ومزارعين فى آن معا او حرفيين او تجارا او علماء او مسؤولين حكوميين او رجال دين . كانوا مسلمين وسموا " هوى – هوى" فى الوثائق الرسمية فى عهد اسرة يوان .

ضم هؤلاء الناس الى جيش تانماتشى – الجيش المتكون من قبائل واقوام تابعين للمنغول – واشتركوا فى الحرب التى شنها كبار القوم من المغول للسيطرة على الصين ، فأرسلوا الى انحاء الصين للمرابطة والزراعة ، لذا لم يستطيعوا التجمع فى مدينة او منطقة واحدة او عدة مدن ومناطق . وبعد ان حققت اسرة يوان توحيد الصين سرحت جيش تانماتشى ليزاول افراده الزراعة فى الاماكن التى اقاموا بها بصفة فلاحين عاديين . كانت المناطق التى رابط فيها جنود هوى – هوى واسعة ، وبفضل اقامتهم الثابتة فيها تمكنوا من مزاولة الزراعة والاعمال الرعوية والحرف اليدوية والتجارة على نطاق ضيق ، وشكلوا حياة اقتصادية مشتركة تمارس فيها الزراعة بصورة رئيسية .

انتشر المسلمون الذين جاءوا الى الصين من الغرب بمعتقدهم الدينى ووعيهم الاجتماعى وبعاداتهم وتقاليدهم الاصلية . وبعد ان انتشروا فى ارجاء الصين واختلطوا بالقوميات الاخرى ، ونتيجة للاتصالات الوثيقة

اقتصاديا والمشاركة فى المصير السياسى والمعتقد الدينى ، تشكل لهم وعى قومى مشترك . لذلك يمكن القول بأن المسلمين الذين جاءوا الى الصين بعد اسرة تانغ وسونغ ويوان ، قادمين من بلاد العرب والفرس ومختلف دول وسط آسيا ، قد تأصلوا فى ارض الصين فى عهد اسرة يوان بعد اختلاطهم بمختلف القوميات الصينية والتصاهر معها . وتحولوا تدريجيا من مغتربين الى مقيمين دائمين ، ومن ضيوف الى مضيفين . فتعتبر هذه الفترة فترة انتقالية لتكوين قومية هوى — هوى .

وورد فى السجلات التاريخية انه فى عهد اسرة مينغ تشكلت مناطق رئيسية فى مقاطعتى قانسو وشنشى تجمع فيها ابناء هوى — هوى ، كما ظهر عدد غير قليل من المناطق السكنية لأبناء هوى — هوى فى يوننان وشمالى الصين وفى مناطق ضفتى القناة الكبرى الممتدة من بكين الى هانغتشو . وكان ابناء هوى — هوى يتصفون بخاصية الانتشار فى ارجاء الصين والتمركز فى مكان معين فى كل منطقة . فى عام ١٣٧٢ اصدر بلاط اسرة مينغ مراسيم تقضى بأن يسمح للمنغول وابناء القوميات القاطنة فى غربى الصين ان يتزوجوا من الصينيين بينما يمنع التزاوج فيما بينهم . لقد جعلت هذه المراسيم الزواج بين اجداد قومية هوى والهانيين شرعيا ، مما ساعد على ازدياد عدد ابناء هوى — هوى .

ظلت قومية هوى — هوى تكتسب عناصر من قوميات اخرى خلال نشوئها وتطورها . وثمة علاقة وثيقة يعود تاريخها الى امد بعيد بين قومية هوى وقومية الويغور ومنغوليا وهان بسبب العلاقة الاقتصادية والدينية والتزاوج فيما بينها .

وقد تكون كيان مشترك لأبناء هوى — هوى فى عهد اسرة مينغ الذى استمر ثلاثمئة سنة . وسبب ذلك يعود اولا الى ان ابناء هوى — هوى قد

حققوا توحيد لغتهم ، اى اتخذوا لغة الهان لغة لهم ، ويعود ثانيا الى ان لديهم الوعى القومى الموحد ، ويعود ثالثا الى ان تسمية ابناء هوى فى الوثائق الرسمية فى عهد اسرة مينغ اختلفت عما كانت عليه فى عهد اسرة يوان ، اى اختلفت من ناحية مضمون هذه التسمية . كان لقب هوى — هوى يشمل اقواما متنوعين فى عهد اسرة يوان . اما هوى — هوى فى عهد اسرة مينغ فأصبحت تعنى كتلة بشرية ولا تعنى اقواما متنوعين .

لقد بين التاريخ ان هناك علاقة وثيقة بين قومية هوى — هوى والاسلام . غير انهما ينتميان الى مفهومين مختلفين والى حيزين مختلفين ، ولكل منهما تاريخه المتميز الذى لا يقبل الخلط بينهما ابدا .

٤ — ما هى التطورات التى طرأت على تسميات الصين للاسلام ؟ وكيف ثبتت التسمية الاخيرة ؟

شهد الاسلام فى الصين تسميات متعددة تطورت عبر مراحل تاريخية طويلة بعد دخول الاسلام الى الصين الى ان غدت تسمية موحدة .

كانت الصين فى عهد اسرتى تانغ وسونغ تسمى بلاد العرب فى كتبها التاريخية " داشى " ، وتسمى دين الاسلام الذى اعتنقه العرب " مذهب داشى " . واول ما سجلته الكتب الصينية عن الاسلام هو كتاب « جينغ شينغ شوه » الذى يسمى الاسلام " مذهب داشى " .

ظهرت كلمة هوى — هوى اول ما ظهرت فى كتاب « منغ شى بى تان » الذى ألفه شن كوه (١٠٣١ — ١٠٩٥) فى عهد اسرة سونغ . اما فى عهد اسرة يوان فكانت تسمية المناطق العربية ومناطق وسط آسيا " ارض هوى — هوى" . ولأن عدد المسلمين الذين جاءوا الى الشرق كان كبيرا ، فقد حلت كلمة هوى — هوى محل " داشى" . ومع انتشار هوى — هوى

فى ارجاء الصين اخذت معتقداتهم الدينية وتقاليدهم وعاداتهم تلفت انظار الناس . وفى الوثائق الرسمية والمراسيم الامبراطورية ومختلف الكتب سمى الاسلام بمذهب هوى — هوى او دين هوى — هوى . وسمى المسجد بقاعة هوى — هوى ومعبد هوى — هوى ، كما سمى الامام برجل دين من هوى — هوى او معلم هوى — هوى الكبير ، وسمى التقويم الهجرى بتقويم هوى — هوى .

واصبحت التسميات السابقة الذكر موروثة فى عهد اسرة مينغ . وقد سمى الاسلام بدين هوى — هوى ، ثم اختصرت هذه التسمية الى دين هوى .

اما فى عهد اسرة تشينغ فسميت قومية الويغور ودونغشيانغ وسالار التى تعتنق الاسلام بـ " تشان هوى" و" دونغشيانغ هوى" و" سالار هوى" ، الامر الذى جعل بعض الناس يخلط بصورة خاطئة بين دين هوى وقومية هوى من ناحية التسمية . فهناك رأى يقول ان دين هوى وقومية هوى شيء واحد . كما اعتقد ابناء قومية هوى ان دين هوى هو قومية هوى ، وهوى — هوى دينهم . ومما لا شك فيه كان ثمة سبب موضوعى لهذا المفهوم الخاطئ ، ذلك ان قومية هوى كانت هى القومية الوحيدة المنتشرة فى ارجاء الصين على نطاق واسع ، بينما كان ابناؤها يتمركزون مجتمعون فى كل منطقة ، مختلفين فى ذلك عن سائر القوميات المسلمة الاخرى ، مما جعل غير المسلمين يعتقدون ان المسلمين كلهم من قومية هوى .

وكانت التسمية الشائعة نوعا ما ، ابتداء من عهد اسرة يوان الى فترة تأسيس الصين الجديدة ، هى دين هوى . بينما كان وجود تسميات اخرى مثل " دين تيانفانغ" (دين المناطق العربية) و" دين تيانفانغ المقدس" و" دين المنطقة الغربية" و" مذهب المنطقة الغربية الدينى" و" دين جينغ" (دين الصفاء) و" دين تشينغ جينغ" (دين النقاء والصفاء) و" دين

تشينغ تشن " (دين الصفاء والحق) و" دين السلام " و" الدين المقدس " و" الدين الحنيف" و" الدين الصغير" (سمى ابناء هان ابناء الدين الكبير ، وسمى ابناء قومية هوى انفسهم ابناء الدين الصغير) و" دين محمد " او " دين مو" اختصارا .

والتسميات السابقة الذكر لم تنتشر ولم تستخدم امدا طويلا . ولذلك اسباب منها ان عهد اسرة تشينغ شهد عددا كبيرا من علماء الدراسات الاسلامية، ألفوا كمية كبيرة من الكتب مثل « المعلومات الشاملة حول تشينغ تشن » من تأليف العالم وانغ داى يوى وكتاب « دليل تشينغ تشن » بتأليف ما تشو . . الخ . هذه الكتب امتدحت الله بأنه صاف وطاهر وفى غاية الصفاء والحق وانه " الله الاعظم " ، وسميت هذه العظمة الصفاء والحق (تشينغ تشن) ، لذلك اصبحت كلمة " تشينغ تشن " مصطلحا للاسلام حتى سمى الاسلام بدين تشينغ تشن . اذن ما معنى عبارة " دين تيانفانغ " التى ظهرت فى السجلات التاريخية فى عهد اسرة مينغ ؟ كانت الصين تسمى مكة المكرمة والمناطق العربية "تيان فانغ" ، ثم ترجم علماء الدراسات الاسلامية فى عهد اسرة تشينغ مكة المكرمة الى "تيان فانغ" عند ترجمتهم الكتب الاسلامية ، فسمى الاسلام " دين تيانفانغ" . وحدث فى عهد جمهورية الصين (١٩١١ — ١٩٤٩) ان دعا بعض الناس بواسطة الكتب والمجلات ووسائل اخرى الى استعمال ما يسمى " قومية دين هوى" ، اى تسمية كل المسلمين فى الصين وفى العالم كله بقومية دين هوى .

وفى ٢ يونيو ١٩٥٦ اعلن مجلس الدولة لجمهورية الصين الشعبية « بلاغ حول مسألة تسمية الاسلام » ، واشار الى ان " الاسلام من الاديان العالمية ، والاسلام لقب مستعمل عالميا . " و" تمنع تسمية الاسلام بدين هوى من الآن فصاعدا ، بل يجب تسميته الاسلام . " وبعد ذلك اصبح الاسلام

لقبا ثابتا بصورة رسمية ، ويستخدم استخداما واسعا .

٥ ـ ما هى السياسات الخاصة بالمساواة بين القوميات وحرية الاديان التي ينص عليها دستور جمهورية الصين الشعبية ؟

تنص المادة ٤ فى دستور جمهورية الصين الشعبية على ما يلى :

" جميع القوميات بجمهورية الصين الشعبية متساوية . تحمى الدولة الحقوق والمصالح المشروعة للاقليات القومية . وتضمن علاقة المساواة والوحدة والعون المتبادل بين مختلف القوميات وتطورها ، وتحظر التعصب ضد اية قومية او اضطهادها ، وتحظر كل محاولة لتصديع وحدة القوميات او خلق الانشقاق بينها . "

" تساعد الدولة المناطق التى تقطنها الاقليات القومية على تعجيل خطوات تطورها الاقتصادى والثقافى وفقا لخصائص كل قومية منها وحاجاتها . "

" يطبق الحكم الذاتى الاقليمى فى الاقاليم التى تتمركز فيها الاقليات القومية حيث تنشأ اجهزة الحكم الذاتى لممارسة سلطة الحكم الذاتى . وكل اقاليم الحكم الذاتى القومى جزء لا يتجزأ من جمهورية الصين الشعبية . "

" لكل قومية الحرية فى استخدام لغتها المنطوقة والمكتوبة وتطويرها ، والحرية فى الاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها او اصلاحها . "

وتنص المادة ٣٣ على ان :

" كل الذين يحملون جنسية جمهورية الصين الشعبية مواطنون لجمهورية الصين الشعبية . "

" كل مواطنى جمهورية الصين الشعبية متساوون امام القانون . "

" يتمتع كل مواطن بالحقوق المحددة فى الدستور والقانون ، وعليه فى الوقت ذاته اداء الواجبات المحددة فى الدستور والقانون . "

وتنص المادة ٣٤ على ان :

"كل مواطنى جمهورية الصين الشعبية الذين بلغوا الثامنة عشرة لهم الحق فى ان ينتخبوا وينتخبوا ، لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب القومية او العرق . . . او الاعتقاد الدينى او . . . باستثناء المحرومين من الحقوق السياسية بموجب القانون . "

وتنص المادة ٣٦ على ان :

" لمواطنى جمهورية الصين الشعبية حرية الاعتقاد الدينى . "

" لا يحق لأى من اجهزة الدولة او المنظمات الاجتماعية او الافراد ارغام اى مواطن على الاعتقاد بأى دين او عدم الاعتقاد به ، ولا يجوز التعصب ضد اى مواطن يعتقد بأى دين او لا يعتقد به . "

" تحمى الدولة النشاطات الدينية السليمة . ولا يجوز لأى شخص استغلال الدين لمباشرة نشاطات تخل بالنظام العام او تضر بصحة المواطنين ، او تعوق النظام التعليمى للدولة . "

" الهيئات الدينية والشؤون الدينية لا تخضع لأية سيطرة اجنبية . "

٦ ـ ما هى المناطق الذاتية الحكم للقوميات المسلمة ؟

يعد تطبيق سياسة الحكم الذاتى الاقليمى القومى من سياسات الصين الاساسية لحل مشاكل القوميات ، وهو ايضا النظام السياسى الاساسى لتحقيق المساواة والوحدة والاتحاد بين مختلف القوميات الصينية . وتعنى سياسة الحكم الذاتى الاقليمى القومى ان تقام فى مناطق يتجمع فيها ابناء الاقليات القومية مناطق ذاتية الحكم خاصة داخل حظيرة بلادنا الكبيرة وتحت قيادة الدولة الموحدة ليكون ابناء هذه الاقليات القومية سادة لأنفسهم يديرون الشؤون المحلية ويعالجونها داخل قومياتهم .

جدول اجهزة الحكم الذاتى الاقليمى المحلية للقوميات المسلمة
(حتى النصف الاول من عام ١٩٩٠)

تاريخ التأسيس	مقر الحكومة الشعبية	الاسم	الموقع	النوع
١ / ١٠ / ١٩٥٥	مدينة اورومتشى	منطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم		المنطقة الذاتية الحكم
٢٥ / ١٠ / ١٩٥٨	مدينة ينتشوان	منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى		
١٤ / ٧ / ١٩٥٤	مدينة آتوشى	ولاية كزلسو الذاتية الحكم لقومية القرغيز	داخل حدود منطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم	الولاية الذاتية الحكم

١٥ / ٧ / ١٩٥٤	مدينة تشانغجى	ولاية تشانغجى الذاتية الحكم لقومية هوى		
٢٧ / ١١ / ١٩٥٤	مدينة يينينغ	ولاية ييلى الذاتية الحكم لقومية القازاق		
١٩ / ١١ / ١٩٥٦	مدينة لينشيا	ولاية لينشيا الذاتية الحكم لقومية هوى	داخل حدود مقاطعة قانسو	
٣٠ / ١١ / ١٩٥٥	قرية منغتسون	محافظة منغتسون الذاتية الحكم لقومية هوى	داخل حدود مقاطعة خبى	
٧ / ١٢ / ١٩٥٥	داتشانغ	محافظة داتشانغ الذاتية الحكم لقومية هوى		

١١ / ١١ / ١٩٥٤	بلدة تشنغقوان	محافظة وينينغ الذاتية الحكم لقوميات يي وهوي ومياو	داخل حدود مقاطعة قويتشو	
٩ / ١١ / ١٩٥٦	بلدة ويتشنغ	محافظة ويشان الذاتية الحكم لقوميتي يي وهوي	داخل حدود مقاطعة يوننان	المحافظة الذاتية الحكم
٢٠ / ١٢ / ١٩٧٩	رنده	محافظة شيونديان الذاتية الحكم لقوميتي هوي ويي	داخل حدود مقاطعة يوننان	
٢٥ / ٩ / ١٩٥٠	بلدة سونان	المحافظة الذاتية الحكم لقومية دونغشيانغ	داخل حدود مقاطعة قانسو	
٦ / ٧ / ١٩٥٣	بلدة تشانغتشوان	محافظة تشانغجياتشوان الذاتية الحكم لقومية هوي	داخل حدود مقاطعة قانسو	

٢٧ / ٤ / ١٩٥٤	بلدة تشوانلو تشوانجينغ	محافظة آكساى الذاتية الحكم لقومية القازاق	
٣٠ / ٩ / ١٩٨١	تشويماتان	محافظة جيشيشان الذاتية الحكم لقومية باوآن ودونغشيانغ وسالار	
١٩ / ١٢ / ١٩٥٣	بلدة هاومن	محافظة منيوان الذاتية الحكم لقومية هوى	داخل حدود مقاطعة تشينغهاى

١٧ / ٢ / ١٩٥٤	بلدة بايان	محافظة هوالونغ الذاتية الحكم لقومية هوى		
١ / ٣ / ١٩٥٤	بلدة جيشي	محافظة شيونهوا الذاتية الحكم لقومية سالار		
٢٧ / ٦ / ١٩٨٦	بلدة تشوانكو	محافظة مينخه الذاتية الحكم لقوميتي هوى وتو		
١٠ / ٧ / ١٩٨٦	بلدة تشياوتو	محافظة داتونغ الذاتية الحكم لقوميتي هوى وتو		المحافظة الذاتية الحكم
١٠ / ٣ / ١٩٥٤	بلدة يانبنغ	محافظة يانبنغ الذاتية الحكم لقومية هوى	داخل حدود منطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم	

١٧ / ٧ / ١٩٥٤	بلدة مولى	محافظة مولى الذاتية الحكم لقومية القازاق		
١٧ / ٩ / ١٩٥٤	تاشكورقان	محافظة تاشكورقان الذاتية الحكم لقومية الطاجيك		
٣٠ / ٩ / ١٩٥٤	باليكون	محافظة باليكون الذاتية الحكم لقومية القازاق		

اجازت الدورة الثانية للمجلس الوطنى السادس لنواب الشعب عام ١٩٨٤ «قانون الحكم الذاتى الاقليمى القومى» الذى يعد قانونا اساسيا يضمن بصورة ملموسة تطبيق المبادئ الاساسية واللوائح الاساسية حول الحكم الذاتى الاقليمى القومى فى الدستور . وحتى النصف الاول من سنة ١٩٩٠ تم تطبيق الحكم الذاتى الاقليمى القومى بين اكثر من ٩٠٪ من السكان فى المناطق التى يتجمع فيها ابناء الاقليات القومية . واقيم الحكم الذاتى الاقليمى فى ١٥٤ منطقة فى ارجاء الصين ، منها ٥ مناطق ذاتية الحكم و٣٠ ولاية ذاتية الحكم و١١٩ محافظة او راية ذاتية الحكم . ورئاسة اللجنة الدائمة لمجلس نواب الشعب للمنطقة الذاتية الحكم الاقليمى ونيابة رئاسة اللجنة الدائمة يجب ان يتولاهما مواطنون من ابناء القومية او القوميات التى تمارس الحكم الذاتى الاقليمى . كما ان منصب رئاسة المنطقة الذاتية الحكم والولاية الذاتية الحكم والمحافظة الذاتية الحكم يجب ان يتولاه مواطن من القومية او احدى القوميات التى تمارس الحكم الذاتى الاقليمى . وفى المناطق التى لا تتوفر فيها ظروف اقامة الحكم الذاتى الاقليمى ، والتى يساوى حجمها حجم الناحية التى يتجمع فيها ابناء الاقلية القومية ، تقام فيها الناحية القومية بصورة عامة . ويمكن القول ان اقامة الناحية القومية تعد تكملة لتطبيق الحكم الذاتى الاقليمى القومى .

ان فى الصين ١٠ قوميات تعتنق الاسلام وتطبق فى مناطق تجمعاتها سياسة الحكم الذاتى الاقليمى القومى ايضا ، وتقام فيها اجهزة محلية للحكم الذاتى القومى تمارس سلطة الحكم الذاتى القومى .

٧ ـ ما هى المذاهب الدينية بين المسلمين الصينيين ؟

تنتمى الغالبية العظمى من المسلمين الصينيين الى مذهب اهل السنة ،

ويلتزمون بمذهب الامام الكبير ابى حنيفة ، وفى نفس الوقت يحترمون احتراما كبيرا الائمة الكبار الثلاثة مالك والشافعي وابن حنبل – مذاهب اهل السنة .

ينقسم اهل السنة من المسلمين الصينيين الى فئتين : فئة تهتم بمبادئ الشريعة بعيدا عن عبادات اهل الطريقة . وتضم هذه الفئة طائفة " القديم " و" الاخوان " " وشيداوتانغ " لمسلمى قومية هوى وغيرها من القوميات فى شمال غربى الصين ، وتضم ايضا طائفة السنة و" الحديث النبوى " لمسلمى قومية الويغور وغيرها من القوميات . والفئة الثانية هى الصوفية التى تهتم بعبادات الطريقة ، ومثالها نظام " منهوان " لمسلمى قومية هوى فى شمال غربى الصين وطائفة " ايشان " لبعض مسلمى قومية الويغور . وقد تفرع من هذه الفئات والطوائف بعض الفروع الدينية الكبيرة نسبيا مثل طائفة نظام " منهوان " التى تضم ٤ منهوانات كبيرة ، هى الجهرية والقادرية والخفية والكبرية وتضم هذه الفروع الكبيرة فى الغالب كثيرا من الجماعات الدينية الصغيرة .

وهناك مذهب الشيعة ايضا الذى ينتشر داخل حدود منطقة شينجيانغ ، حيث ينتمى المسلمون من قومية الطاجيك الى طائفة الاسماعلية . وينتمى بعض المسلمين الويغوريين فى محافظة يارقند الى الامامية الاثنى عشرية .

وهذه المذاهب المنتشرة بين مسلمى الصين تتحلى ببعض الخصائص المشتركة :

(١) معظم هذه المذاهب ظهرت نتيجة تأثير مختلف المذاهب الاسلامية عند العرب او الفرس او فى وسط آسيا ، لذلك تعتبر روافد لتلك المذاهب الاسلامية وليست من ابتكار الصين . وقلما نجد مذهبا من ابتكار الصين الا طائفة " شيداوتانغ " التى تدعى بالطائفة الصينية والتى اسسها المسلم الصينى ما تشى شى . غير ان مسلمى هذه الطائفة يدعون بحزم بأنهم من السنة ويلتزمون المذهب الحنفي .

(٢) تاريخ ظهور المذاهب الاسلامية فى الصين ليس طويلا : فقد ظهرت اول ما ظهرت مذاهب مختلفة فى منطقة شينجيانغ منذ اكثر من ٣٠٠ سنة . اما فى مناطق الصين الداخلية فبدأت تظهر مذاهب دينية فى الفترة ما بين اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر .

(٣) عدم وجود خلاف كبير بين نظريات مختلف المذاهب . اذ كل من "القديم" و"الاخوان" و"شيداوتانغ" و"الحديث النبوى" التى تهتم بالشريعة وطائفة "منهوان" و"ايشان" اللتان تهتمان بالطريقة تعترف بالخلفاء الراشدين ، وتلتزم بنظريات المذهب الحنفى . ولا يوجد بينها اختلاف فى المعتقدات ولا تباين فى الآراء السياسية . اما الخلاف فيتمثل فى العبادات الدينية والمراسم الدينية والتنظيمات ، وهذه الخلافات فرعية .

(٤) وجود التأثير المتبادل بين مختلف المذاهب . ويتمثل هذا التأثير بصورة خاصة فى تأثير الشيعة فى السنة من حيث العادات والتقاليد ، مثل تفضيل اللون الاخضر واحترام على وحفيده من الجيل الثانى عشر بصورة خاصة وتسمية هذا الحفيد "الامام الحنيف" والاهتمام بذكر فاطمة زوجة الامام على ، واستعمال الكتب الدينية باللغة الفارسية عند نشر ودراسة الدين ، واستعمال الكلمات الفارسية عند نية الصلاة ، واستعمال حروف الجر الفارسية فى الحديث اليومى .

(٥) تأثر كل المذاهب بدرجات مختلفة بالثقافة الصينية التقليدية . فتبدو معظمها فى الحياة الدنيوية متمسكة بالمبادئ الاسلامية ومتحلية بالمرونة التى تتناسب مع المجتمع الصينى .

لذلك تعيش المذاهب الاسلامية المختلفة فى الصين فى وحدة برغم الخلاف وتباين الآراء فيما بينها .

٨ ـ ما هى المبانى الاسلامية المشهورة فى الصين ؟

المبانى الاسلامية فى الصين هى المسجد والخانقاه والضريح والمدرسة المسجدية بصورة رئيسية .

المسجد : تقول الاحصاءات غير الكاملة ان فى الصين ما يزيد عن ٢٤ الف مسجد . وهذه المساجد تشتهر اما بالتاريخ العريق واما بالفن المعمارى الفريد .

مسجد هوايشنغ (الحنين الى النبى) ــ يحمل هذا المسجد لقب مسجد قوانغتا ايضا فى مدينة قوانغتشو (كانتون) ، وقد تأسس فى عهد اسرة تانغ (٦١٨ ــ ٩٠٧) ، لذا يعتبر اقدم مسجد فى تاريخ الصين . ومعظم اقسامه الحالية قد اعيد بناؤها بعد اسرة تشينغ (١٦٤٤ ــ ١٩١١) ما عدا المنارة التى ترتفع ٣٦ مترا والتى بنيت فى عهد اسرة تانغ . ولفن بنائها مكانة هامة فى تاريخ بناء الابراج المبنية من الطوب فى الصين .

مسجد تشينغجينغ (الصفاء والنقاء) بمدينة تشيوانتشو (سماها العرب مدينة الزيتون) ــ يحمل لقب مسجد الاصحاب ، بدأ بناؤه عام ٤٠٠ هجرية (١٠٠٩ ــ ١٠١٠ م) ، اى بين العامين الاول والثانى من حكم داتشونغ شيانغفو فى اسرة سونغ الشمالية . ثم اعيد بناؤه وترميمه عدة مرات فى عهود متعاقبة ، وظل محافظا على اسلوب معماره الاصلى . هذا المسجد مبنى بالاحجار ، وبوابته على الطراز العربى ، ورؤوس الاعمدة تحت البوابة على شكل السحاب وتزدان برسوم الاعشاب الملتفة ــ هذا اسلوب صينى . وجدرانه مبنية من الغرانيت الازرق الضارب الى البياض ، لذلك يتحلى بميزة تشيوانتشو المحلية .

مسجد العنقاء فى هانغتشو ــ كان اسمه الاصلى مسجد " ولين تشنجياو" او قاعة هوى ــ هوى ، بدأ بناؤه فى عهد اسرة سونغ (٩٦٠ ــ ١٢٧٩) او قبلها فى عهد اسرة تانغ .

مسجد شيانخه (الكركى) بمدينة يانغتشو — قيل ان الذى بناه مسلم يدعى بهاء الدين العربى من الجيل السادس عشر لسلالة النبى محمد عليه السلام ، فى العام الاول من حكم ده يو (١٢٧٥) فى اسرة سونغ . ولكن بعض العلماء يرى ان المرحوم بهاء الدين قد ترفى فى ذلك العام ، وعليه فان تاريخ بناء هذا المسجد يعود الى ثلاث سنوات قبل ذلك العام المذكور ، اى عام وصول بهاء الدين الى يانغتشو . وهذا المسجد مع المساجد الثلاثة السابقة تشتهر بأنها المساجد الاربعة الكبيرة على سواحل جنوب شرقى الصين . ويحفظ فيها حتى يومنا الحاضر تراث ثقافى لأسرة سونغ ومينغ وتشينغ .

مسجد جينغجيويه (النقاء والوعى) بمدينة نانجينغ — يحمل اسم مسجد سانشانجيه ايضا . بنى بأمر من الامبراطور هونغ وو (١٣٦٨ — ١٣٩٨) لأسرة مينغ ، ثم تقدم البحار الصينى المسلم تشنغ خه بطلب الى الامبراطور لاعادة بنائه عام ١٤٣٠ . اسلوب هذا المسجد المعمارى فريد ومتميز فى نظامه وتناسقه ، وتبدو عليه معالم الفخامة .

مسجد هواجيويشيانغ (التهذيب والوعى) بمدينة شيآن — اسمه السابق ليبايبوان (دار الصلاة) ومسجد تشينغشيو والمسجد الشرقى الكبير . يقال انه بنى فى عهد اسرة تانغ . واصبح فى حجمه الحالى بعد اعادة البناء وتوسيعه فى العصور المتعاقبة . مساحته نحو ١٢٥٠٠ متر مربع ، ويتكون من اربع دور متراصة ، وطوله الاجمالى ٢٥٠ مترا ويعتبر اكبر جامع على طراز اساوب الدور الصينية الرباعية التقليدية . وجميع اقسامه قديمة ضخمة البناء مهيبة المنظر مكتملة الترتيب جيدة فى الحفظ والصون .

اضافة الى ما ذكرناه آنفا من المساجد ينتشر فى ارجاء الصين كثير من المساجد المشهورة مثل مسجد نيوجيه (شارع البقر) ومسجد دونغسى بمدينة بكين ومسجد سونغجيانغ بمدينة شانغهاى ومسجد جينينغ الكبير بمقاطعة

شاندونغ والمسجد الشرقى الكبير فى مدينة ينتشوان ومسجد عيد كاه فى مدينة كاشغر والمسجد القديم بضاحية مدينة لاسا الغربية فى التبت – سقف العالم . . الخ .

الخانقاه – هذا الطراز من المبانى ينتشر معظمه فى شمال غربى الصين . ويكثر الخانقاه الكبير فى كوتشار ويارقند وخوتيان وكاشغر وآكسو وغيرها من المناطق فى شينجيانغ . اما الخانقاه المشهور فى مناطق ابناء قومية هوى فهو خانقاه هونغلفو وخانقاه بانتشياو بمحافظة ووتشونغ فى منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى والخانقاه الغربى فى لينتان بمقاطعة قانسو . بنيت هذه الخانقاهات فى عشرينات وثلاثينات القرن الحالى ، واحجامها كبيرة يضم كل منها خانقاها وقبة ومسجدا ومدرسة ومساكن وفندقا صغيرا ومكتبا ومطبخا وغير ذلك من المبانى ، مما يعكس قوة ومهابة الامام والخانقاه .

الضريح – ينقسم بناء الضريح الاسلامى فى الصين الى قسمين ، المقبرة العامة والضريح الخاص . تقع المقبرة العامة دائما فى ضواحى المدن ، مثل المقبرتين العامتين لأبناء قومية هوى ببكين ، احداهما فى شيبيوانغ بضاحية بكين الشمالية الغربية ، والثانية عند جسر لوقو (جسر ماركوبولو) بضاحية بكين الجنوبية الغربية . والقبور المستطيلة الشكل متلاصق بعضها بالآخر بانتظام ، وامام كل قبر شاهدة حجرية منقوش عليها باللغة الصينية اسم صاحب القبر ومسقط رأسه ومولده وتاريخ وفاته واسم ناصب الشاهدة والعلاقة بينه وبين صاحب القبر وتاريخ نصب الشاهدة . وينقش على بعض الشواهد نبذة موجزة عن حياة صاحب القبر ، كما تنقش على رأس الشاهدة كلمات عربية مثل " بسم الله الرحمن الرحيم " وادعيات وتسابيح او الشهادتين او الله الاوحد الاكبر . . الخ . وتبنى لبعض مقابر المسلمين العامة اسوار وبوابات .

يبدو الضريح الخاص بالمسلمين معقدا نوعا ما اذا قورن بالمقبرة العامة

البسيطة المتواضعة . وتقع معظم الاضرحة فى مناطق المسلمين ، ويدفن فيها زعماء الاسلام والعلماء والمشاهير ووجهاء المسلمين ، لذلك يدعى الضريح ضريح تابع النبى او الضريح المقدس او ضريح الشيخ او القبة او المزار . . الخ . وبناؤه اضخم وافخم من بناء المقبرة العامة عموما . ولتسهيل زيارة الضريح دائما ما يبنى بجانبه مصلى وخانقاه وقاعة تلاوة للقرآن الكريم ومساكن وقاعة للوضوء وفندق صغير ومطبخ . والاسلوب المعمارى لمزار ابناء قومية الويغور وغيرها من القوميات فى شينجيانغ يختلف عن ضريح تابع النبى والقبة عند ابناء قومية هوى فى مناطق الصين الداخلية . فالاول مبنى بالقرميد والطوب والقرميد المزجج ، والقبر معقود الشكل . بينما الثانى يظهر قبره بأسلوب البناية ذات السقف السنامى ، اى يتخذ الاسلوب المعمارى الصينى التقليدى اسلوبا رئيسيا .

ومن الاضرحة الاسلامية فى الصين ضريح سعد بن ابى الوقاص فى قويهواقانغ بمدينة قوانغتشو وضريح الحكيمين الثالث والرابع فى جبل لينغشان بمدينة تشيوانتشو وضريح بهاء الدين فى مدينة يانغتشو وضريح تشنغ خه اعظم بحار فى تاريخ الصين وضريح الشيخ السيد شمس الدين السياسى الشهير من قومية هوى فى عهد اسرة يوان ومزار يوسف خاص حاجب الشاعر الويغورى المسلم ومزار محمود كاشغرى الويغورى مؤلف « قاموس اللغة التركية » الذى يعتبر عملا نادرا فى الاوساط اللغوية العالمية ومزار شاتوك بوراخان اول من نشر الاسلام فى منطقة شينجيانغ ومزار آباك ختشو ، اى ضريح السيدة شيانغ فى فى كاشغر بشينجيانغ .

تتحلى المدرسة المسجدية وقاعة هاتشانشى لتلاوة القرآن الكريم فى كاشغر بشينجيانغ وقاعة هاليك لتدريس القرآن الكريم بشهرة واسعة . احجامها كبيرة ، ولكل منها بوابة كبيرة وقاعة لشرح القرآن الكريم ومصلى ومساكن

وغيرها من المباني . وقيل ان تاريخها يعود الى مئات السنين . اما المدارس المسجدية لقومية هوى وغيرها فى المناطق الداخلية فمعظمها داخل المساجد . وقد ورثت معاهد العلوم الاسلامية وصفوف العلوم الاسلامية هذه العادة عموما ، فمعهد العلوم الاسلامية الصينى مثلا يقع فى مبنى مقر الجمعية الاسلامية الصينية . ويقع معهد العلوم الاسلامية ببكين داخل مسجد دونغسى . وقد بنى فى السنوات الاخيرة معهدان للعلوم الاسلامية يتحليان بخصائص متميزة ، احدهما معهد العلوم الاسلامية فى منطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم فى شارع يانآن بمدينة اورومتشى ، وقد اكتمل بناؤه عام ١٩٨٧ ، ومساحته ٥٥٠٠ متر مربع ، ويضم عمارة تدريس من ٥ طوابق ومصلى يتسع لألف مصل . يتحلى هذا المعهد بخصائص قومية الويغور والاسلوب الشينجيانغى المحلى والاسلوب الاسلامى المعمارى . والمعهد الثانى هو معهد العلوم الاسلامية فى منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى ، وقد انجز بناؤه عام ١٩٨٩ ، ويقع فى منطقة ابناء قومية هوى خارج بوابة مدينة ينتشوان الغربية . وسيبنى على اساس هذا المعهد مسجد ومكتبة ومتحف ومركز بحوث وقاعة اجتماعات ومستشفى وهيئة تدريب مهنى وغير ذلك من اجزاء هذه السلسلة الكاملة من المبانى الاسلامية ليتشكل منها مركز ثقافى اسلامى فى نينغشيا ينتشر على مساحة ١٣٫٥ هكتارا من الارض . وتبلغ مساحة مبانيه الاجمالية ٦٠ الف متر مربع .

٩ ـ ما هى خصائص المساجد ذات الطراز المعمارى الصينى التقليدى ومساجد شينجيانغ ؟

تتمثل خصائص المساجد ذات الطراز المعمارى الصينى :

اولا ، فى تناسق المبانى وانسجامها اللذين تتحلى بهما المعابد الصينية .

لقد بنيت معظم المساجد الصينية بأسلوب الدار الصينية الرباعية التقليدية ، او بأسلوب سلسلة من الدور الصينية الرباعية . وميزاته تتمثل فى بناء سلسلة من الدور الصينية الرباعية بانتظام وتناسق على طول الخط المحورى المركزى بحيث تتشكل مجموعة كاملة من الترتيب المكانى . ولكل دار خصائصها الفنية . وتبنى كل الدور متراصة . والمبانى الرئيسية فيها متناسقة مع المبانى الجانبية . فتعبر مجتمعة عن اسلوب فن معمارى متكامل . وجامع هواجيويشيانغ بمدينة شيآن نموذج لذلك . فقد جسد هذا الترتيب المتكامل بصورة مستفيضة ميزة المعمار الصينى التقليدى المتمثل فى الاهتمام بالصورة الفنية العامة .

ثانيا ، فى الشكل المعمارى التصيينى . ان الخصائص الصينية للنظام التركيبى والشكل المعمارى للمساجد فى المناطق الداخلية تتمثل بصورة بارزة فى البوابة والمئذنة والمصلى وغيرها من المبانى الرئيسية .

نظام البوابة فى المعابد الصينية الطراز : يتمثل هذا النظام فى معظم الحالات فى التركيب الخشبى الضخم ، وتتكون البوابة من ٣ حجرات متصل بعضها ببعض وتتشارك فى ٥ عوارض . والسقف اما ان يكون على وجهين مائلين وفى خط اتصالهما يقع سنام السقف المفروش بالقرميد المستدير ، واما ان يكون على وجهين مائلين وعلى جانبى الوجهين وجهان عموديان ، وهذا السقف مفروش بالقرميد المزجج ؛ وعلى خط الاتصال بين كل وجهين سنام سقف واحد فوقه تماثيل لستة انواع من الحيوانات . هذا الشكل شكل مقلد لأسلوب بوابة وومن داخل القصر الامبراطورى ببكين . وعلى جانبى البوابة جدار على شكل ٨ ، وامامها نصب خشبى او حجرى وجدار حاجز وسياج . وفى بعض المساجد تبنى فوق البوابة عمارة خشبية من عدة طوابق وبذلك تتحول البوابة الى بوابة ومئذنة ورمز للمسجد . وهذا يختلف اختلافا واضحا عن شكل بوابة المسجد العربية المعقودة ؛

المئذنة الصينية الاسلوب التقليدية : هذه المئذنة مبنية من الخشب ومتكونة من ٣ او ٤ طوابق تبنى فوق البوابة الرئيسية او فوق البوابة الداخلية الاولى . يبدو طابقها الاول مربع الشكل ، بينما يبدو طابقها الاعلى سداسى الشكل ، فتختلف عن البناء المسطح الثمانى الشكل الذى تفضله بعض الاديان ، كما تختلف عن المئذنة العربية المدببة القمة والمبنية من الطوب . وميزاتها كما يلى : الخشب الذى تصنع منه الاعمدة والعوارض قوى ومتين ، واشكال روافد السقوف بسيطة ، وتبدو الصورة العامة للمئذنة مهيبة وضخمة وبارزة من بين المبانى الواقعة على جوانبها ، فتلعب دور اكمال معالم المسجد فى خريطة ترتيب مبانى المسجد .

المصلى ذو السقف السنامى الخشبى العالى الصينى الاسلوب : المصلى والقاعات على جانبيه فى مساجد المناطق الداخلية من الصين يعد من المبانى ذات السقوف السنامية الخشبية العالية ، وتستعمل روافد للسقوف . المصلى يتكون دائما من القاعة الامامية الشبيهة بالسقيفة والقاعة الرئيسية ومؤخرة المصلى . وهذه المبانى ذات السقوف الجملونية مرتبط بعضها ببعض ، حتى تشكل مصلى متكاملا وموحدا يبدو فيه الاسلوب متموجا ومرنا . واشكال المصلى المسطحة مختلفة ، تأخذ شكل مستطيل وشكل + وشكل 凸 وشكل I ، ولمؤخرة المصلى كذلك اشكال مختلفة ، منها ذات طنف واحد او طنف مزدوج او ثلاثة اطناف او ذات سقف سنامى على شكل + وعلى شكل السقوف السنامية فى الجواسق المتنوعة . ومواد بنائه من الخشب والطوب معا ، وذلك يختلف عن الاسلوب العربى المتمثل فى استعمال الطوب فى بناء القبة .

ثالثا ، الزخرفة المعمارية التى تجمع ما بين الاسلوب الصينى والاسلوب الغربى . ان الزخرفة المعمارية المتنوعة التى تشمل الرسم الملون والنقش

على الخشب والنقش على الآجر والنقش على الحجر واللافتات تعتبر جزءا هاما من الفن المعماري الصيني التقليدي للمساجد . وهناك عدد غير قليل من المساجد نجحت في دمج اسلوب الزخرفة الاسلامي بأسلوب الزخرفة الصيني التقليدي ، ونتجت من ذلك زخرفة فريدة .

تشتهر كثير من المساجد بفن الرسم الملون البديع . ومثال ذلك جامع هواجيويه بمدينة شيآن والمسجد القديم بمدينة تاييوان بمقاطعة شانشي والمسجد الكبير في جينينغ بمقاطعة شاندونغ ومسجد نيوجيه ومسجد دونغسي ببكين حيث الرسوم الملونة في مؤخرات مصلياتها والمحاريب فيها رائعة لا مثيل لها ، وتبدو في غاية الفخامة والعظمة . ويكثر في مساجد شمالي الصين الرسم الازرق والاخضر ، بينما يكثر في مساجد جنوبها الغربي الرسم الملون . اما المناطق الواقعة شمال غربي الصين فيكثر في مساجدها الرسم الازرق والاخضر الذي تشوبه نقط مذهبة . وهذه الرسوم خالية من صور الحيوانات او الناس ، بل تقتصر على الكلمات العربية والازهار والاشكال الهندسية ، فتشكل مع اللافتات المنقوشة بالكلمات العربية او الصينية ميزة بارزة لفن الزخرفة الاسلامية في الصين .

وثمة عدد غير قليل من المساجد تخلو فيها المصليات من الالوان الزخرفية ، فتبدو بسيطة ورفيعة الذوق وواضحة الاسلوب ، والزخرفة فيها دائما اعمال خشبية او طوبية بديعة وصغيرة الحجم ، مثلما هو الحال في مسجد هونغتشيويتشيوان في محافظة هواتغتشونغ بمقاطعة تشينغهاي ومسجد شيتسويشان في منطقة نينغشيا . وفي بعض المساجد انواع اخرى من الزخرفة . فمسجد آنتشينغ بمقاطعة آنهوي تبدو رسومه المنقوشة داخل المصلى رائعة ومثيرة . وعلى اعمدته المذهبة ازواج من اللافتات الخشبية المذهبة والمنقوشة بالآيات القرآنية ، مما يجعل المصلى الواسع يبدو متألقا بالاشعة الذهبية وفي غاية

المهابة والفخامة . اما المسجد الشرقي الكبير في جينينغ بمقاطعة شاندونغ فيبدو بمنظر آخر : قطع من الصخور على شكل طبول واعمدة منقوشة برسوم التنانين والازهار ورسوم منقوشة على قواعد الاعمدة الحجرية ، وكلها من الروائع النادرة . وتبدو صورة تنينين يلعبان باؤلؤة على الجدار الحاجز وحيوانات خرافية كأنها تكاد تنطق ، والقراميد المزججة والآجر السداسي الشكل والمنصة الضخمة من الاعمال الممتازة .

رابعا ، فناء المسجد ذو الاسلوب الصيني : معظم المساجد في المناطق الداخلية من الصين لها افنية تحمل طبائع الحياة الكثيفة ، مما يعكس موقف المسلم الصيني الايجابي المتمثل في عدم الابتعاد عن واقع الحياة الدنيا والاهتمام بالواقع وحب الحياة . ففي كل فناء اشجار وازهار ومبخرة واوان لتربية الاسماك وشواهد ولافتات ومناظر صناعية بالاحجار والخضرة ، وتشق في الفناء قناة ويبنى جسر وجوسق ، فيبدو الفناء كأنه حديقة جميلة .

خامسا ، الخصائص الاسلامية للمساجد في الصين : في كل مسجد بصورة عامة مصلى ومئذنة او برج استطلاع للهلال وحمامات وقاعة لشرح القرآن الكريم وغيرها من المباني الرئيسية . كما في كل مصلى محراب ومنبر . ومهما كان موقع المسجد فلا بد ان يتجه المصلي فيه الى القبلة حيث الكعبة المشرفة . وحسب المعتقدات الاسلامية الاساسية التي تقول ان الله واحد احد ، لا ترى في المصلى اوثانا ولا رسوم حيوانات او بشر ، وحتى تماثيل الحيوانات على اسنام السقوف تحولت الى اشكال اعشاب ملتفة وسحب . وبهذا يختلف المصلى عن القاعة الرئيسية في اى معبد للاديان الاخرى . ومن اهم زخارف المصلى الآيات القرآنية المزخرفة مما يجعل المرء يشعر بانشراح الصدر . ان مبادئ الاسلام السابقة الذكر قد جعلت المساجد المتنوعة الاشكال في الصين تتمتع بميزة مشتركة تميزها عن معابد الاوثان ، وجعلت

المساجد ذات ملامح فريدة بين صفوف المباني الصينية الدينية .

خصائص المساجد في منطقة ابناء قومية الويغور في شينجيانغ :

اولا ، تنقسم المساجد في منطقة ابناء قومية الويغور في شينجيانغ الى ٥ انواع من ناحية الحجم والعمل : نوع مسجد عيد كاه ، نوع مسجد جيامان الكبير ، نوع مسجد الزقاق الضيق ، نوع مسجد المزار ونوع مسجد اليتيم .

ثانيا ، الانتشار بالاسلوب المتمركز وخاصة في المدن والبلدات جنوب شينجيانغ . يكاد كل شارع وكل زقاق يشهد مسجدا بل عدة مساجد . ويرى المسجد في الزقاق الضيق اينما توجه الانسان ، وبذلك تحققت الحياة الدينية للمسلمين بصورة اساسية .

ثالثا ، الترتيب السطحي حر نوعا ما ، وليس هناك اهتمام بالخط المحوري المركزي والتوازن بين اليمين واليسار في البناء . فعرض مسجد عيد كاه مثلا ١٢٠ مترا ، والبوابة ليست في الوسط بل تميل الى الشمال قليلا . ويتحلى هذا الترتيب المعماري الذي يحطم مفهوم التوازن بين اليمين واليسار عمدا بميزة فريدة .

رابعا : يختلف الشكل المعماري لمساجد شينجيانغ عن مساجد قومية هوي في المناطق الداخلية من الصين اختلافا كبيرا . فكل مسجد مهما كان نوعه يهتم بزخرفة البوابة ، وجوانب البوابة مزخرفة اما برسوم المحراب المدبب السقف المصنوع من الطوب واما بالآيات القرآنية الكثيفة الالوان ، فتبدو البوابة آية في الجمال . ويبنى على جانبي البوابة برج مستدير مدبب القمة يساوي ارتفاعه ٥ او ٦ طوابق من العمارة ومبني بالآجر . وعلى جسم البرج انواع مختلفة من الخطوط والزوايا والاشكال والسطوح الغائرة والبارزة المصنوعة من البلاط الخزفي الملون . ويبدو سطح هذا البرج كدائرة يتناقص قطرها تدريجيا من قاعدة البرج الى القمة . ويبنى على القمة جوسق مستدير من

الآجر ؛ وسقف الجوسق على شكل قبة فوقها هلال – الاسلوب العربي . والمصلى دائما مسطح السقف ينقسم الى القاعة الداخلية والخارجية ؛ وامام القاعة الخارجية افاريز كبيرة . وتشمخ فى المصلى كثير من الاعمدة ، فالمصلى فى مزار آباك ختشو تبلغ مساحة سطحه ٢٦٠٠ متر مربع ، وفيه ١٥٨ عمودا خشبيا . اضافة الى ذلك هناك التركيب المتخذ شكل قبة والذى لا يستعمل الخشب ، ويسمى هذا الشكل " لانغفانغ (الصالون المسقوف) المتخذ شكل القبة " او " بيشيتاركا " باللغة الويغورية . ولكن المصلى سواء أكان مسطح السقف ام سقفه على شكل قبة يناسب كلاهما الظروف المناخية المتمثلة فى قلة المطر وكثرة الرمال وشدة هبوب الرياح فى شينجيانغ . فهذان الاسلوبان البسيطا التركيب يوفران الايدى العاملة ومواد البناء ويتميزان بالمرونة . القاعة الخارجية تبدو بشكل ممر مكشوف ، يمكن اداء الصلاة فيه عند اشتداد الحر ، بينما داخل القاعة محكم مناسب لأداء الصلاة فى الشتاء البارد .

خامسا ، فن الزخرفة الويغورية الفريد الاسلوب . ومن اساليبه التعبيرية النقش على الخشب والازهار المصنوعة من الآجر والنحت النافر على الجبس والرسم الملون وغيرها ، واشكال الزخرفة متنوعة ومختلفة . هذا الفن مستمد من واقع الحياة العملية لأبناء قومية الويغور ، لذلك يجسد واقع الحياة . فجميع لوازم المعيشة والفواكه والازهار والاشجار والاعشاب موضوعات لفن الزخرفة ، مما يجعل المرء يحس بطباع الويغوريين المتمثل فى حب الحياة حبا جما .

١٠ – ما هى الخصائص العربية لمساجد الصين الحديثة البناء فى عصرنا الحاضر ؟

بعد تأسيس الصين الجديدة شهدت الصين ظهور عدد كبير من المساجد

وخاصة بعد عام ١٩٧٩ . واخذت كثير من المساجد الحديثة البناء من الشكل والاسلوب المعمارى العربى لتوكيد الخصائص المعمارية الاسلامية .

اولا ، لم تلجأ هذه المساجد الى اسلوب بناء السقف السنامى الخشبى العالى ، بل قلدت الشكل العربى ، اى بناء مجموعة من القباب الخضر البسيطة والقوية والممتلئة : اربع قباب صغيرة كل منها فى احدى زوايا سقف المصلى ، بينما تتوسطها جميعا قبة ضخمة . وفوق قمة كل قبة صغيرة تمثال لمزهرية او كتلة كروية مصنوعة من الصلب الذى لا يصدأ . وفوق القبة الضخمة يرتفع هلال شامخ الى السماء الزرقاء . هذه المجموعة من القباب تنسجم فيما بينها من حيث الشكل والحجم ، فتشكل سويا خطا افقيا جميلا ، وتلعب دور القيادة فى تشكيل الصورة المعمارية الفنية للمسجد . ونتيجتها الفنية ممتازة . اذا قلنا انه يصعب التمييز بين المسجد ذى الاسلوب المعمارى الصينى التقليدى من بين المعابد الاخرى من ناحية المظهر ، فالمبانى المتميزة بهذه القباب تعرف الناس من اول وهلة انها مساجد اسلامية .

ثانيا ، تركت هذه المساجد من حيث الترتيب السطحى نظام الدور الصينية الرباعية ، واستعملت اسلوب تشكيل الصورة المركز . ومثال ذلك مسجد نانقوان بمدينة ينتشوان فى منطقة نينغشيا . فهذا المسجد لم يؤكد بناء الخط المحورى المركزى فى السطح ، بل اكد الخط المحورى العمودى، مما جعل المسجد يظهر مكتمل الشكل ثابت المعالم . ينقسم المبنى الى طابقين ، والنقطة العليا هى المصباح الهلالى الشكل وسط القبة الكبيرة . يرتفع المصباح ٢٢ مترا عن اديم الارض ، مما يجعل المسجد ذا ارتفاع معين وحجم معين . ويضم الطابق الاول قاعة الوضوء والمصلى الصغير وقاعة راحة الامام وقاعة الاستقبال ، ويصل ممر متعرج فيما بينها . وهناك سلم قوسى الشكل يتجه الى الطابق الاعلى ، اى الى المصلى الكبير . وامام هذا المصلى

رصيف مفروش ببلاط التريسة ، يمتد الى الجنوب والشمال حتى يحيط بالمصلى ، وينسج امام المصلى حيزا واسعا نوعا ما . ويعتبر هذا الترتيب بديلا عن الاسلوب الضيق . وبين المصلى والرصيف ممر ذو اعمدة شبه اسطوانية ، فهو مكان انتقالى بين داخل المصلى وخارجه ، كما هو مكان تخلع فيه الاحذية استعدادا لأداء الصلاة . والمصلى مربع الشكل ، طوله ٢١ مترا ، وفى وسطه ٤ اعمدة مربعة مزينة ببلاط خزفى اخضر ترفع قبة قطرها ٥ر٩ امتار . وبين جزء القبة الاسفل والاعمدة المربعة طابق من القواعد المستديرة على شكل طبول ، وفوقها ٢٤ نافذة عالية . وهذه النوافذ مع ١٢ نافذة كبيرة اخرى متوازنة على جانبى المصلى الجنوبى والشمالى تجعل داخل المصلى وافر الضوء واسع الافق . وبدهى ان تشكيل الصورة المركز الذى يؤكد الخط المحورى العمودى ذو طراز عربى .

ثالثا ، لا يشهد المصلى تماثيل ولا رسوما ملونة ، فتبدو فيه البساطة والنقاء . فالمصلى فى مسجد مدينة جينتشو بمقاطعة لياونينغ واسع ومضاء ، وألوانه فاتحة أنيقة رزينة . وعلى جدارى المصلى الجنوبى والشمالى تنتظم فى صفين ١٠ مجموعات من المصابيح الجدارية اللبنية اللون على شكل ازهار المغنولية البهية ، وتقدم مع ٨ ثريات و٤ مجموعات من المصابيح الفلورية المعلقة فى سقف المصلى ضوءا كافيا يضيء المصلى فى الليل كأنه فى وضح النهار . وارضية المصلى الخشبية ارجوانية اللون مفروشة بألواح مصنوعة من البوليثين وكاربونات الكاليسيوم ، المنقوشة برسوم عباد الشمس ، فتبدو مع الجزء الغائر على السقف اللبنى اللون آية فى الجمال : وتنتصب امام مؤخر المصلى ٤ اعمدة بيضاء ترفع سقف المصلى . والمحراب منقوش بآيات قرآنية مذهبة . ويخلو المصلى من اى رسم ملون او نقش ، فيسوده جو من البساطة والمهابة والخشوع .

رابعا ، يهتم مصممو المساجد الحديثة البناء باستعمال الالوان للمبنى

كله . ومسجد نانقوان فى مدينة ينتشوان مثال رائع على ذلك . حيث بنى الطابق الاول لهذا المسجد كأنه قاعدة المبنى كله ، ولونه رمادى يشعر معه المرء بالمهابة والرسوخ . والمصلى فى الطابق الاعلى نواة المسجد ، وجدرانه مبنية بالتريسة الخضراء ، فتتباين مع الاعمدة المصنوعة من المرمر الابيض، تباينا واضحا ما بين غليظ ورفيع وغامق وفاتح ، مما يشكل درجة اللون الانيق والواضح . واكثر الالوان استعمالا فى هذا المبنى هو اللون الاخضر المفضل لدى المسلمين الصينيين . وهذه المجموعة من القباب الخضر سمكها ٣ سنتيمترات ومصنوعة من قشرة الاسمنت المسلح المغطاة بغطاء بلاستيكى مقوى بالالياف الزجاجية ويرتفع فوقها هلال ، مما يشكل مع السماء الزرقاء والسحاب الابيض والشمس المتوهجة لوحة ملونة جميلة .

واضافة الى المساجد العربية الطراز هناك طبعا كثير من المساجد تشهد اعادة بناء وترميم . وستحافظ هذه المساجد بعد اعادة بنائها على الاسلوب المعمارى للقصور الصينية التقليدية ، الاسلوب المتمثل فى العراقة والبساطة والرزانة والعظمة والمهابة . لذلك يمكن القول بأن معمار المساجد الصينية فى عصرنا الحاضر يشهد وضعا مزدهرا — وضع " مئة زهرة تتسابق فى تفتحها " .

١١ — ما عدد المساجد فى بكين ؟ وما تاريخ شارع البقر ومسجده الواسعى الشهرة فى الصين ؟

جاء فى مقالة كتبها السيد ما شا ان عدد المساجد فى بكين قد بلغ الآن ٨٣ مسجدا ، منها ٣٤ مسجدا على الاقل يعود تاريخها الى ما قبل ١٠٠ سنة . اما المساجد التى يعود تاريخها الى ما قبل ٣٠٠ سنة او اقدم من ذلك فيصل عددها الى ١٤ مسجدا . وبين مساجد بكين هذه ١٤ مسجدا جديدا تم بناؤها بعد ولادة الصين الجديدة . وهناك اربعة مساجد قديمة مشهورة ، هى

مسجد شارع البقر ومسجد شارع دونغسي ومسجد بوشو ومسجد فامينغ .
وبما ان المسلمين من ابناء بكين يعيشون فى انحاء متفرقة من المدينة ، فقد اقيم مسجد بسيط فى كل بقعة تقطن فيها ٢٠ — ٣٠ اسرة مسلمة . ولهذا كثرت المساجد فى بكين ، وهناك سبب آخر يدفع المسلمين الى بناء المسجد بقوتهم الذاتية ، هو انهم يعتبرون بناء المسجد او ترميمه عملا حميدا يستحق اصحابه احترام الجميع .

ان شارع البقر شارع عادى فى بكين ، ولكنه مشهور فى انحاء البلاد ، ذلك لأنه مركز هام للسكان المسلمين داخل العاصمة فضلا عن وجود مسجد عظيم فيه .

ولشارع البقر تاريخ طويل ، فقبل القرن العاشر كان هذا المكان قرية جميلة فى الضاحية الجنوبية لمدينة يانجينغ فى عهد اسرة لياو ، وكانت انهار متشابكة تمر بتلك القرية ، وعلى ضفافها اشجار صفصاف وارفة ، لذلك حملت القرية اسم "قرية انهار اشجار الصفصاف" . وجمال منظر القرية قد جذب جماعة من المسلمين للاستيطان فيها . وفى عام ٩٩٥ جاء الى القرية عربيان ، ناصر الدين وشقيقه سعاد الدين ، للتبشير بالدين الاسلامى ، فأقاما فيها مسجدا هو السابق لمسجد شارع البقر الحالى .

فى بداية القرن الثانى عشر توسعت المدينة ، فأصبحت القرية جزءا من منطقتها الداخلية بعد ان ردمت الانهار ومهد فيها شارع تصطف على جانبيه مساكن ودكاكين . وبادر السكان المسلمون الى غرس اشجار العناب والرمان فيه ، فشهد هذا الحى ازدهارا كبيرا بفضل جهودهم ، وكان فى وسط الشارع زقاق متجه نحو الغرب يسمى "زقاق اللحم الناضج" الذى ما زال قائما حتى اليوم . هذه هى احوال شارع البقر البدائية . وفى ذلك الحين كان فى الشارع مذبح تذبح فيه يوميا كمية كبيرة من البقر والغنم ، ثم تباع اللحوم

مباشرة ، ومع مرور الايام حمل الشارع لقب " شارع البقر " .

يعتبر مسجد شارع البقر اكبر واقدم مسجد فى بكين . وقد تم توسيع حجمه مرتين فى عهد اسرة مينغ وعهد اسرة تشينغ . ثم مر بعمليتين من الترويم والاصلاح بعد تأسيس الصين الجديدة . ويتكون المسجد اليوم من قاعة الصلاة الكبيرة والمئذنة وعمارة مشاهدة الهلال وجوسقى النصب الجنوبى والشمالى . وتبلغ مساحته الاجمالية اكثر من ستة آلاف متر مربع ، والملامح المعمارية للمسجد تجمع بين اسلوب البناء التقليدى للقصور الصينية والاسلوب الاسلامى العربى الخالص . ويتخذ المسجد قاعة الصلاة مركزا له ، وتتسع هذه القاعة لألف مصل . ومما يستحق الذكر ان المسجد قد منح عام ١٤٧٤ اسم " لى باى سى" من الامبراطور شخصيا حينذاك . وفيه كثير من الآثار القديمة والالواح الحجرية التى نحتت عليها حوادث تاريخية هامة ، كما فيه كثير من الكتب الدينية القيمة . وعلى جانبى الباب الامامى لقاعة الصلاة جوسقان مربعان متماثلان ، فى كل منهما نصب تذكارى ، يعود تاريخهما الى عهد الامبراطور هونغ تشى (١٤٨٨ — ١٥٠٥) من اسرة مينغ ، وقد نقشت عليهما وثائق تاريخية باللغتين الصينية والعربية . واصبح هذان النصبان مصدرا هاما لدراسة تاريخ بدء الدين الاسلامى فى الصين . والى جانب ذلك هناك نصب حجرى تم انشاؤه فى عهد الامبراطور وان لى (١٥٧٣ — ١٦١٩) من اسرة مينغ ، وقد سجلت عليه عملية اعادة اصلاح المسجد . ولهذا النصب قيمة كبيرة فى دراسة تاريخ هذا المسجد .

١٢ — ما هى اللغات المنطوقة والمكتوبة التى تستخدمها مختلف القوميات المسلمة فى الصين ؟

هناك اختلاف كبير بين اللغات المنطوقة والمكتوبة لدى مختلف القوميات

المسلمة فى الصين . وفيما يلى توضيح احوالها الملموسة :

قومية هوى : لغتها المنطوقة هى لغة هان (اللغة الصينية الرسمية) التى تنتمى الى الاسرة اللغوية الهانية — التبتية ، وابناء هذه القومية يستخدمون لغة هان فى المحادثة والكتابة . وبما انهم ينتشرون فى جميع انحاء البلاد ، فلهجتهم تتميز عادة ببعض الالوان المحلية حسب اماكن اقامتهم .

قومية سالار : لغتها المنطوقة هى اللغة السالارية التى تنتمى الى الفرع التركى من اسرة اللغات الآرتية . وفى العهد القديم سجل اناس من هذه القومية حوادثهم التاريخية بالحروف العربية . اما الآن فيستخدم ابناء هذه القومية عادة لغة هان فى الكتابة . كما ان منهم من يكتب باللغتين الهانية والتبتية معا او اللغتين الهانية والويغورية بسبب انهم يسكنون قريبا من التبت او منطقة الويغور . وتلبية لرغبة ابناء هذه القومية ولسد حاجاتهم الواقعية بدأ ابداع لغة مكتوبة خاصة بقومية سالار منذ عدة سنوات .

قومية دونغشيانغ : لغتها المنطوقة هى لغة دونغشيانغ التى تنتمى الى فرع اللغة المنغولية من اسرة اللغات الآرتية ، ومعظم ابنائها يفهمون لغة هان ويستخدمونها فى الكتابة .

قومية باوآن : يستخدم ابناء هذه القومية فى تحدثهم لغة باوآن التى تنتمى الى فرع اللغة المنغولية من اسرة اللغات الآرتية ، ولغة هان هى لغتها المكتوبة .

ولأبناء هذه القوميات الاربع المذكورة سابقا لغة "جينغتانغ" (لغة المسجد) يستخدمونها فى حياتهم الدينية واليومية . وتتكون هذه اللغة من مفردات وعبارات مأخوذة من العربية والفارسية والصينية ، ومن عبارات مزيجة من الصينية والفارسية ومن العربية والصينية ومن العربية والفارسية . ومعظم العبارات المتعلقة بالدين الاسلامى وبمضامين الكتب المقدسة والواجبات والاعياد ونصوص القرآن الكريم ومبانى المسجد ومنشآته وغيرها قد جاءت من اللغة

العربية او الفارسية . كما ان كثيراً من العبارات اليومية وعبارات التحية وكذلك العبارات المعبرة عن حركات الانسان ومشاعره قد وردت ايضا من اللغتين العربية والفارسية . اما البقية فجاءت من اللغة الصينية . ومعانى بعض هذه العبارات تتشابه مع معانى العبارات الصينية ، بينما بعضها الآخر يحمل المعنى الخاص بالاسلام ، الذى لا يفهمه غير المسلمين من هذه القوميات . وقواعد هذه اللغة هى نفس القواعد المستخدمة فى اللغة الصينية اساسا . وهذه اللغة لغة "جينغتانغ" يستخدمها جميع المسلمين من مختلف القوميات التى تتكلم الصينية الرسمية فى تعليمهم المسجدى وحياتهم الدينية اليومية ، فهى ليست لغة خاصة بقومية هوى وحدها او بأية قومية اخرى .

قومية الويغور : لغتها المنطوقة هى اللغة الويغورية التى تنحدر من فرع اللغة التركية لأسرة اللغات الآرتية . وهذه القومية قد استخدمت فى فترات مختلفة من تاريخها لغة هويخه ولغة الترك .. الخ . وبعد تأسيس الصين الجديدة اجرت قومية الويغور الاصلاح اللغوى عدة مرات . وابدعت فى مجرى الاصلاح لغة ويغورية مكتوبة على اساس الحروف اللاتينية ، ثم قررت حكومة منطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم فى سبتمبر ١٩٨٢ ان تعيد الاستخدام الشامل للغة القومية الويغورية القديمة التى تتكون اساسا من الحروف العربية ، وتكتب من اليمين الى اليسار مثل اللغة العربية تماما . وقررت كذلك ان تستمر فى دراسة لغتها الحديثة حتى تكتمل تدريجيا ، وان تحفظها بصفتها حروفا هجائية تستعمل فى مناسبات محددة . وفى عام ١٩٨٣ عدلت حكومة المنطقة من جديد جدول الحروف الابجدية الذى تم اعداده على اساس الحروف العربية ، والذى يضم ٣٢ حرفا . واعادت فى الوقت نفسه النظر فى قواعد الكتابة للغتها المستعملة . وبعد ذلك طلبت من جميع المدارس واوساط النشر والطبع ان تستخدمها استخداما كاملا .

قومية القازاق : لغتها المنطوقة هى اللغة القازاقية التى تنتمى الى فرع اللغة التركية من اسرة اللغات الآرتية . وكثير من ابناء هذه القومية يفهمون اللغة الويغورية . ولغتها المكتوبة هى لغة تم ابتكارها على اساس الحروف العربية . ومعظم الشباب القازاقيين المقيمين فى مرعى اردونتشيويك على هضبة تشينغهاى يفهمون اللغة الهانية . وكما هو الحال بالنسبة لقومية الويغور هناك لغة مكتوبة ابدعت لقومية القازاق فى اواخر الخمسينات على اساس الحروف اللاتينية ، ولها ٣٣ حرفا تضم ٢٥ حرفا ساكنا و٨ حروف لينة . وظلت هذه اللغة تستخدم حتى سبتمبر عام ١٩٨٢ حين قررت حكومة شينجيانغ الذاتية الحكم اعادة استخدام لغتها القديمة القائمة على اساس الحروف العربية ، وبالنسبة للغة الجديدة فتواصل دراستها من اجل اكمالها ، ويمكن استخدامها فى مناسبات ضرورية باعتبارها حروف هجائية . ومنذ ذلك الوقت اعيد تعليم اللغة القازاقية القديمة فى جميع المدارس التى يحتل الطلبة القازاقيون فيها نسبة رئيسية ، كما طبعت ونشرت الكتب والمجلات والصحف بنفس اللغة .

قومية القرغيز : يتكلم ابناء هذه القومية اللغة القرغيزية التى تنحدر من فرع اللغة التركية التابعة لأسرة اللغات الآرتية . كانت لغة ارهون — ينيساى لغة يستخدمونها لحقبة من التاريخ . اما الآن فتستخدم اللغة القرغيزية القائمة على اساس الحروف العربية ، التى بدأ استخدامها بعد اعادة النظر فيها عام ١٩٥٤ . ولها ٣٠ حرفا تشمل ٢٢ حرفا ساكنا و٨ حروف لينة . وتدرس هذه اللغة حاليا فى جميع المدارس التى يشكل الطلبة القرغيزيون نسبة رئيسية فيها ، وبها تطبع وتنشر جميع الكتب والمجلات والصحف . والقرغيزيون القاطنون فى جنوبى شينجيانغ يعرفون اللغة الويغورية ، والقاطنون فى شمالى شينجيانغ يفهمون اللغة القازاقية والقاطنون فى محافظة فويوى بمقاطعة هيلونغجيانغ يتكلمون اللغة الهانية .

قومية الاوزبك : لغتها المنطوقة هى اللغة الاوزبكية التى تنتمى الى فرع اللغة التركية من اسرة اللغات الآرتية ، والتى تتشابه مع اللغة الويغورية . وبما ان تعداد هذه القومية قليل نسبيا وابناؤها مختلطون بأبناء القوميات الاخرى ، لذلك لم تجد ضرورة لابداع لغة مكتوبة خاصة بها . ويستخدم الاوزبكيون المقيمون فى المدن والبلدات اللغة القازاقية .

قومية الطاجيك : لغتها المنطوقة هى اللغة الطاجيكية التى تنتمى الى الفرع الشرقى للغة الايرانية من اسرة اللغات الهندية — الاوروبية ، وليست لها لغة مكتوبة . وكثيرا ما يتكلم ابناؤها اللغة الويغورية .

قومية التتار : لغتها المنطوقة هى اللغة التتارية التى تنتمى الى فرع اللغة التركية من اسرة اللغات الآرتية ، ولها لغتها المكتوبة القائمة على اساس الحروف العربية . ولأن ابناءها يتعايشون مع ابناء قوميتى الويغور والقازاق منذ زمن بعيد فقد استخدموا حاليا اللغة الويغورية والقازاقية فى الكتابة والمحادثة .

وهذه القوميات الست المذكورة آنفا تنتشر رئيسيا فى منطقة شينجيانغ ، وكلها من الاقليات القومية المسلمة ، وتحتوى لغاتها على كمية كبيرة من المفردات والعبارات الآتية من اللغتين العربية والفارسية ، الى جانب اللغات الصينية والمنغولية والروسية ، وجميع العبارات الاسلامية تقريبا جاءت من اللغتين العربية والفارسية .

١٣ — ما هى الاسهامات الهامة التى قدمها المسلمون فى تاريخ الصين ؟

لقد انتقل الدين الاسلامى الى الصين قبل اكثر من ١٣٠٠ سنة ، وخلال هذه الفترة التاريخية الطويلة قدم المسلمون اسهامات عظيمة لتطور الامة الصينية وتعاظمها . وقد خلقوا حضارة باهرة بجهودهم الجبارة ، واغنوا

بذلك الكنز الثقافى والتاريخى فى الصين .

واسهامات المسلمين فى تاريخ الصين كثيرة لا تحصى ، ويمكننا ان نجد منجزاتهم العظيمة فى مجالات كثيرة ، من العلوم والتكنولوجيا الى التاريخ والحضارة ، ومن الشؤون السياسية والاقتصادية الى التبادلات الخارجية . ومن ابرزها واهمها ما يأتى :

(١) علم الفلك :

من المعروف ان علوم الفلك والرياضيات فى العالم العربى فى العصور الوسطى كانت قد وصلت الى ذروتها ، بينما بدت الصين متخلفة نسبيا فى هذا المجال فى نفس المرحلة التاريخية . ومن اجل الحصول على التقويم الفلكى بذل الصينيون القدماء جهودا مضنية ، فأبدعوا اكثر من ٨٠ نوعا من التقويم ابتداء من اسرتى تشين وهان (٢٢١ ق . م — ٢٢٠ م) الى اسرة سونغ (٩٦٠ — ١٢٧٩) ، وتم تطبيق اكثر من ٥٠ نوعا منها ، الا انها لم تكن مضبوطة ودقيقة بالدرجة المطلوبة ، اذ ظلت تظهر انحرافات فى مجرى استعمالها . وهذه المشكلة المستعصية لم تحل الا بعد ان جاء الاستاذ المسلم ما يى تسه الى عاصمة الصين من لومو بالمناطق الغربية عام ٩٦١ فى عهد الامبراطور جيان لونغ من اسرة سونغ الشمالية . فبعد سنتين من وصوله استطاع تأليف « تقويم ينغتيان » الذى نال استحسان الامبراطور ، فمنحه منصبا رفيعا فى البلاط . وفى عهد اسرة يوان (١٢٧١ — ١٣٦٨) اهتم الامبراطور الحكيم كوبلاى خان اهتماما كبيرا بتفوق العرب فى علم الفلك والحساب التقويمى . وفى ذلك العهد اسهم الاستاذ جمال الدين وزملاؤه المسلمون اسهاما عظيما فى تطوير علم الفلك الصينى ، ونصبوا بجهدهم وعرقهم جسرا علميا عزز التبادلات بين العلماء الصينيين والعرب فى مجال الفلك . وعلى اساس المعارف الفلكية الصينية الكلاسيكية والاستفادة من النظريات العربية فى علم الفلك تمكن

جمال الدين من ابتكار سبعة انواع من الاجهزة والمقاييس العلمية التى كانت متقدمة ونادرة فى علم الفلك فى ذلك الوقت ، من بينها جهاز الكرة الارضية الذى صنعه عام ١٢٦٧ ، وهو جهاز مستدير الشكل يعكس افكار صانعه المتمثلة فى استدارة الارض ، وقد تناقضت افكاره هذه مع النظرية التى كانت سائدة فى الصين ، والتى تقول ان الارض مربعة الشكل ، تعلوها سماء مستديرة . وجدير بالذكر ان جمال الدين قد ألف فيما بعد تقويما آخر – « تقويم واننيان » الذى ظل مستعملا اكثر من عشر سنوات .

وظلت تأثيرات العلماء الفلكيين المسلمين من عهد اسرة يوان باقية فى الصين حتى اسرتى مينغ وتشينغ (١٣٦٨ – ١٩١١) . وخلال هذه الفترة ظلت تقويماتهم تلعب دورا هاما فى شؤون الدولة . وعلى سبيل المثال فان « تقويم داتونغ » الذى كان مستعملا فى اسرة مينغ (١٣٦٨ – ١٦٤٤) قد نشأ على اساس « تقويم شوشى » ، غير ان الاخير تأثر تأثرا مباشرا بتقويمات المسلمين السابقة ، وزد على ذلك انه اشترك فى تأليف ذلك التقويم بعض العلماء المسلمين الكبار مثل هدار وعلى تشنغ وغيرهما . وبعد فترة من الاستعمال ضمت حكومة اسرة مينغ بعض عناصر تقويمات المسلمين القديمة مباشرة الى « تقويم داتونغ » .

والى جانب ما ذكر سابقا قام الاستاذ جمال الدين والعلماء المسلمون الآخرون بترجمة كمية ضخمة من الكتب الخاصة بعلم الفلك والتقويم والطب والصيدلة والرياضيات والجغرافيا والتنجيم . وهذه الكتب لعبت دورا ايجابيا فى زيادة تطور علم الفلك الصينى فى اسرتى يوان ومينغ . وبفضل الجهود والعنايات التى بذلت فى اسرة مينغ وتشينغ من اجل دراسة مؤلفات العلماء الفلكيين العرب والتقاويم الهجرية صارت الصين فيما بعد قادرة على استيعاب للنظريات الفلكية الاوربية الحديثة بكل سهولة .

وعندما دخل التاريخ القرن العشرين ظهرت فى الصين مجموعة من المؤلفات الفلكية القيمة التى ألفتها دفعة من العلماء المسلمين ، منها « ارشادات مشاهدة الهلال » للاستاذ دينغ تسى يوى و« تقويم هوى هوى» للاستاذ ما يى يوى و« تفسيرات التقاويم الاسلامية » للاستاذ هرانغ مينغ تشى و« الوقت والتقويم » للاستاذ هو جى له و« مبادئ التقويم الهجرى» للاستاذ محمد مكين .

وجملة القول انه منذ اسرة تانغ الى اسرة تشينغ والمسلمون الصينيون يعملون على نقل المعارف الفلكية العربية الى الصين ، الامر الذى ساعد الصين على تحسين طريقتها فى تنظيم تقويماتها المحلية ، ومكنها من تطوير علمها الفلكى تطويرا حسنا .

(٢) دادو — عاصمة اسرة يوان ومصممها

تطورت مدينة بكين على اساس عاصمة اسرة يوان — دادو . فقد جاء فى السجلات التاريخية انه قبل مدينة دادو ظهرت فى نفس الموقع على التوالى مدينة جيتشنغ — عاصمة دويلة يان فى عهد الممالك المتحاربة (٤٧٥ ق . م — ٢٢١ ق . م) ، ومحافظة تشوجيون فى اسرة سوى (٥٨١ — ٦١٨) ، وولاية يوتشو فى اسرة تانغ (٦١٨ — ٩٠٧) ، ومدينة يانجينغ فى اسرة لياو (٩١٦ — ١١٢٥) ومدينة تشونغدو فى اسرة جين (١١١٥ — ١٢٣٤) . وابتداء من اسرة يوان اصبح هذا الموقع عاصمة لكل من اسرة يوان ومينغ وتشينغ ثم لجمهورية الصين (١٩١١ — ١٩٤٩) فى مرحلتها الاولى ، اما اسمها فقد تغير من دادو الى جينغشى ثم الى بكين الحالى . ومن هنا يمكننا ان نعرف ان الشكل الابتدائى لمدينة بكين هو مدينة دادو بالذات .

فى عام ١٢١٥ احرقت مدينة تشونغدو — دادو سابقا — بنيران رهيبة اشعلها المنغول . لذلك امر امبراطور اسرة يوان مهندسا مسلما ماهرا ، يدعى

اختيار الدين ، باعادة تصميم وتشييد عاصمة جديدة على اساس المدينة القديمة .

كانت عاصمة يوان الجديدة ضخمة ومزدهرة ، تضم قصرا امبراطوريا فخما — مركز العاصمة وثلاث مجموعات من البنايات الرائعة : المجموعة الشرقية التى تنتشر حول معبد الاسلاف ، والمجموعة الغربية حول معبد الارض والحبوب ، والمجموعة الشمالية حول عمارتى الطبل والجرس ، حيث يقع اكبر سوق واعظم مركز تجارى فى المدينة كلها . وللمدينة ثمانى بوابات كبيرة ، وطرقها وشوارعها متشابكة تقسم المدينة الى ٥٠ منطقة سكنية . ومن اجل تصميم مدينة دادو وتشييدها بذل المهندس اختيار الدين كل ما عنده من جهد وذكاء ، فطور بشكل خلاق الفنون المعمارية الصينية فى مجرى عمله الذى استغرق ١٨ سنة ، وتطلب قدرا هائلا من القوى البشرية والمالية .

ووصف ليانغ سى تشنغ الاستاذ المعمارى الصينى المعاصر الكبير مدينة بكين قائلا " ان بكين عمل رائع تركه لنا التاريخ" ، و" انها خلاصة المجتمع الاقطاعى التى تعكس بشكل كامل احواله السياسية والاقتصادية والثقافية والايديولوجية ، لذلك تعد هذه المدينة متحفا عظيما لنا . "

(٣) تشنغ خه — اعظم بحار فى تاريخ الصين

خلال الفترة ما بين عامى ١٤٠٥ و١٤٣٣ ظهر فى تاريخ الصين اسطول ضخم يقوم بدوريات بحرية بين المحيط الهادى الغربى والمحيط الهندى . وقد وصل هذا الاسطول فى اقصى رحلاته الى خط العرض الرابع الجنوبى اى الى منباسا فى كينيا اليوم . وبلغت مسافة رحلاته الاجمالية ٧٠ الف ميل بحرى ، وهذه المسافة اطول من محيط الكرة الارضية بثلاث اضعاف ، فسجل بذلك صفحة مشرقة لا مثيل لها فى تاريخ الملاحة العالمية . وقائد هذا الاسطول هو تشنغ خه — اعظم بحار فى تاريخ الصين .

ان تشنغ خه (١٣٧١ — ١٤٣٥) مسلم من قومية هوى ، ولد فى مقاطعة يوننان فى عهد اسرة مينغ . واسم اسرته الاصلى هو ما ، وجده ووالده قد سافرا الى مكة المحرمة للحج ، فصارا حاجين . وعندما بلغ ١٢ سنة ارسل الى البلاط ليعمل هناك خادما خصيا بعد اجراء العملية اللازمة لذلك ، وبعد فترة من الزمن نال اعجاب الامبراطور الذى منحه اسما جديدا — تشنغ خه ، فارتقى الى منصب رئيس الخصيان فى البلاط . وفى عام ١٤٠٥ عين تشنغ خه قائدا عاما لأسطول كبير يضم ٦٢ سفينة ضخمة و٢٧٠٠٠ ملاح وحارس للذهاب الى الدول الغربية وراء البحار مبعوثا من الامبراطور . وفى المرة الاولى من رحلته قاد تشنغ خه اسطوله من ميناء مدينة سوتشو فى جنوبى الصين الى جنوبى فيتنام ، ثم الى بعض الجزر الاندونيسية ، والى سرى لانكا ، ومن هناك عاد الى الوطن . وبعد ذلك قام تشنغ خه بسبع رحلات بحرية على الاقل خلال ٢٨ سنة ، ووصل الى ٣٧ دولة ومنطقة . ورحلات تشنغ خه هذه كانت اقدم من رحلات كولومبو وغيره من الملاحين الاوربيين بنصف قرن . وتوفى هذا البحار المسلم العظيم فى نانجينغ عام ١٤٣٥ .

فى العصور الوسطى كانت الصين قد سبقت الدول الاخرى فى صناعة السفن ، والدليل على ذلك هو الاحجام الضخمة لسفن اسطول تشنغ خه ، فقد وصل طول سفينة القيادة التى كان يركبها تشنغ خه ، الى ١٣٨ مترا وعرضها الى ٥٦ مترا . وضخامة السفينة هذه لم تجد مثيلا فى اية دولة اخرى فى ذلك الوقت ، وهى التى توفر قدرة كافية للسفينة على مقاومة العواصف فى البحر ، فضلا عن استقرارها الممتاز فى كافة الظروف الجوية المعقدة .

والى جانب ذلك تمتع اسطول تشنغ خه بنظام ادارى موحد يجعل جميع الملاحين الفنيين من مختلف المجالات يعملون بتناسق طبيعى . كما ان وسائل توجيه الملاحة للاسطول كانت متطورة ايضا ، حيث اعتمدت ملاحته

على الحسابات الفلكية والبوصلة معا الى جانب القياس الميدانى لعمق المياه وظروف قاع البحر . بينما لم يعرف الملاحون الاجانب حتى اواخر القرن الخامس عشر الا طريقة واحدة للتوجيه هى مراقبة مواقع النجوم فى الليل ، كما ان جهازهم المستعمل كان بدائيا .

وقد رسم المهندسون فى اسطول تشنغ خه خريطة دقيقة للخطوط الملاحية تسمى «خريطة تشنغ خه للخطوط الملاحية» ، وتعتبر هذه الخريطة هى الاقدم من حيث نوعها فى الصين ، وهى خريطة ثمينة للغاية توضح المعارف الاولية الصينية للجغرافيا البحرية . وكان بين مرافقى تشنغ خه فى رحلاته مسلمون ، مثل ما هوان وفى شين وقونغ تشن وغيرهم ، ألفوا بعد عودتهم الى الوطن مجموعة من الكتب لتعريف ظروف البيئة والعادات المحلية فى الدول التى وصلوا اليها خلال رحلاتهم ، ومنها «مشاهداتى فيما وراء البحار» . واصبحت هذه الكتب معلومات قيمة لدراسة تواريخ وقوميات تلك الدول . ومما يجدر بالذكر ان اسطول تشنغ خه قد استفاد من بعض المعارف العربية فى ملاحته ، مما يعطينا دليلا قويا على وجود تبادل ثقافى قديم بين الصين والعرب . واكتشف تشنغ خه فى رحلاته الشاقة خطوطا ملاحية كثيرة للوصول الى الدول الغربية وراء البحار ، منها ٤٢ خطا رئيسا ، وعليها اكثر من عشرين قاعدة للابحار . وكان لهذا الاكتشاف مغزى تاريخى عظيم بالنسبة لتحديد الخطوط الملاحية الحديثة فى المحيطين الهادى والهندى .

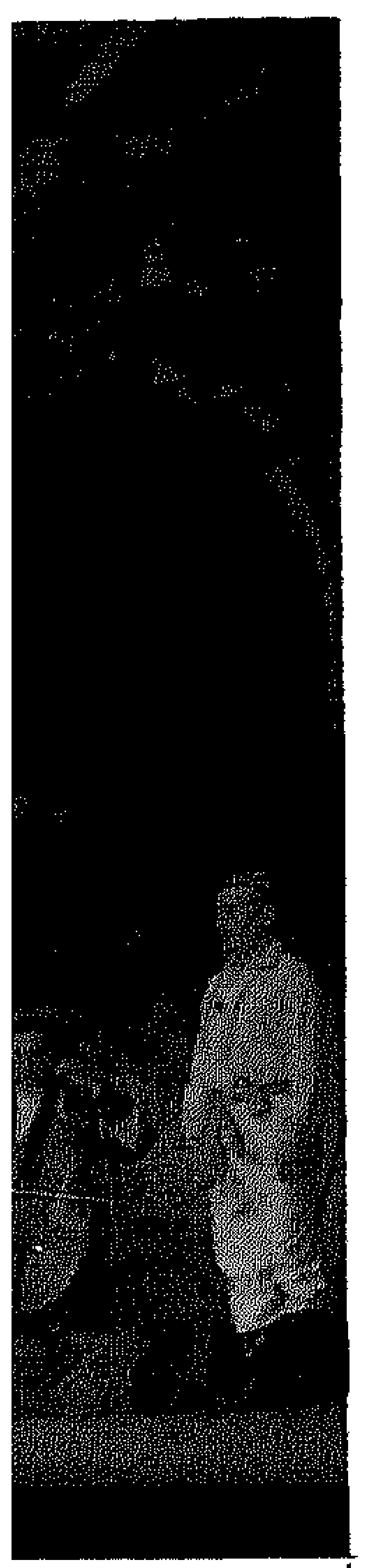
ان تشنغ خه كان قائدا قويا ومنظما ماهرا للاسطول الصينى الضخم الذى نجح سبع مرات على الاقل فى قطع البحار الفسيحة للوصول الى الدول البعيدة . بهذا طور تشنغ خه تطويرا كبيرا قضية الملاحة الصينية ، وليس هذا فحسب بل فتح على البحر "طريق الحرير والخزف" الذى ربط بين الصين والدول الآسيوية والافريقية ، واقام علاقات تجارية وثقافية بين الشعب الصينى



مسلمون ورعون



فتيات ويغوريات فى عيد العنب



عرض ألحان « ١٢ مقاما » لقومية الويغور

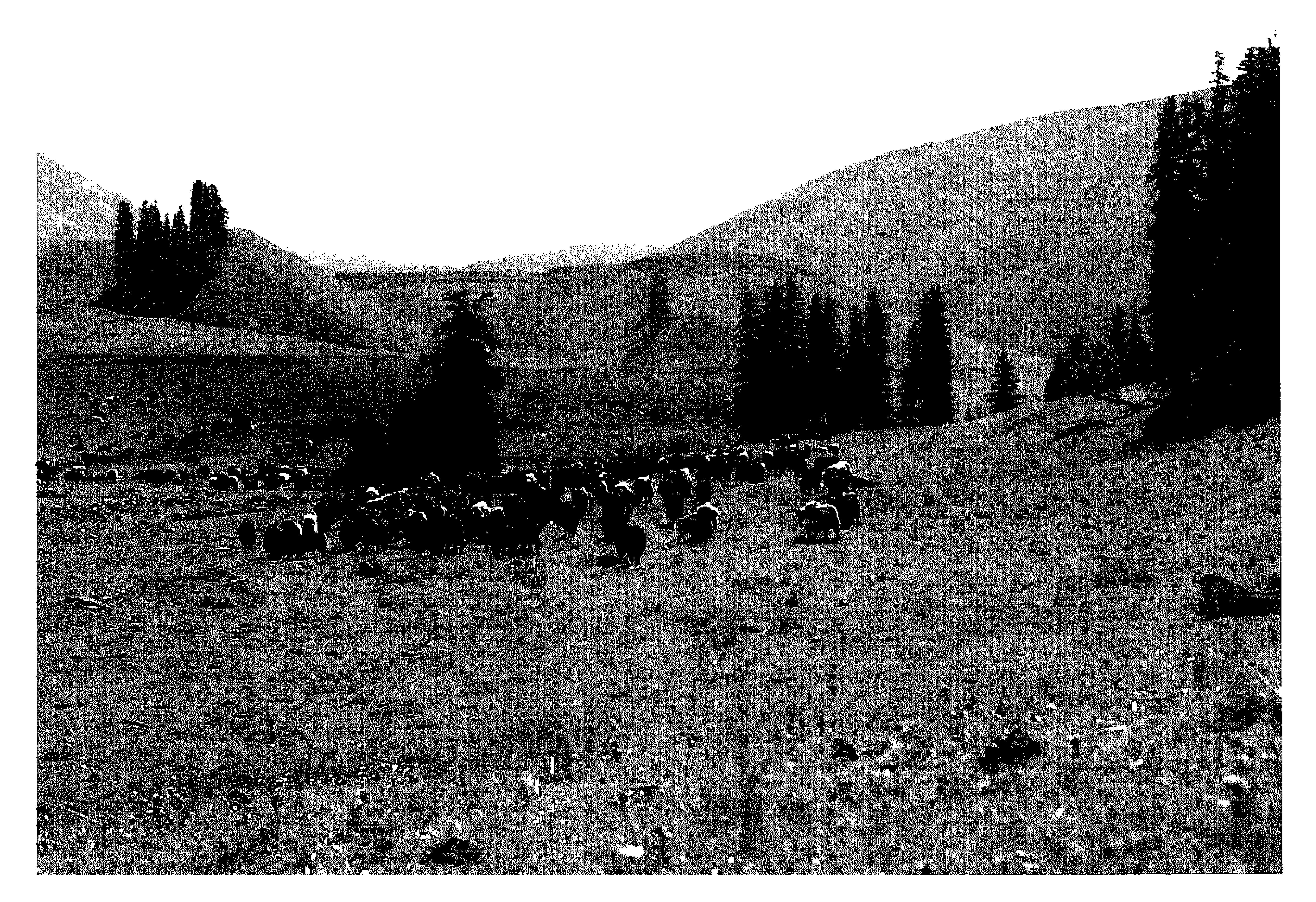




بنات من قومية القازاق

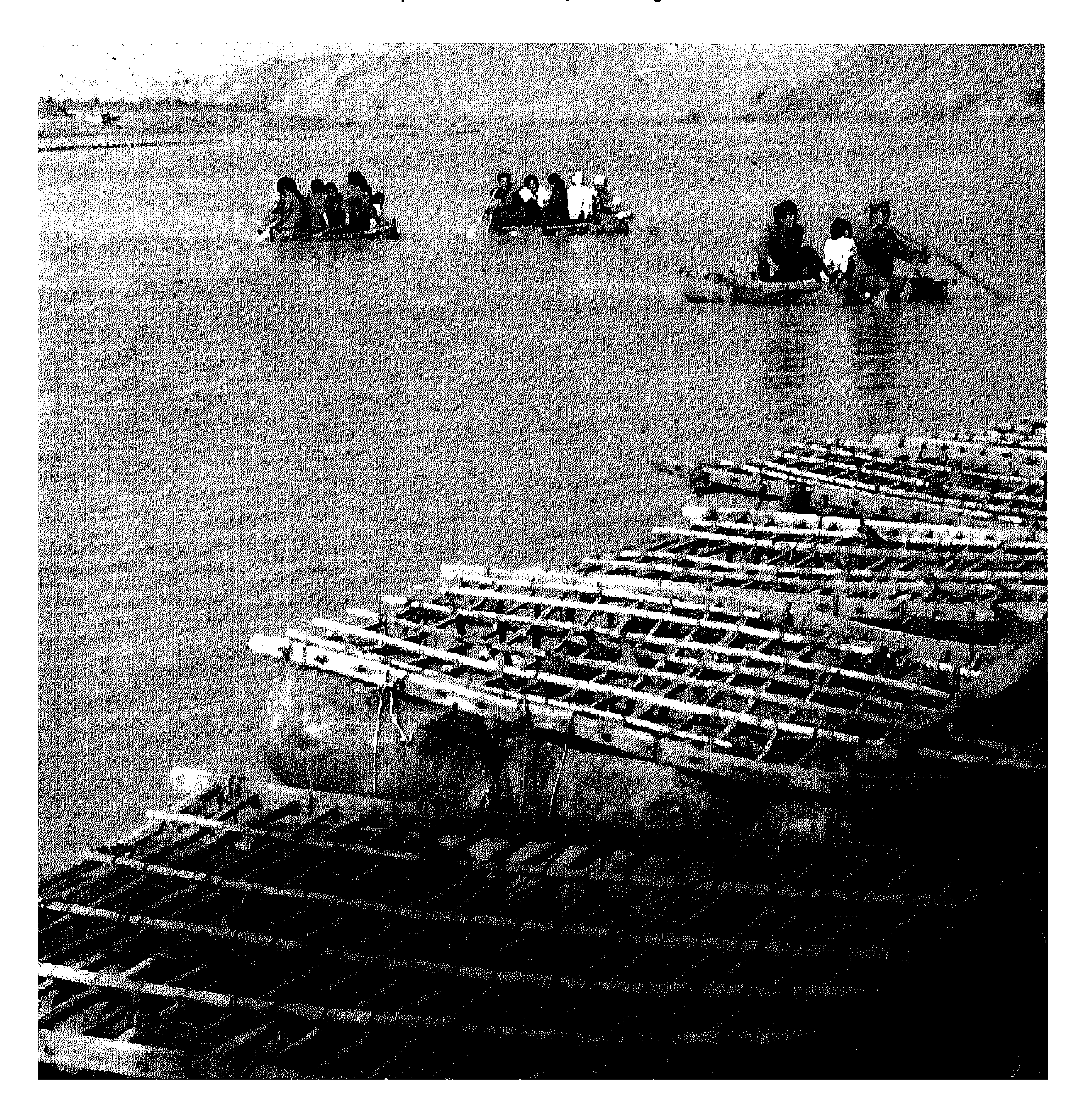


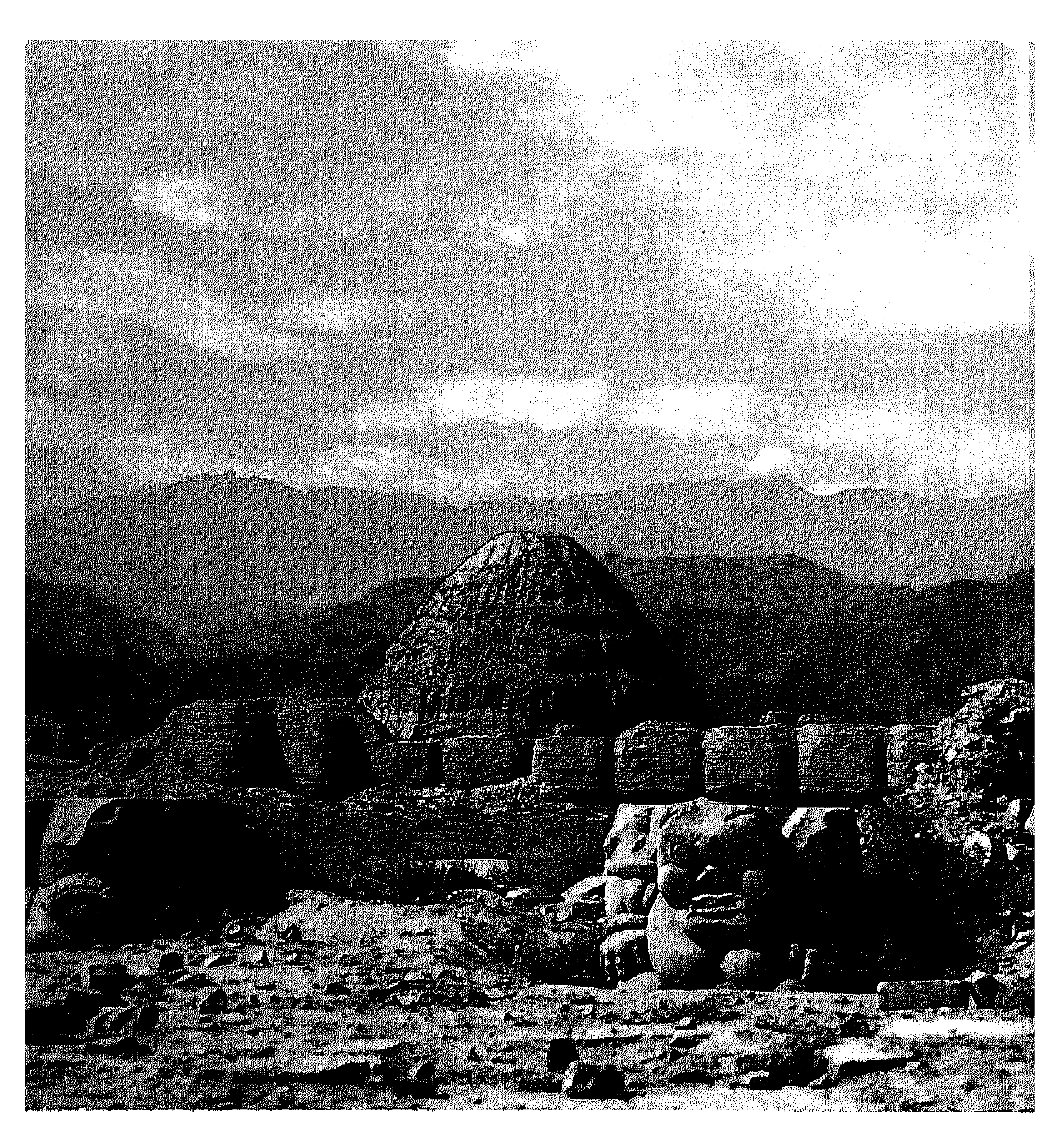
أسرة ويغورية



مرج من مروج شينجيانغ

اطواف مصنوعة من جلد الغنم

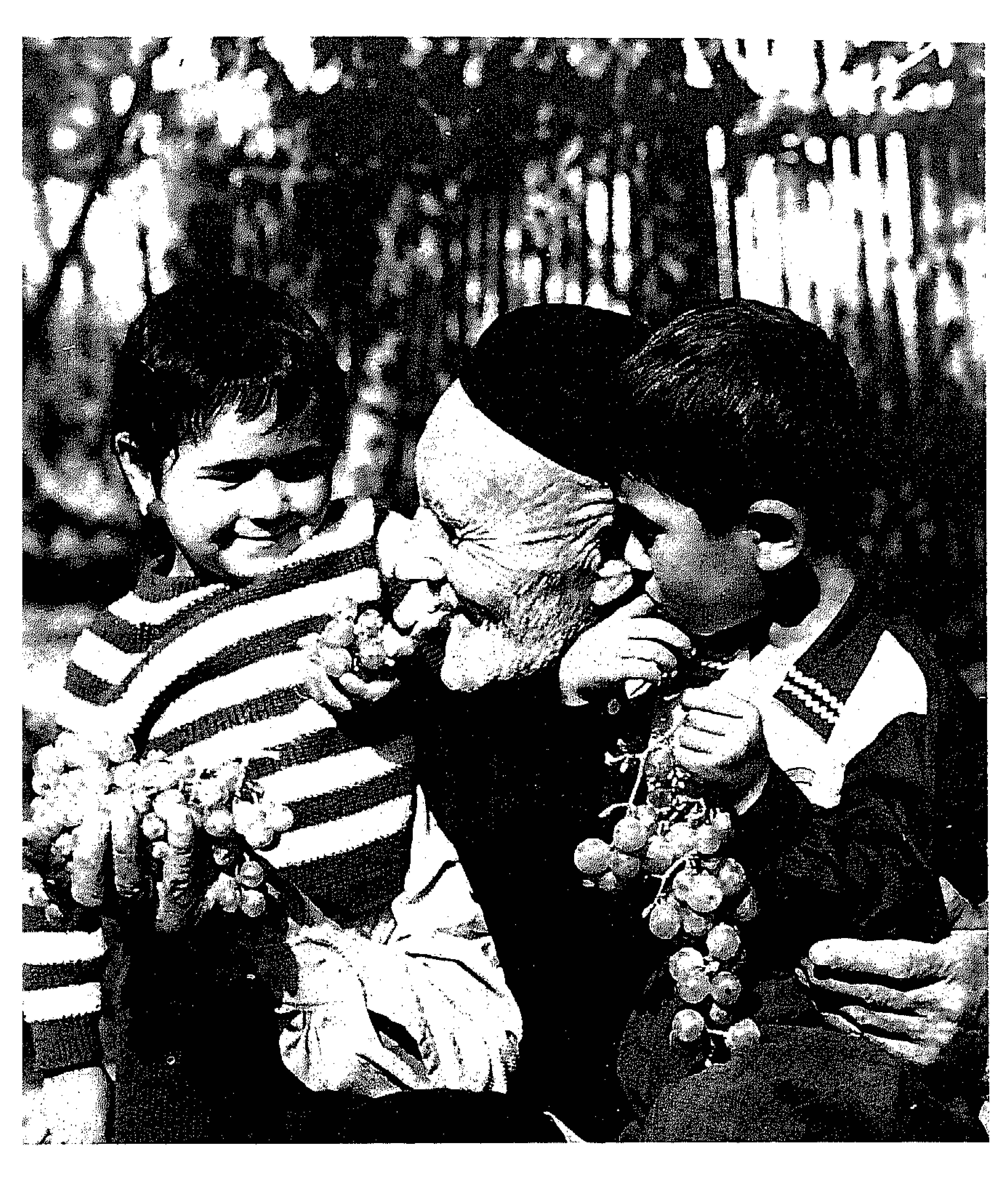




مقبرة من مقابر اباطرة أسرة شيا الغربية(١٠٢٨ — ١٢٢٧)



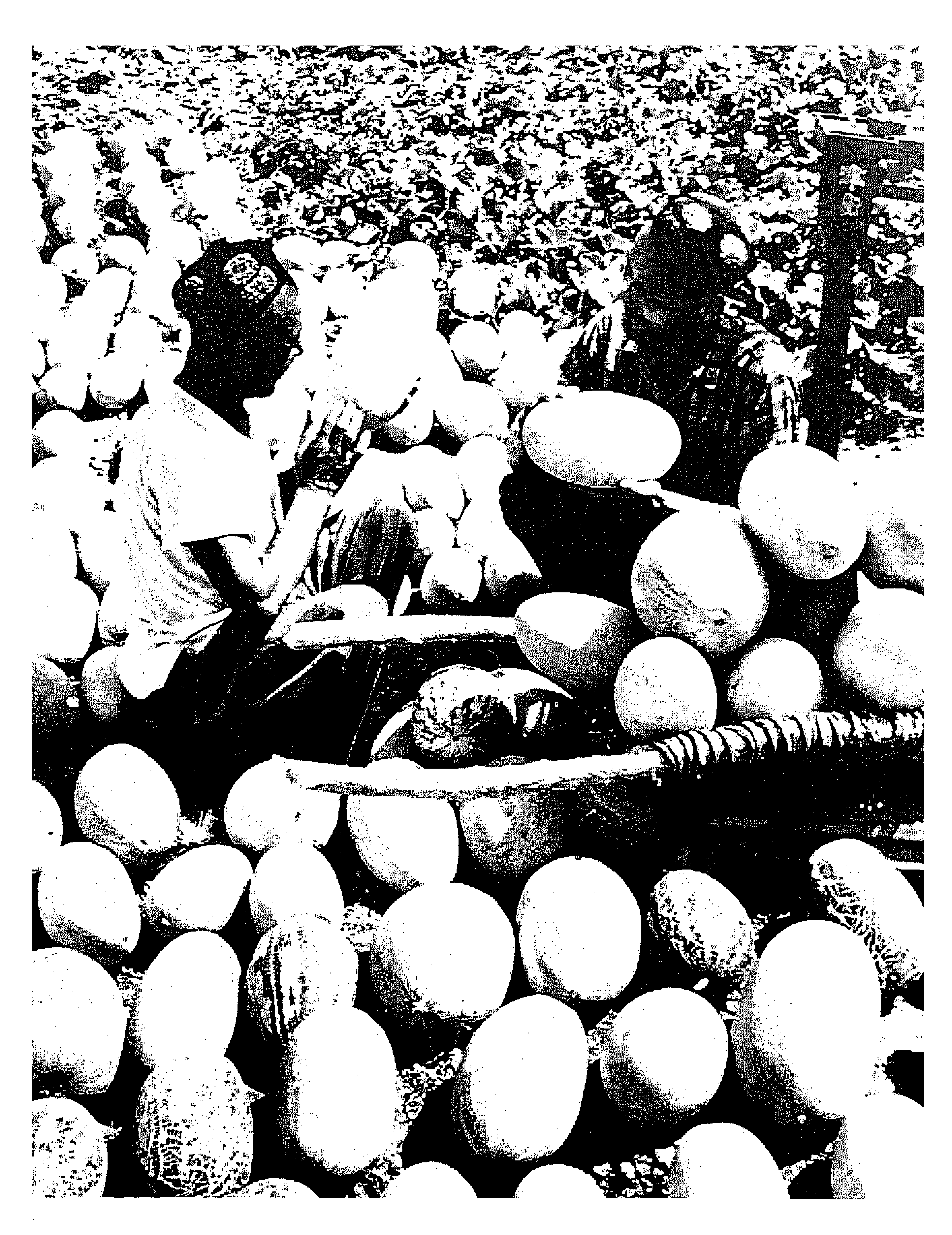
مزمار «النسر» لقومية الطاجيك



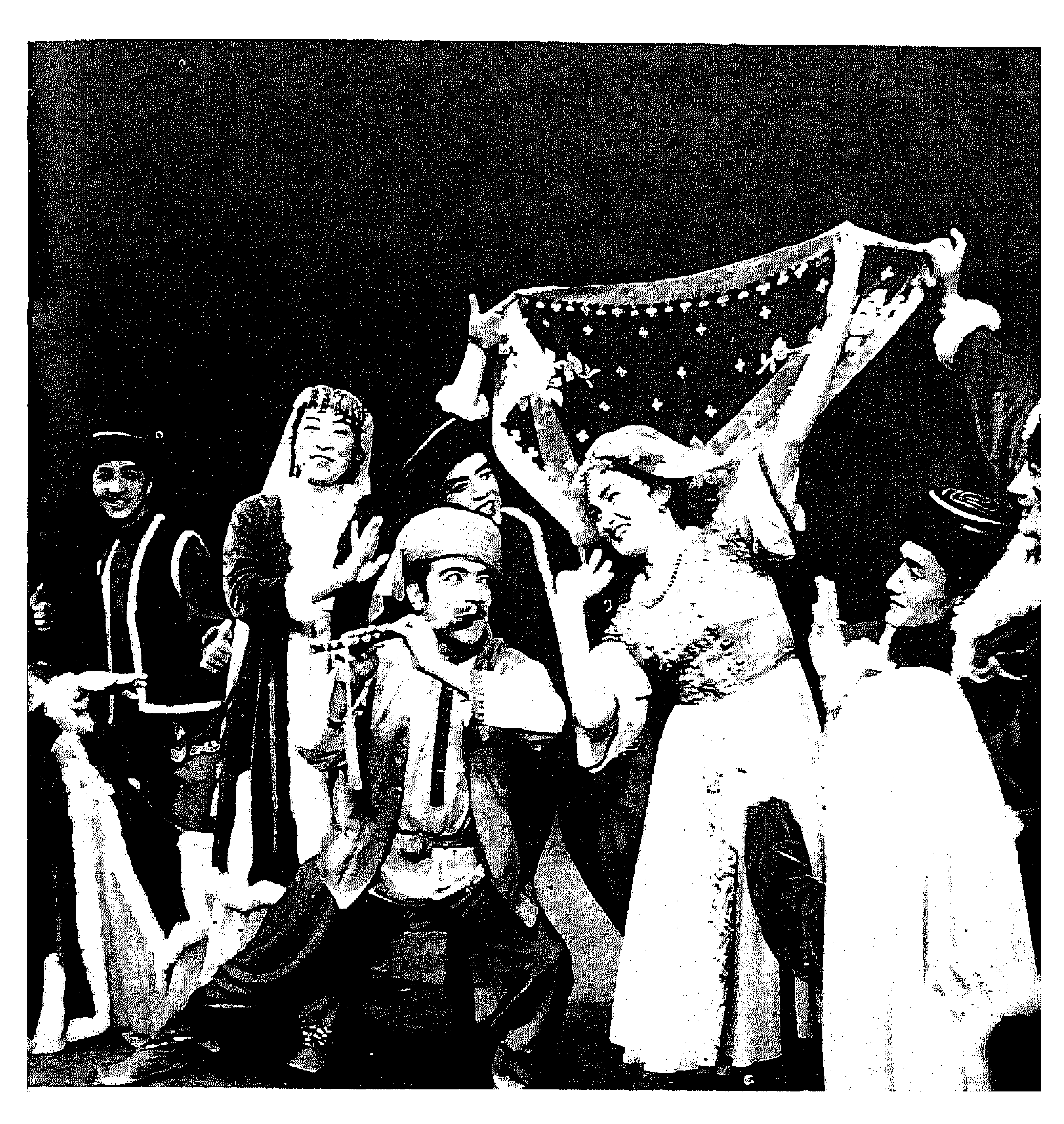
شيخ وطفلان من قومية التتار

نساء من قومية القرغيز





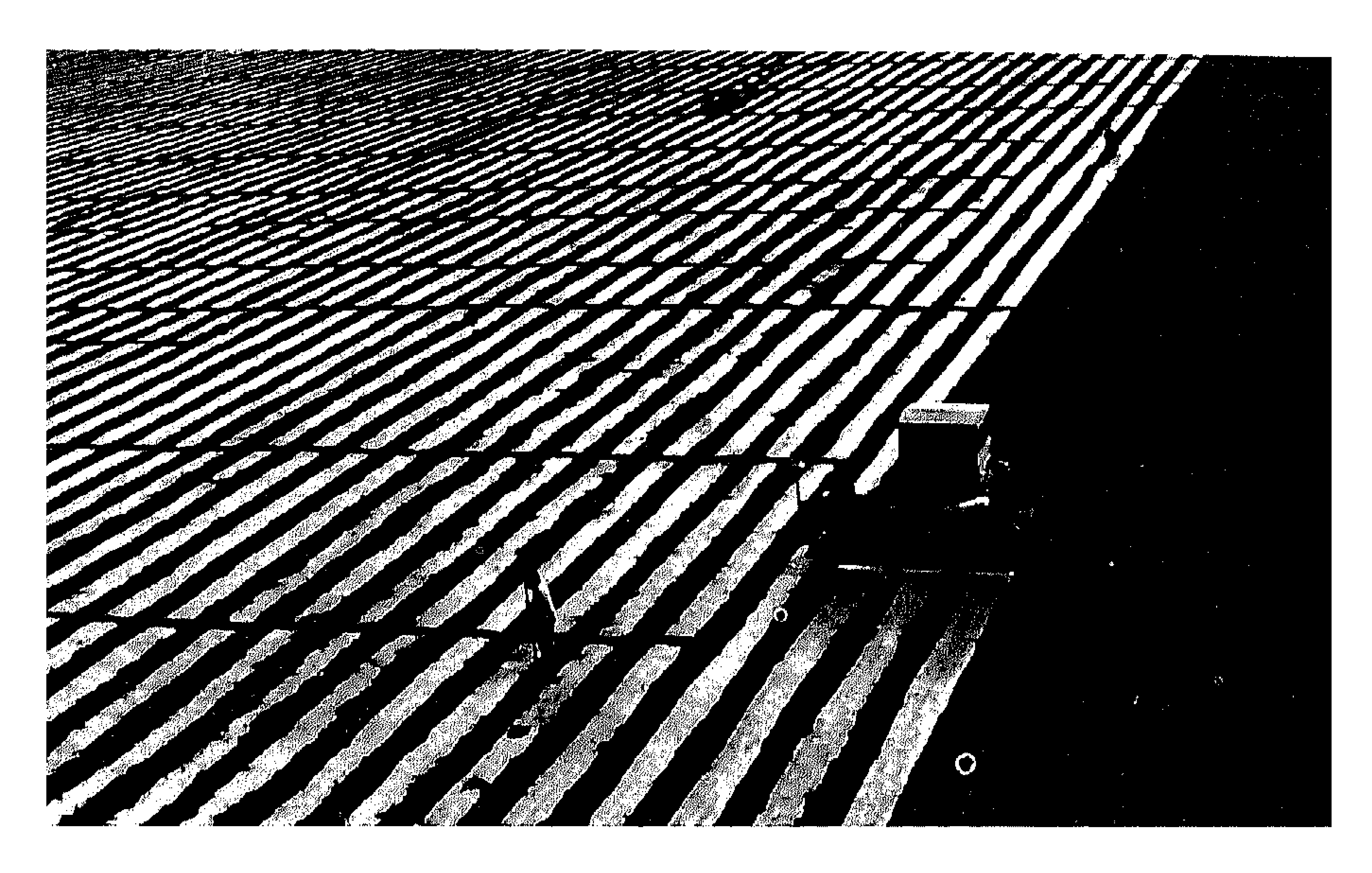
حصاد وافر من شمام هامي



· رقص وغناء لقومية الطاجيك



حمير وعربات تجرها الحمير — وسيلة المواصلات القديمة



الحقول المزروعة المستصلحة من الصحراء



بحيرة بشينجيانغ يعيش فيها التم

وشعوب تلك الدول ، وعزز بينها روح التفاهم والصداقة .

(٤) المؤلفات التاريخية والادبية الوفيرة

لقد ترك المسلمون عددا لا يحصى من المؤلفات الخالدة فى تاريخ الصين . وقد توزعت مؤلفاتهم الباهرة هذه فى مجالات عدة كالادب والتاريخ والفلسفة وفقه اللغة ، حتى الادب الشعبى فيه ايضا عدد كبير من الاعمال العظيمة . وقد ظهرت فى مختلف القوميات المسلمة دفعة بعد دفعة من العلماء والادباء والمؤرخين والشعراء المشاهير ، واحتل بعض اعمالهم مكانة هامة فى ميدان الادب فى الصين والعالم ، من ذلك القصائد البارعة والكتب الرائعة والقواميس مثل « ديوان شعر يانمن » بقلم سعد الله من قومية هوى و« الكتاب المخزون » بقلم لى تشى و« قاموس اللغة التركية » من تأليف محمد الكاشغرى من قومية الويغور و« قوتاد غوبيليك » (حكمة السعادة والبركة) — قصيدة روائية — بقلم يوسف خاص حاجب من قومية الويغور و« مخرج الى الحقيقة » بقلم احمد يوقناك من قومية الويغور و« رابية وسعد الدين » بقلم عبد الرحيم نضال من نفس القومية ، وكذلك القصص والاشعار التى تتوارثها ابناء القوميات المسلمة جيلا عن جيل . وفى مجال الادب الشعبى نجد كثيرا من الملاحم التاريخية والقصائد القصصية ذات المعنى العميق والاسلوب الرائع ينتشر بين الرعاة من قوميتى القازاق والقرغيز مثل « صالح وسلمى» بقلم خضر من قومية القازاق . ولقومية القازاق اكثر من ٢٠٠ قصيدة قصصية طويلة تتردد على ألسنة المغنين منذ القدم . ومن بين الملاحم البطولية لدى قومية القرغيز ملحمة مشهورة بعنوان « ماناس » ، وهى رمز لمجد ابناء قومية القرغيز وكنز نفيس فى ادب الامة الصينية . ويجب ان نذكر هنا بصورة خاصة ان فى تاريخ الصين مجموعة من الشعراء والادباء المشاهير انحدرت من قومية هوى مثل بو شو تشنغ وقاو كه قونغ وما جيو قاو وديغ خه نيان وسعد الله .

وفى مجال الابحاث التاريخية حول الدين الاسلامى والقوميات المسلمة العشر فى الصين قدم الباحثون من مختلف القوميات المسلمة اسهاماتهم القيمة ، فكتبوا مجموعة كبيرة من المؤلفات التاريخية الهامة مثل « مفتاح مشاكل فى الكتب المتنوعة » بقلم تشان ينغ بنغ و« ابحاث حول الاسلام » بقلم تشانغ شين و« سيرة خاتم الانبياء » (فى ٢٠ مجلدا) بقلم ليو تشى وغيرها لمؤرخى قومية هوى . وفى منطقة شينجيانغ ايضا كمية كبيرة من الكتب التاريخية المكتوبة باللغة الويغورية . ومن اشهر المؤرخين هناك ميرزان محمد هدار (له كتاب « تاريخ رشيد ») ومحمد صادق الكاشغرى (له كتاب « سيرة الخوجه ») . وكل هذه الكتب الويغورية تتميز بأهمية اكاديمية كبيرة ، اذ انها تحتوى معلومات تاريخية دقيقة حول شينجيانغ خلال الفترة ما بين القرن الـ ١٣ — الـ ١٩ التى تفتقر الى المقدار الكافى من المعلومات المسجلة باللغة الصينية بشأن تلك المنطقة . واضافة الى ذلك ورث المسلمون الصينيون ، ولا سيما مسلمو قومية هوى الذين يتوزعون فى مختلف انحاء البلاد ، التقاليد الادبية الصينية القديمة ، فسجلوا اعدادا عظيمة من شجرات النسب وتواريخ المساجد ، ونقشوا على اللوحات الحجرية الحوادث التاريخية ، مما حفظ كثيرا من المعلومات التاريخية النادرة ، وقدم مرجعا موثوقا للدراسات التاريخية حول الدين الاسلامى الصينى والقوميات المسلمة المختلفة والتعليم المسجدى فى المدارس والاسر الاقطاعية المسلمة الهامة فى الصين .

(٥) اشكال متنوعة للادب والفن

لقد حقق المسلمون منجزات فريدة ورائعة فى جميع مجالات الادب والفن تقريبا ، مثل الخط والرسم والفنون اليدوية والموسيقى والرقص والمسرحية والطهو وألعاب ووشو .

وفيما يتعلق بالخط والرسم برز من القوميات المسلمة عدد من الرسامين والخطاطين المشاهير ، مثل شمس الدين وسعد الله وساى جينغ تشو وقاو كه قونغ ومو تشونغ يى وغيرهم ، وبعضهم ما زال على قيد الحياة . هناك اسهام آخر قدمه هؤلاء فى الفنون الجميلة الصينية هو فن الخط باللغة العربية ، ذلك لأن المسلمين الصينيين القدماء كانوا يعتنون عناية شديدة بمهارة نسخ نصوص القرآن الكريم ، فبذلوا اقصى جهودهم لتجميل كتابتهم العربية . وقد حفظت فى القصر الامبراطورى فى اسرة تشينغ ثلاثون نسخة من القرآن الكريم ، كتبت كلها بخط عربى رائع على ورق باولان — اجود ورق فى ذلك الحين ، وبحبر مصنوع من المسحوق الذهبى ، والغلاف الملفوف عليها من الحرير الاصفر الذى لا يجوز ان يستخدمه غير الاباطرة . وتعتبر نسخ القرآن هذه اثمن من جميع انواع النسخ الاخرى فى الصين . والى جانب ذلك كتب او نقش المسلمون الصينيون كمية هائلة من النصوص والعبارات الادبية على الالواح الحجرية والخشبية او على الورق ، ومنها اعمال رائعة جدا تعكس مستوى فنيا عاليا للمسلمين .

وباختصار قدم المسلمون اسهاما عظيما لتطور الامة الصينية فى مختلف المجالات .

١٤ — لماذا يعد «قوتاد غوبيليك» (حكمة السعادة والبركة) و«قاموس اللغة التركية» مؤلفين كلاسيكيين عظيمين فى كنز الامة الصينية الادبى ؟

لقد تم تأليف هذين المؤلفين العظيمين فى القرن الحادى عشر ، اى فى عهد اسرة قلاخان فى تاريخ شينجيانغ المحلى . كان الدين الاسلامى قد انتشر انتشارا واسعا في شينجيانغ فى ذلك العهد ، بعد ان حل الاسلام محل

البوذية بسبب اعتناق احد ملوك تلك الاسرة العقيدة الاسلامية . ومع ازدهار الثقافة الاسلامية فى شينجيانغ ظهر على التوالى هذان المؤلفان اللذان يشيران الى ارتقاء قومية الويغور الى مستوى اعلى فى طريق تطوير ثقافتها وعلومها .

وكاتب « قوتاد غوبيليك » (حكمة السعادة والبركة) الخالد هو يوسف خاص حاجب الذى ولد فى اسرة نبيلة . انه مسلم تقى قرأ كثيرا من الكتب الدينية الكلاسيكية ، والم بما فيها من المذاهب الاسلامية . وكان فى الوقت نفسه شاعرا وفيلسوفا ومفكرا . وعندما انجز مؤلفه العظيم بين عامى ١٠٦٩ و١٠٧٠ نال تقدير ملك اسرة قلاخان واعجابه ، فمنحه ، لقبا شريفا — خاص حاجب . ويتكون « قوتاد غوبيليك » (حكمة السعادة والبركة) من ٧٢ فصلا تضم اكثر من ١٣ ألف سطر ، وكتبت مقدمته بأسلوبين : الاسلوب النثرى والاسلوب الشعرى . ويتميز هذا الكتاب بتماسك التركيب وشمول المعارف ، وقد ضمنه الكاتب عددا كبيرا من الحكايات والاغانى والامثال والاقوال المأثورة التى كانت شائعة بين ابناء الشعب . لذلك اعتبر نموذجا فى العروض والبلاغة للغة هويخه القديمة . ونظرا لاشتماله على المعارف المتعلقة بالسياسة والاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والطب وغيرها ، فلا يعتبر كتابا كلاسيكيا ثمينا فحسب ، بل ان وظيفته تجاوزت النطاق الادبى الى حد بعيد ، فأصبح سجلا تاريخيا نفيسا لدراسة المجتمع الهويخى القديم .

وقد اكتشف حتى الآن ثلاثة انواع لكتاب « قوتاد غوبيليك » (حكمة السعادة والبركة) ، احدها كتب باللغة الهويخية القديمة ، وانتقل الى تركيا فى القرن الخامس عشر ثم اخذ الى اوروبا ، ويحفظ حاليا فى فيينا بالنمسا . اما النوعان الآخران فقد وجدا فى مصر عام ١٨٩٧ وفى الاتحاد السوفياتي عام ١٩٢٤ كل على حدة .

ان « قاموس اللغة التركية » ظهر الى حيز الوجود فى نفس فترة « قوتاد غوبيليك » (حكمة السعادة والبركة) ، وكلاهما يتمتعان بشهرة واحدة فى المحيط الاكاديمى . وكاتب القاموس اسمه محمد الكاشغرى الذى ولد فى اسرة غنية مشهورة فى كاشغر بشينجيانغ ، وهو خلف لأحد ملوك اسرة قلاخان . وقد انهمك فى تعلم اللغة العربية فاستوعبها استيعابا تاما ، كما انه ألم بالمعلومات القيمة المسجلة باللغة العربية ، وزد على ذلك ان مستواه فى اللغة التركية مرتفع ايضا . وبعد فترة طويلة من الاستطلاع الميدانى ومراجعة المعلومات الوافرة توصل الى ادراك شامل لتغيرات الحدود التاريخية واحوال انتقال القوميات والظروف الطبيعية والجغرافية ، وكذلك تقاليد وعادات الاهالى وطرائفهم وقصصهم فى شينجيانغ وآسيا الوسطى . وفى العقد السابع من القرن الحادى عشر انتهى محمد من تأليف كتابه « قاموس اللغة التركية » فى بغداد . وينقسم القاموس الى ثلاثة اجزاء وثمانية اقسام ، ولكل قسم مجلدان كبيران . ويتم ترتيب الاقسام حسب مبدأ التبويب المنطقى وتركيب مصادر المفردات . ويتكون الجزء الاول مثلا من ٣٢٨٠ مفردة ، تشتمل على المحتويات الشاملة من علم الفلك والجغرافيا والطيور والحيوانات والنباتات والاشجار والادوات المعدنية والحجرية والاوعية والمأكولات والملابس واعضاء الجسم وكذلك على جميع مفردات الفعل التى تبين الحركات واشكالها . وكل هذه جسدت بشكل كامل سعة معارف الكاتب وسلامة آرائه .

ان « قاموس اللغة التركية » لا يعتبر اداة ممتازة فى الدراسة اللغوية فحسب ، بل يعد موسوعة مفيدة تشمل معارف كثيرة فى مختلف المجالات العلمية ، وقلما نجد امثاله فى العالم . وقد احتوى هذا القاموس على معلومات دقيقة حول اللغات المنطوقة والمكتوبة لمختلف القوميات الناطقة باللغة التركية ، التى عاشت فى شينجيانغ وآسيا الوسطى فترة من التاريخ كما احتوى على

احوال الموسيقى والتواريخ والبيئة الجغرافية والمنتجات الطبيعية هناك . ومثال ذلك ان الكاتب جمع فى قاموسه مئات القصائد والاغانى الشعبية واكثر من مائتى مثل وقول مأثور وبعض الاقوال الحكيمة المحلية ، وهذه كلها عكست ذكاء القدماء وعاداتهم وعقائدهم القديمة .

وبين صفحات القاموس خريطة عالمية مستديرة الشكل ، رسمها الكاتب على اساس فهمه ورصده للعالم ومنطقة آسيا الوسطى ، وقد عبرت عن آراء الكاتب الفريدة فى هذا الصدد .

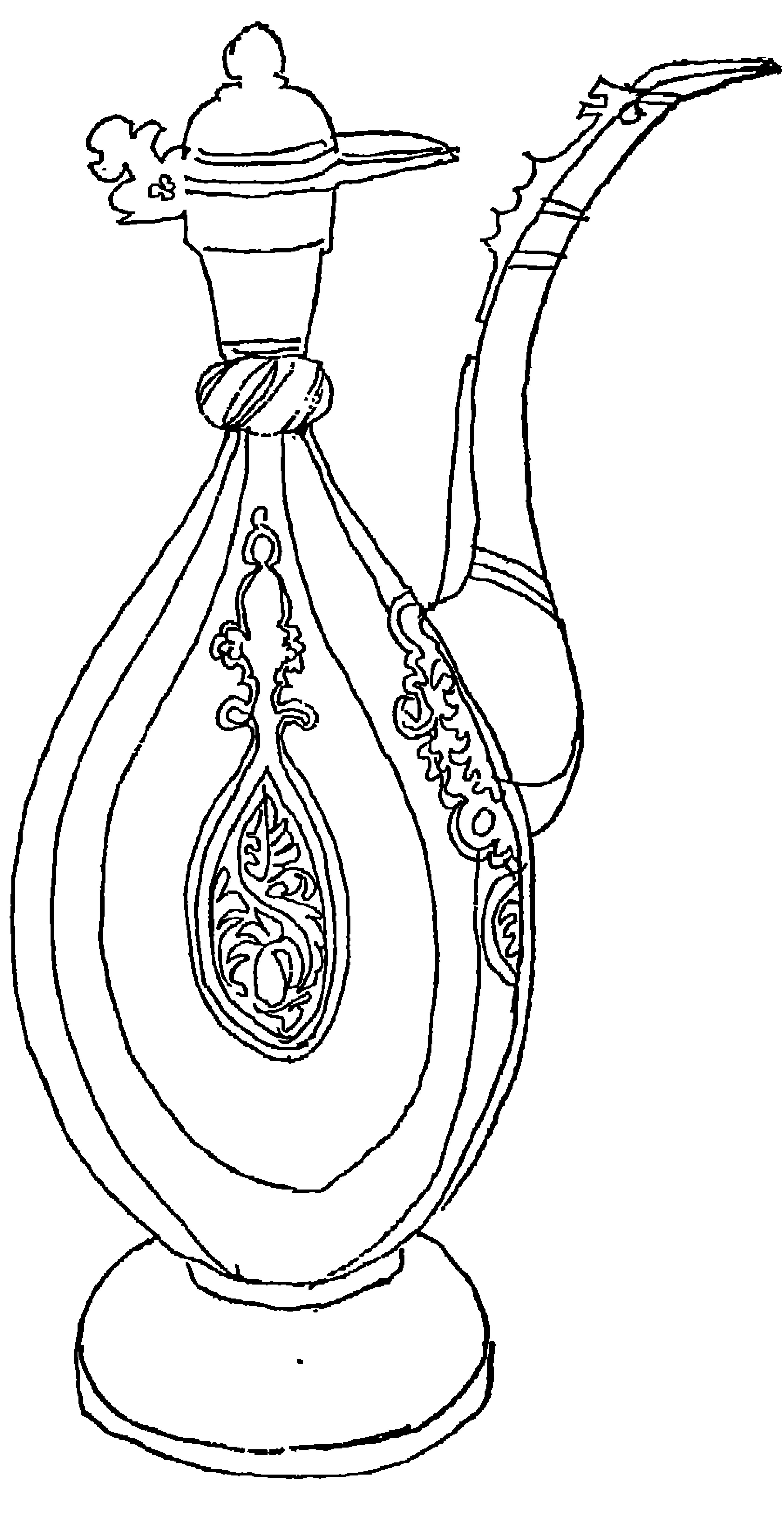
وجملة القول ان هذين المؤلفين العظيمين يحتويان مضامين وافرة ، وقد اضافا الى التراث القومى الصينى ألقا وازدهارا . ومن هنا يمكننا ان نفهم ان ابناء الاقليات القومية المقيمين فى شينجيانغ قد اسهموا بنصيبهم الكبير فى تطوير الحضارة الصينية العظيمة جنبا الى جنب مع ابناء القوميات الاخرى فى بقية انحاء البلاد .

١٥ ــ ماذا يجيد المسلمون الصينيون فى مجال الفنون التقليدية ؟

لكل قومية من الاقليات القومية فى الصين اسهام فى فنون التصميم والزخرفة . وهذا الوضع يشبه بستانا فسيحا تنبت فيه ازهار جميلة متنوعة ، ومن بين هذه الازهار زهرة زاهية نادرة ، الا وهى الفنون اليدوية لأبناء القوميات المسلمة الذين يشتهرون بأساليب فريدة رائعة فى التطريز والترقيع والحياكة والنقش .

(١) قبعات شينجيانغ المزخرفة

ان قبعات شينجيانغ المزخرفة ليست مجرد نوع من اللوازم اليومية لأبناء قومية الويغور والقازاق والقرغيز ، بل تشكل انتاجا مشهورا يصدر الى خارج البلاد . وفى شينجيانغ قوميات مسلمة كثيرة ، ولكل قومية ذوق خاص فى صنع قبعاتها . فلقومية الويغور مثلا طرق مميزة فى تطريز القبعة : منها التطريز



ابريق فضي لقومية الويغور

على المخمل بالاسلوب الانبساطى والتطريز على المخمل بأسلوب التعقيد وبالاسلوب الصليبى والتطريز بنظم اللآلئ فى الخيوط الحريرية ، او الزخرفة بالخيوط الذهبية والفضية والزخرفة بالخرزات الملونة وغيرها من طرق التوشية المباشرة . والى جانب القبعات الصوفية الرسمية هناك قبعات مصنوعة من القماش او محاكة بالخيوط الحريرية وبالتطريز بالابر المعقوفة . وفى شينجيانغ يحب جميع الناس لبس هذه القبعات ، سواء أكانوا اطفالا ام شبابا ام نساء ام شيوخا ام ائمة فى المساجد ، وتختلف هذه القبعات باختلاف اعمارهم وجنسهم ومهنهم . اما صانعو هذه القبعات فمعظمهم من النساء ، فتيات وعرائس وعجائز .

لقد اشتهرت مدينة كاشغر بجودة قبعاتها ، ويمكن اعتبار كل قبعة مصنوعة فيها عملا فنيا رائعا ، وفيها شارع لا تباع فيه الا هذه القبعات الجميلة التى وردت من مختلف انحاء شينجيانغ ، فأصبحت المدينة بذلك نافذة تعرض فيها قبعات شينجيانغ للخارج . وهناك نوع خاص من قبعات الرجال يصنع من المخمل الاسود ، طرزت عليها ازهار بيضاء ، فيبدو على لابسها سيماء الاتزان والاناقة . وفى منطقة ختيان قبعات نسائية ذات شهرة كبيرة ، وهى صغيرة نسبيا مزخرفة بخطوط متشابكة . ويعتقد الناس ان قبعات ختيان هذه من الدرجة العليا فى شينجيانغ كلها . وفى منطقة كوتشار قبعات مزينة بالخرز المدنتل والطبلى الشكل ، وهى محببة الى النساء الشابات كثيرا . وهناك كثير من المناطق الاخرى فى شينجيانغ تنتج قبعات مميزة .

(٢) حرير " أدلاس "

تحب نساء شينجيانغ ان يفصلن فساتينهن بحرير " أدلاس " ، ذلك لأن هذا الحرير خفيف ناعم . والفستان المخيط منه يجعل لابسته تشعر كأنها تطير فى سحاب الجنة الذى يتماوج لونه . وأدلاس فى اللغة الويغورية يعنى جناح طائر الوقواق الجميل .

وتاريخ حرير أدلاس يرجع الى ما قبل ألفى سنة ، انه ابتكار خاص بقومية الويغور . وطريق صبغه قديم جدا يتميز بميزة خاصة ، فمن المطلوب ان يتم صبغ الحرير بعد عملية ربط بعض خيوط السداة حسب الرسوم المصممة. ولهذا الحرير اربعة ألوان اساسية ، وهى الاسود والاحمر والاصفر ولون مختلط ، واللون الاسود منها يكون اقدم استخداما .

وخصائص هذا الحرير تختلف حسب اختلاف مواقع انتاجه داخل شينجيانغ . والحرير المصبوغ فى ختيان ولوفو مثلا يمتاز بلونين اسود وابيض ، وتبدو رسومه ذات حيوية وبساطة ، اما المنتجات الحريرية فى كاشغر ويارقند فتشتهر بالالوان الزاهية .

ودائما ما يكسب حرير أدلاس الناس شعورا رومانسيا . وسبب جماله السحرى يعود الى التصميمات الفريدة التى رسمت على الحرير ، منها صور ازهار شجر "بادان" وصور الخطوط الخشبية الطبيعية وصور المشط وغيرها من الرسوم والاشكال الواردة من الحياة الواقعية . ومن اجل جعل الحرير اجمل واكثر جاذبية يعمل ابناء شينجيانغ المسلمون على تجديد تصميماتهم على اساس حياتهم السعيدة الراهنة .

(٣) السجاد الويغورى فى شينجيانغ

يمتد تاريخ نسج السجاد فى شينجيانغ الى ما قبل ألفى سنة . وبما ان سجاجيد شينجيانغ تتمتع بالتقاليد التاريخية الطويلة ، فقد اشتهرت منذ القدم بمهارة فنون النسج وجمال الرسوم المصممة داخل البلاد وخارجها . (لسجاد شينجيانغ موضوع خاص آخر)

(٤) الفخاريات المطلية بالمينا فى كاشغر

تعتبر الفخاريات المطلية بالمينا اعمالا فنية شعبية متميزة فى كاشغر بشينجيانغ . فحينما كان يجرى التبادل بين الشرق والغرب منذ زمن بعيد

مرورا بطريق الحرير القديم اشتهرت هذه الفخاريات الجميلة التى تحمل جاذبية قوية بفعل ألوانها الباهرة واشكالها الفريدة .

ولفخاريات كاشغر نوعان ، احدهما ينتمى الى الادوات اليومية ، والآخر يبدو فى اشكال الحيوانات المنحوتة المحببة التى تنتمى الى الاعمال الفنية المزخرفة . وكل هذه الفخاريات يتم انتاجها على ايدى الفنانين المهرة . والالوان المستعملة رئيسيا فى صنعها هى الاخضر القاتم والاخضر الفاتح الضارب الى الازرق والبنى والازرق والاصفر القاتم والاحمر الفاتح وما الى ذلك . اما فعالياتها الفنية فى البناء فتتشابه تماما مع ما يظهر فى الفخاريات المزخرفة المستخدمة فى البنايات الاسلامية الفخمة فى الدول العربية . لهذا اكتسبت فخاريات كاشغر شهرة كبيرة فى الصين وخارجها .

(٥) الادوات اليشمية فى شينجيانغ

لقد اشتهرت شينجيانغ بأدواتها اليشمية منذ قديم الزمان . وعلى الاخص الادوات والزينات اليشمية التى نقشها الفنانون فى منطقة ختيان ، اذ تجد اقبالا واسعا من الزبائن الصينيين والاجانب . وانتاج الادوات اليشمية هناك كالمسابح والقلائد والخواتم والكؤوس المنيرة فى الليل وقطع الشطرنج لم يعد حاليا يفى بالحاجة .

(٦) مطاوى شينجيانغ التقليدية

فى شينجيانغ اربع قواعد مشهورة فى انتاج المطاوى التقليدية . وقاعدة "ينغجيشا" تتميز بشهرة اعظم ، اذ ان منتجاتها جميلة الطراز وكثيرة النوع ، ولكل مطواة غمد مزخرف ، ومقبضها مصنوع من الخشب الممتاز ، وقد نقشت عليه علامة "ينغجيشا" . وذباب المطواة حاد جدا ، لكنه قوى للغاية ايضا ، حتى اذا استخدم لقشط قضيب حديدى فانه لا يتأثر بذلك . لهذا السبب بالذات يحب الناس مطاوى "ينغجيشا" حبا جما ، وهى

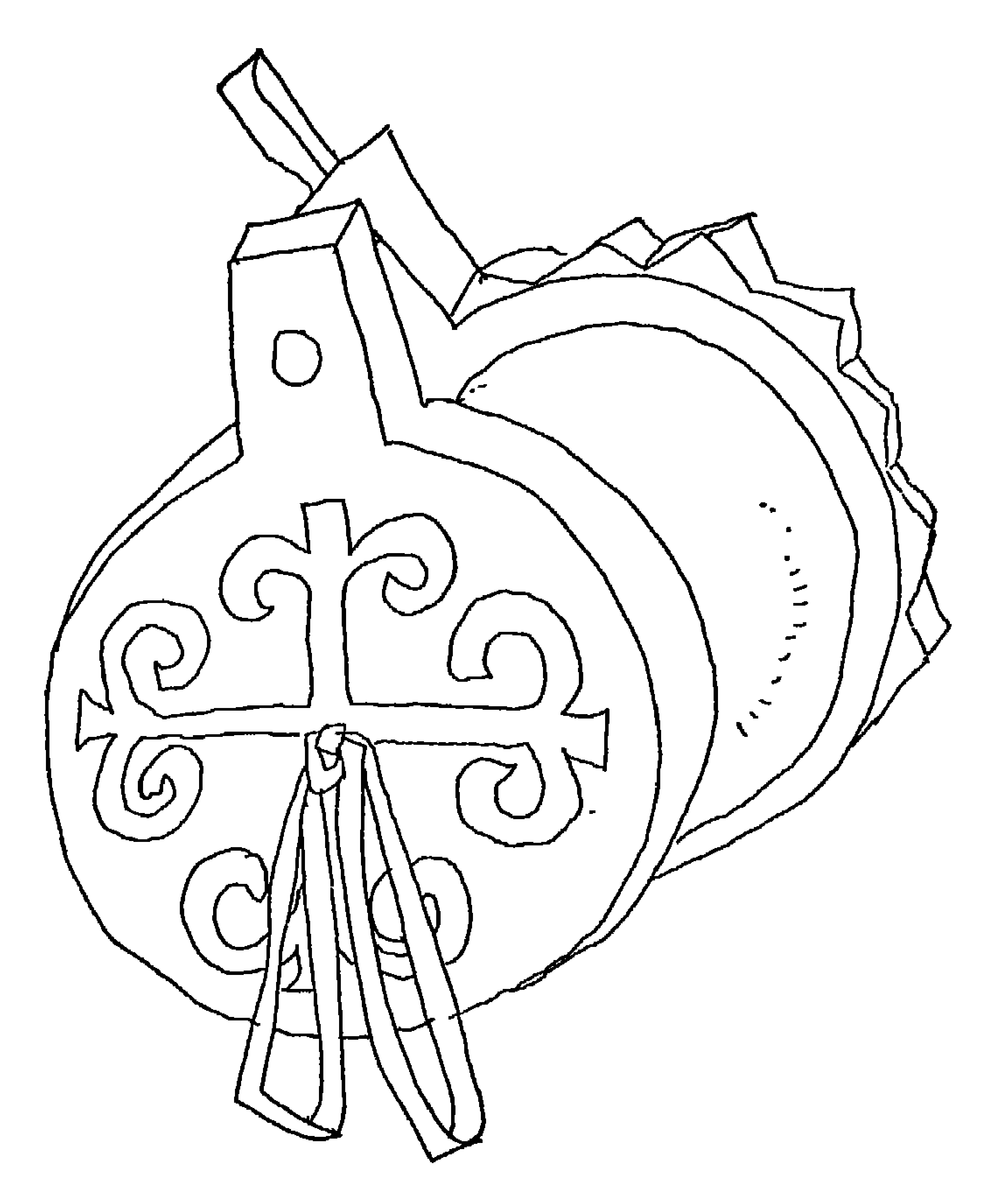
تصدر الى اليابان والمانيا الاتحادية والولايات المتحدة الامريكية وباكستان ، حيث تلقى رواجا كبيرا .

(٧) مناديل اللباد لقومية القازاق

من عادة ابناء قومية القازاق ان يقوموا بترقيع قطع قماشية من مختلف الاشكال والالوان على مناديل اللباد ، فصارت اعمالا فنية جميلة . ويقوم القازاقيون بهذا الفن اليدوى منذ ثلاثمائة سنة . وتتميز تشكيلات الرسوم المرقعة على المناديل بروح العظمة والمهابة . وتتعدد ألوانها ما بين اخضر وازرق واحمر واصفر . ومن اشكالها قرون الاغنام وقرون الظباء وفروع الاشجار والنباتات والازهار والسحب وغيرها ، وتظهر هذه الاشكال بالالوان الخاصة بالمراعى وبالاساليب الفنى الشبيه بفن المقصوصات الورقية لقومية هان . وتحب النساء القازاقيات ان يضعن هذه المناديل على رؤوسهن باعتبارها زينة جميلة ، وذلك حين يقمن بزيارة اقاربهن او حين يخرجن للتنزه . كما ان حفلات الزفاف تحتاج دائما الى هذه المناديل لتزيين غرف العروسين . فيمكن القول بأن مناديل اللباد نوع من اللوازم اليومية التى لا يستغنى عنها فى حياة القازاقيين ؛ والى جانب ذلك نجدهم يحبون رسم مختلف الصور والاشكال ذات المميزات القومية الفريدة على اللوازم اليومية والملابس واجهزة المساكن وادوات الانتاج ، الامر الذى يدل على انهم يملكون رغبة شديدة فى تحقيق الحياة السعيدة وفى السعى الى الجمال الواقعى .

(٨) الفنون المميزة لدى قومية القرغيز

فى مجرى التطور الطويل ابتكر ابناء قومية للقرغيز اعمالهم الفنية اليدوية التى تتميز بالاساليب الفنى الفذ ، منها التطريز وصناعة اللباد والحياكة والرسم والضفر والنحت وصنع الزينات والادوات اليومية البديعة بالمعدن والخشب . ودائما ما نجد فى حياتهم رسوما جميلة رائعة تم تطريزها على منديل الرأس



غلاف طاسة خشبية لقومية القرغيز

والمخدة والغلاف الامامي للحاف واردان الثياب واطراف الاكمام وياقات القمصان ؛ وكذلك على القبعات والاكياس والسروج وعلى جدران الخيام . وكل هذه الرسوم تمتاز بألوانها الزاهية وحيويتها الدافقة ، وهي التي تجعل

الناس يولعون بها اشد الولوع . ونساء قومية القرغيز هن اللاتي يقمن بهذه الاعمال الفنية الرائعة ، فهن يحببنها ويتقن صنعها .

وجدير بالذكر ان اللباد المزخرف الذى تصنعه نساء هذه القومية من صوف الخروف له شهرة واسعة . وقد ظهرت فى رسومه قرون الحيوانات الاليفة والطيور والحيوانات المفترسة والازهار والنباتات ، كما ظهرت فيها اشكال الاسلحة القديمة والنسور والجبال . ان السكان القرغيزيين يعبدون نسور هضبة البامير ، فمن الطبيعى ان يرغبوا فى اظهار النسور والجبال فى اعمالهم الفنية . ومنتجات اللباد المزخرف متينة جدا يمكن ان تظل صالحة للاستخدام عشرات السنين . وللقرغيزيين عمل فنى آخر ذو شهرة ايضا ، وهو القبعات البيضاء التى تصنع من اللباد كذلك ، واشكال هذه القبعات بديعة للغاية .

وبالنسبة للمنتجات المحاكة والمضفورة نجد هناك نوعين منها يجب الاشارة اليهما ، احدهما تم انتاجه بطريقة الحياكة ، اى استخدام صوف الخروف او الجمل الملون لحياكة البسط الجدارية والارضية او حياكة الشرائط والخيوط لربط الخيام . وآخرهما تم انتاجه بطريقة الضفر ، اى استخدام عشب "جيجى" الطويل او فروع شجر "هونغمو" لتضفير استار واغطية وسياجات الخيام . كما ان الفنانين القرغيزيين المهرة يستطيعون صنع ادوات متنوعة من الفضة ، مثل السراج والملعقة والطاس والصندوق والحوض ، وكلها خفيفة الوزن وطويلة الاستعمال .

(٩) تطريز "بايتينوس" لدى قومية الاوزبك

تجيد النساء الاوزبكيات التطريز ، وتمتاز اعمال بايتينوس المطرزة بالدقة والاناقة ، وبالتالى يحب شراءها سكان شينجيانغ من مختلف القوميات ، ومن اشهرها طبق الازهار المطرز . اضف الى ذلك ان هناك اشكالا رائعة طرزتها الاوزبكيات على القبعات والملابس واكياس الوسائد وشراشف السرير .

(١٠) لقومية هوى الاعمال الفنية التقليدية التالية :

اعمال النقش واواني "جينغتايلان" * واشغال تطريز "سو" ** ومنتجات الطوب المحفور والسجاجيد المنسوجة .

(١١) سكين باوآن لقومية باوآن

ان السكين التقليدية لقومية باوآن حادة جدا وشكلها رائع ، فاشتهرت سكين باوآن بدقة صناعتها فى مقاطعتى قانسو وتشينغهاى .

(١٢) تطريز قومية الطاجيك وحياكتها

مستوى الاعمال اليدوية الشعبية لقومية الطاجيك مرتفع وبارع ، فتجيد نساء هذه القومية فن التطريز والحياكة . وقد ظهرت على القبعات والقفافيز والزنانير والجوارب الصوفية واغشية اللحاف والسجاجيد والسروج وغيرها من الحاجات اليومية لدى ابناء القومية مطرزات بديعة . واشهر الاعمال الفنية لنساء الطاجيك القبعات التى لكل منها حافة دائرية ، وعرضها لا يزيد عن عشرة سنتيمترات ، ولكن عملية التطريز عليها تستغرق عادة اكثر من عشرة ايام ، فتبدو جميلة وفتانة للغاية .

١٦ — ما هى خصائص سجاد شينجيانغ ؟

لصناعة السجاجيد فى شينجيانغ تاريخ عريق ، وسجاجيد شينجيانغ تتمتع بشهرة واسعة بجودة نسجها وبراعة تصميماتها ، وتعد من المنتجات الفنية اليدوية الهامة لقومية الويغور . وتتصف السجاجيد المنتجة فى منطقة

---

* يقصد بها اوان معدنية اشتهرت فى عهد "جينغتاى" من اسرة مينغ ومعظمها مطلى بلون "لان" (المينا الزرقاء) ، فتحمل اسم "جينغتايلان" .

** مطرزات مدينة سوتشو الصينية مشهورة فى مشارق الأرض ومغاربها ، واصبحت طريقة التطريز فيها ذائعة الصيت كذلك ، فكل المطرزات بنفس الطريقة تسمى مطرزات "سو" بالاختصار .

ختيان بسمعة اجمل ، وقد شبهها احد الشعراء بسحب وردية فاتنة ، حيث قال فى قصيدته : " بعدد السحب التى تطوف فى السماء هناك سجاجيد فى ختيان " . وتتميز سجاجيد ختيان بالليونة والمتانة وحداثة التصميم . وتنتشر معامل نسج السجاجيد فى جميع قرى ختيان تقريبا ، ومعظم الفلاحين هناك يشترون السجاجيد المختلفة الاحجام لفرشها على الارض او على الاسرة او لتعليقها على الجدران ، وتستخدم السجاجيد الصغيرة كوسائد على المقاعد او سروج الخيل . وكثرة السجاجيد وانتشارها فى ختيان تشير الى قدم هذه الصناعة فى ختيان التى تستحق لقب موطن السجاد فى شينجيانغ .

ان تاريخ صناعة السجاجيد فى شينجيانغ طويل جدا كما ذكرنا . وقد تم اكتشاف آثار قيمة تدل على ذلك . فهناك قطعة اثرية لسجادة قديمة يعود تاريخها الى اسرة هان الشرقية (٢٥ — ٢٢٠) ، يبلغ عدد خيوط السداة واللحمة فيها ٣٣٠ خيطا ، وهذا ما يقارب عدد خيوط المنسوجات المعاصرة ، زد على ذلك انه تم استخراج بقايا سجاجيد منسوجة فى اواخر اسرة هان الغربية (٢٠٦ق . م — ٢٤) والاسرة الشمالية (٤٣٩ — ٥٣٤) . وكل هذه القطع الاثرية القديمة تحمل ميزة شينجيانغ الخاصة ، مما يشير الى انها انتجت محليا قبل حوالى ألفى سنة .

وبالاضافة الى ختيان انشئت كذلك مصانع للسجاد فى كل من لوفو ويارقند ويتشنغ وكاشغر وآكسو واورومتشى ، وجودة المنسوجات فيها قد ارتفعت ارتفاعا ملحوظا خلال السنوات الاخيرة . ولسجاجيد شينجيانغ ميزة شرقية نموذجية فريدة ، حيث تمتاز بكثافة النسج ونعومة الملمس واستواء السطح وبراعة الشكل . ومع تقدم فنون النسج وارتفاع الجودة اصبحت شينجيانغ قادرة على انتاج سجاجيد اجمل واروع مما مضى . واذا كانت سجاجيد شينجيانغ قد اصبحت محفوظات نفيسة لدى المقتنين الاوروبيين فى القرن

الـ ١٦ ـ الـ ١٩ ، فانها تتمتع اليوم بجاذبية اعظم بالنسبة للاجانب الذين وصفوها بأنها رمز للفنون اليدوية الصينية المشرقة .

١٧ ـ ما هى الآلات الموسيقية التقليدية لدى القوميات المسلمة ؟

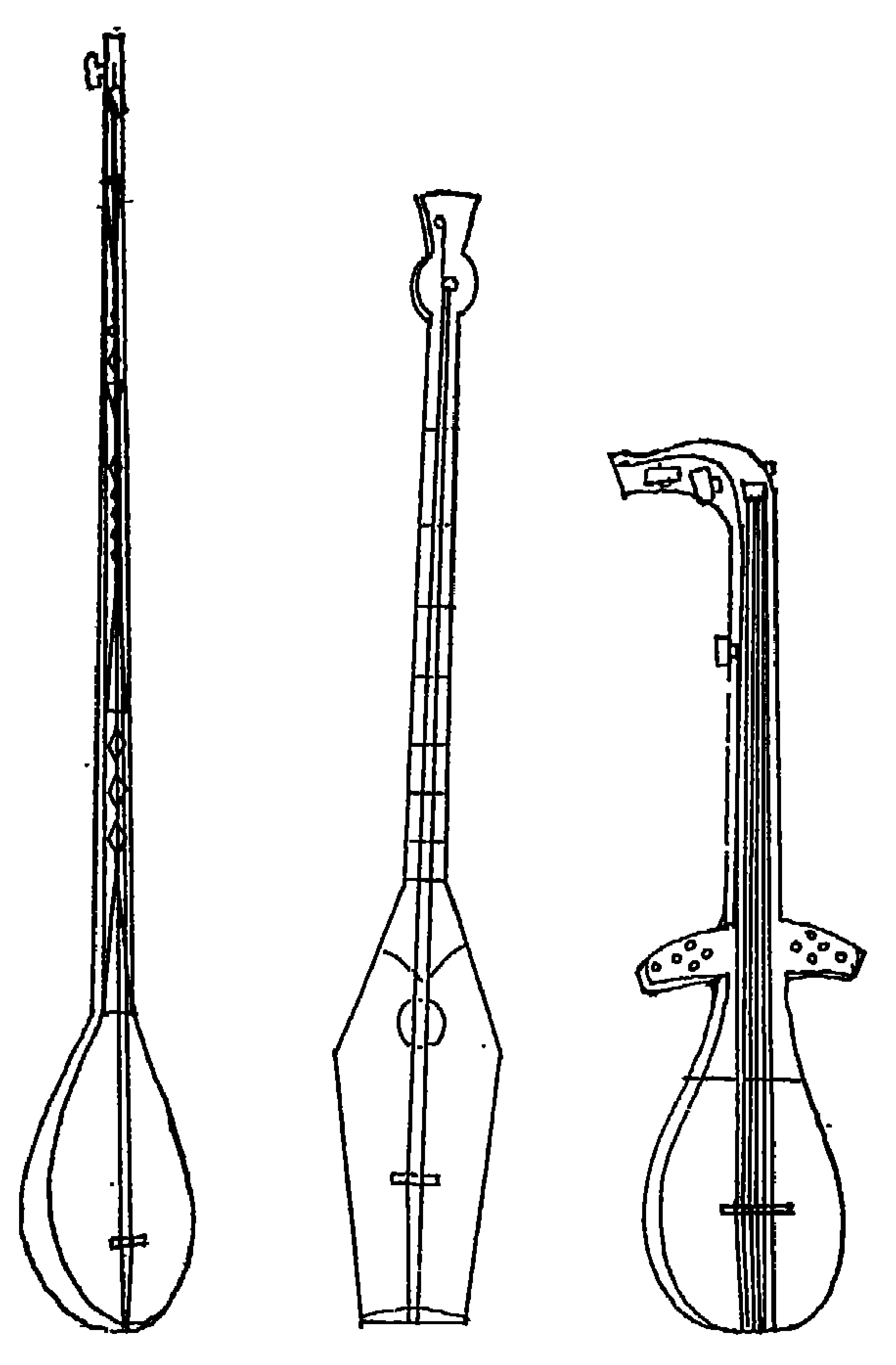
ان الآلات الموسيقية القومية جزء هام من حضارة الامة الصينية ، ولها تاريخ عريق وانواع كثيرة واشكال فريدة واصوات عذبة .

كم نوعا للآلات الموسيقية الخاصة بالاقليات القومية فى الصين ؟ ان الجواب عن هذا السؤال كان مجهولا فى الماضى . وابتداء من عام ١٩٨١ قام الباحثون الصينيون فى مجال الموسيقى بتحقيقات ميدانية فى جميع ارجاء البلاد ، وقطعوا فى مجراها عشرات الآلاف من الكيلومترات . وبعد اربع سنوات من العمل الشاق انجزوا مؤلفا ضخما يضم ٥٠٠ ألف مقطع صينى ، سجلوا فيه ٥٠٢ نوع من الآلات الموسيقية المستخدمة لدى ابناء الاقليات القومية فى الصين ، وهذا الرقم يعتبر رقما قياسيا فى العالم . ويضم هذا الكتاب بطبيعة الحال الآلات الموسيقية الخاصة بالقوميات المسلمة .

من المعروف ان المسلمين من مختلف القوميات يجيدون الرقص والغناء منذ زمن بعيد ، وانسجاما مع عادتهم هذه اشتهرت آلاتهم الموسيقية بأشكالها الفريدة واصواتها العذبة وتاريخها الطويل .

والآلات الموسيقية الشعبية لدى قومية الويغور تشتمل بصفة رئيسية على الآلات الوترية النقرية والآلات الوترية القوسية والآلات النفخية ، مثل دوتار ورواف وتانبور وكارون وسابايى والدف والمزمار وصونا (سورنا) وما الى ذلك .

ودوتار آلة موسيقية قديمة ظلت محتفظة بشكلها القديم ، ومتوفرة الآن لدى معظم الاسر الويغورية ، ويستطيع كل فرد فى البيت العزف عليها ،



آلات موسيقية:

(اليسار)دوتار لقومية الويغور
(الوسط)دونغبولا (طنبور) لقومية القازاق
(اليمين) ربوب لقومية الطاجيك

كبيرا كان ام صغيرا ، رجلا ام امرأة . اما رواف فهي مألوفة جدا بين ابناء قومية الطاجيك وقومية الاوزباك .

وفى عهد بعيد يرجع الى اسرتى سوى وتانغ (٥٨١ — ٩٠٧) كان العود الخماسى الاوتار والعود المنحنى الرأس وكونغهو وبيلى وغيرها من الآلات الموسيقية منتشرة فى منطقة تشيوتسى وغيرها من المناطق الغربية ، ثم انتقلت الى اواسط الصين مع مرور الوقت ، فتحولت الى آلات صينية تقليدية . وفى شينجيانغ نفسها توارث الويغوريون هذه الآلات الموسيقية القديمة ، وطوروها بعد تطعيمها بالاجزاء المناسبة من الآلات الموسيقية الاخرى داخل الصين وخارجها .

وفى الرقص الويغورى تؤدى صونا وظيفة العزف الافتتاحى ، ويؤدى الدف وظيفة التحكم بسرعة الرقص وايقاعه بأصواتها الايقاعية الرخيمة ، وتتميز كارون بصوت رنان جميل ، وتستخدم سابايى لزيادة الجو الحماسى فى اثناء الرقص ، بينما تلعب تانبور ودوتار ورواف بأصواتها العذبة المنسابة دورا مصاحبا فى التمثيل .

ولقومية القازاق المولعة بالموسيقى آلات موسيقية رئيسية هى : دونغبولا (طنبور او قيثار ثنائى او رباعى الاوتار) وهوبوس (آلة وترية) وسبوزغ (مزمار ذو اربع فتحات) . ويأخذ القازاقيون معهم دائما الدونغبولا حيثما يذهبون ، وبواسطتها يعبرون عن عواطفهم فى الحب والفرح والسخط والحزن ، ويعتبرونها صديقة حميمة لهم . وللدونغبولا اكثر من عشرة انواع . وهوبوس آلة وترية قديمة انتقلت من البلاد الفارسية والعربية ، وكانت شائعة جدا فى فترة تاريخية معينة . وقد ورد ذكرها فى شينجيانغ فى السجلات التاريخية لأسرة يوان ، ولكنها اختفت فيما بعد ، ولم تنتشر هناك من جديد الا فى عام ١٩٧٦ عندما نجح الموسيقيون المحليون فى اعادة صنعها حسب شكلها

التقليدى وخصائصها المسجلة فى المعلومات التاريخية .

ولقومية الطاجيك آلة نفخية مميزة هى مزمار ينغ (النسر) او نايبى كما يسميها المحليون . ولها صوت رفيع ممتع . والى جانب نايبى يحب الطاجيكيون العزف على الربوب ــ آلة وترية تشبه رواف ، وصوتها مرتفع صاف . وحينما تعزف هذه الآلات تجسد اصواتها الرنانة الحماسة القومية الخاصة بسكان الجبال . واذا اضيف الدف ورواف الى هذه الآلات تصبح الالحان اعذب واجمل .

وللقرغيزيين آلة موسيقية محببة هى قيثار كومز ، فقد اعتادوا حملها الى كل مكان يذهبون اليه . وكومز تؤدى مختلف الالحان ، وصوتها عذب ، وبمصاحبتها يعبر القرغيزيون فى اغانيهم عن فرحهم وسعادتهم فى المراعى . وتصنع كومز من الخشب كليا ، ولها ثلاثة اوتار . ومعنى كومز فى اللغة القرغيزية هو " فوهة ساحرة " او " فوهة ساحرة تعبر عن الاحوال الاجتماعية ". وهناك مثل لدى القرغيزيين يقول " ان ما يرافقك فى ولادتك ومماتك هو كومز بالضبط" ، مما يوضح ان القرغيزيين قد علقوا كل عواطفهم على كومز من فرح الولادة الى حزن الموت . وتتردد على ألسنة القرغيزيين اغنية شعبية تثنى على كومز مفادها ان "كومزى تبعث انوارا لامعة ، واصواتها افضل من اغنية النسر ، كلما افكر ان موطنك ليس فيه طيور ، تمتطى اصواتها السحب لتطير اليك . "

لقد وصلت آلة كومز الى البلاط الامبراطورى فى اسرة تانغ (٦١٨ ــ ٩٠٧) هدية من القرغيزيين ، ثم اهداها امبراطور اسرة تانغ الى صديقه فى الاسرة الحاكمة فى اليابان . ويقال ان كومز ما زالت مستعملة فى اليابان حتى اليوم .

رتؤدى كومز مواضيع موسيقية متنوعة فى مصاحبتها الاقوال المأثورة

والقصص ومشاهد القتال والمناظر الطبيعية وامور الحياة اليومية . لذلك يسميها القرغيزيون "آلة موسيقية قديرة" .

ولقومية التتار آلتان موسيقيتان قديمتان ، وهما كوهوانغ — المزمار العمودى ذو الفتحتين ، وكبيس — الهرمونيكا التى تتكون من اللوحات النحاسية الرقيقة للتصويت . واليوم يهتم ابناء التتار كل الاهتمام بالآلات الموسيقية الحديثة ، مثل الاكورديون والكمان والقيثار السباعى الاوتار وغيرها .

والآلة الموسيقية الوحيدة لقومية سالار هى آلة وترية قوسية تعزف بالفم . وتصنع من الفضة او النحاس ، وشكلها مثل حافر الحصان ، وطولها حوالى ثلاثة سنتيمترات . وقد ربط طرفاها بوتر نحاسى رفيع ، ويمكن العزف عليها بتحريك الوتر بلسان العازف او رأس اصبعه . وبما ان صوتها ناعم نسبيا وحجمها صغير وحفظها سهل فقد احبتها الفتيات اكثر من غيرهن .

والآلات الموسيقية المحببة لأبناء قومية الاوزباك كثيرة ، معظمها آلات وترية ونقرية ، منها قيثار شيقناى الذى يبدو على شكل مثلث . ولهذه الآلة صوت عذب مؤثر . والآلات الموسيقية الاخرى لهذه القومية ، مثل دوتار ورواف وتانبور والدف ، شبيهة بآلات قومية الويغور فى تركيبها وصوتها .

١٨ — ما هى الالعاب الرياضية التقليدية لدى القوميات المسلمة ؟

للقوميات المسلمة ألعاب رياضية تقليدية كثيرة ، تتميز بالاسلوب القومى الخالص ، وتعبق برائحة المراعى ، وتجسد خصائصها سلامة الذوق وخفة الروح وسعة الصدر والحيوية والحماسة . وتتضمن هذه الالعاب التقليدية المصارعة وسباق الخيل والرماية والالعاب على صهوة الحصان ، فضلا عن بعض الالعاب القومية الخاصة مثل المشى على الحبل عند الويغوريين وتسلق السارية عند التتاريين .

(١) المصارعة ذات الاسلوب الفريد

ان المصارعة لعبة رياضية شعبية عند قومية الويغور والقازاق والتتار والقرغيز وغيرها . لقد توارث ابناء هذه القوميات فنون المصارعة جيلا بعد جيل . وكلما حلت الاعياد والاحتفالات الرسمية اقيمت مسابقات للمصارعة . وبهذا العرض الرياضى التقليدى تعبر الجماهير عن فرحها . وللمصارعة انواع واساليب عديدة . والى جانب المصارعة الحرة والمصارعة التقليدية الصينية هناك مصارعات محلية لكل من قومية الويغور والقازاق والقرغيز .

والاسلوب الويغورى على سبيل المثال يضم حركات فريدة : سحب حزام خصر المنافس ، وحضن ساقه او خصره او اف ساقه وما الى ذلك . ولمصارعة قومية القازاق عادة غريبة — ان المنتصر هو الذى يستطيع ان يسقط منافسه من اول جولة دون اى مراعاة لوزنهما او مكان مصارعتهما او وقتها . ولهذه القومية ايضا مصارعة ظريفة اخرى : على كل مصارع قبل خوض المصارعة ان يقف فى كيس ، ثم يشده عند وسطه ، وبهذه الوضعية يتصارع المتنافسان معتمدين على قوة اطرافهما العليا فقط ، ودائما ما يثير المتنافسان فى مصارعتهما الضحك المتواصل لدى المتفرجين . وهناك مصارعة اخرى للقازاقيين تجرى على صهوات الخيل ، فكل مصارع يركب حصانه لخوض المصارعة ، والذى يسقط عن حصانه خلال المصارعة هو الخاسر . ولدى القازاقيين قول شائع يشير الى طريقة غريبة تتبع فى تربية الجيل الناشئ : اذا اراد الطفل ان يصبح رجلا قويا فى المستقبل ، فعليه ان يحضن العجل ثلاث مرات يوميا ، ومع مرور الايام يكبر العجل ويغدو الطفل شابا مفتول العضلات ، ذلك لأنه يبذل جهودا جبارة فى كل مرة يحضن فيها العجل ، وهذا يوفر له قوة وعزيمة لا محدودتين .

ومصارعة قومية القرغيز تختلف عن مصارعات القوميات الاخرى ،

ولها اساليب متنوعة منها : مصارعة ذات جاذبية اكبر لأنها لا تجرى بين الشباب بل بين العجائز . عندما تدخل المسنات حلبة المصارعة ، وحولهن ابناؤهن واحفادهن ، تتدفق اليهن الجماهير فورا للتفرج على ذلك المنظر العجيب . وعلى الرغم من انهن يتعانقن بحرارة ومودة قبل البدء فى المصارعة ، الا ان كل واحدة منهن تبذل اقصى ما لديها لاسقاط منافستها . وتتجاوز هذه المصارعة بحدتها فى بعض الاحيان مصارعة الشباب .

(٢) سباق الخيل وألعاب الفروسية

ان ابناء قومية القازاق والطاجيك والقرغيز والتتار وباوآن يحبون كثيرا سباق الخيل وألعاب الفروسية ، مثل الوقوف على صهوة الحصان على اليدين وتقطيع الاهداف بسيفين والرماية وحفز الحصان لتجاوز العقبات المعترضة على الطريق وما الى ذلك . وهذه المسابقات والعروض تجرى عادة فى الاعياد والمهرجانات الرسمية . ودائما ما نجد الجماهير من مختلف المناطق تحتشد فى ميدان السباق للتفرج على هذه العروض الرائعة . وقد ذكرت مثل هذه النشاطات الرياضية فى السجلات التاريخية القديمة . وافادت سجلات اسرة يوان ومينغ وتشينغ (١٢٠٦ — ١٩١١) ان الاجهزة الحكومية المختصة كانت تنظم بين حين وآخر سباقات خيل بهدف اختيار الجنود الشجعان والخيول الممتازة . كما ان ابناء الاسر الحاكمة والارسطقراطيين قد اتخذوا سباق الخيل نوعا من نشاطاتهم الترفيهية . وبعد تأسيس الصين الجديدة اصبح سباق الخيل احد النشاطات الرياضية التى تشترك فيها الجماهير الشعبية سعيا وراء تقوية اجسامهم واغناء حياتهم ، فضلا عن رفع شجاعتهم وقدراتهم القتالية .

(٣) خطف الحمل ومطاردة الفتاة

يعتبر خطف الحمل ومطاردة الفتاة من اشهر النشاطات الرياضية التى يولع بها المسلمون فى جميع انحاء شينجيانغ . وهما لعبتان رياضيتان فريدتان

يؤديهما القازاقيون والقرغيزيون والتتاريون على صهوة الحصان (لقومية منغوليا لعبة خطف الحمل ايضا) . وستفرد صفحات خاصة لهذا الموضوع فيما بعد .

(٤) الرماية

لدى ابناء قومية باوآن وسالار وهوى ميل شديد نحو رماية السهام ، وقد اصبح هذا تقليدا تاريخيا طويل الامد . وهناك قول مأثور يصف هذا الوضع : " ان القيام بسباق الخيل ورماية السهام افضل من اى فرح فى العيد " . والاطفال لا يكادون يتفتحون على الحياة حتى يمتلكوا سهاما واقواسا ، ويبدأوا ممارسة الرماية ، لذلك يبرز من بينهم عدد كبير من المهرة فى الرماية .

(٥) لعب الكرة على الخيول

يعد لعب الكرة على الخيول احد ألعاب الطاجيكيين المحببة ، وقد ورثوه عن اسلافهم ، وحفظوه حتى اليوم على الرغم من عدم وجود تسجيلات تاريخية لهذه اللعبة .

(٦) داواز

ان لعبة داواز تعنى المشى على الحبل ، وهى نشاط رياضى يولع به الويغوريون . ينصبون على الارض اولا سارية طولها ٣٠ مترا ، ويثبتونها بحبال غليظة تربط قمة السارية بقواعد ارضية من مختلف الجهات ، ثم يمشى اللاعب على احد هذه الحبال ممسكا بعود طوله ثلاثة امتار للحفاظ على توازن جسمه . وعلى الحبل يستطيع اللاعب ان يؤدى حركات رائعة مدهشة .

(٧) تسلق السارية

يحب التتاريون ان يجروا مسابقات لتسلق السارية الطويلة فى اعيادهم .

ولزيادة صعوبة التسلق تطلى السارية عادة بسائل صابونى . والذى يستطيع التسلق الى القمة بأسرع وقت هو الفائز .

(٨) سباق الجرى مع الوثب

يحب التتاريون القيام بنوع غريب من السباق فى اعيادهم هو سباق الجرى مع الوثب : يشد اللاعب كيسا صغيرا من الرمل على ساقه ، ويحمل ملعقة بين شفتيه ، وفى الملعقة بيضة . وبهذه الوضعية يجرى اللاعب ويثب الى الامام . والذى يصل الى الهدف اولا والبيضة ما زالت فى ملعقته هو الفائز .

١٩ ـ ما هى الخصائص التى تتميز بها القوميات المسلمة فى ملبسها وزينتها ؟

تعتبر الملابس والزينات جزءا هاما من حضارة الامة وحياتها ، وتتحلى كل قومية بميزتها الخاصة فى هذا المجال . ويمكننا ان نشبه ملابس القوميات المسلمة وزيناتها بالسحب الوردية فى جمالها ولونها اللذين يختلفان بحسب اختلاف الاماكن المأهولة بتلك القوميات .

فى الرقص الويغورى حركة تؤديها الراقصة بعنقها ، وهذه الحركة لا تفتن المتفرجين الا اذا كانت الراقصة تلبس قبعة ويغورية جميلة . كما ان الرجال القرغيزيين لا يستطيعون اظهار قوتهم وشجاعتهم اذا لم يلبسوا قبعاتهم اللبادية التى ترمز بلونها الابيض وشكلها المخروطى المسنن الى الجبال الثلجية التى يعيشون فيها طيلة حياتهم .

والملابس والزينات لكل قومية من القوميات المسلمة تجسد الاسلوب القومى الذى تم تشكيله تحت تأثير الظروف النفسية والعاطفية والتاريخية والبيئية الخاصة بها وعبر مراحل زمنية طويلة متلاحقة . والاساليب القومية



ملابس وزينة لقومية القازاق

لملابس وزينات القوميات المسلمة تتجلى فى النواحى التالية :

(١) الانسجام مع متطلبات الانتاج والبيئة المعيشية

بما ان ابناء قومية القازاق والقرغيز والطاجيك يعيشون فى الهضبات الواسعة والمراعى الفسيحة ، فقد استفادوا من صوف المواشى وجلدها فى صنع ملابسهم . فالقرغيزيون مثلا يرتدون ملابس مزخرفة الحواشى ، ويلبسون احذية وجوارب وقبعات مصنوعة بلباد صوف الخروف . اما القازاقيون فيلبسون المعاطف المبطنة بصوف الجمل الذى يمتاز بخفة وزنه وقدرته الكبيرة على مقاومة البرد ، وقبعاتهم تصنع من جلد الحمل او جلد الثعلب ، وتبدو جميلة ودفيئة . والطاجيكيون يعيشون فى هضبة البامير ، لذلك يستخدمون جلد الحمل لصنع قبعاتهم ، ويكسون وجهها بالساتان الاسود الجميل . وقبعاتهم هذه ، وكذلك قبعات القرغيزيين المذكورة آنفا ، تمثل احدى خصائص الرعاة فى الملابس والزينات .

ويجيد الويغوريون زراعة القطن وزراعة شجر التوت ، ويتمتعون بمستوى عال فى فنون النسج والصباغة ، ويشتهرون كذلك بانتاج حرير أدلاس والاقمشة القطنية الملونة ، التى تحمل طابعا محليا فريدا للفنون الشعبية الويغورية. وفى منطقة شينجيانغ كلها تحب النساء المنسوجات التقليدية ، وخاصة حرير أدلاس الذى يجعل التنورات المصنوعة منه قادرة على ابراز جمال صاحباتها ومنحهن جاذبية اقوى .

ومعظم الرجال الويغوريين يلبسون الجلباب التقليدى الذى تبدو ألوانه هادئة ، وعليه خطوط عريضة ، ويصل طوله الى الركبة . وهو خال من الازرار . حين يلبسه صاحبه يشده فى الوسط بمنديل ملون كبير . والرجال من القوميات الاخرى لا يرتدون ملابس تختلف كثيرا عن الجلباب الويغورى .

ونساء القوميات المسلمة يحببن التنورات المتنوعة فى انماطها وزيناتها .



ملابس وزينة لقومية الويغور

ونساء قومية الطاجيك يفضلن لبس الفساتين وفى خارجها الصدريات الملونة ، ويربطن عند خصورهن مآزر من الخلف ، بينما النساء الاوزبكيات يحببن التنورات ذات الثنيات ، كما لا يربطن احزمة عند الخصر .

ويقيم سكان قومية الطاجيك فى المناطق الجبلية المرتفعة ، لذلك يلبسون دائما ملابس مبطنة خفيفة او سميكة ، ليس بينها اختلاف واضح فى الفصول الاربعة .

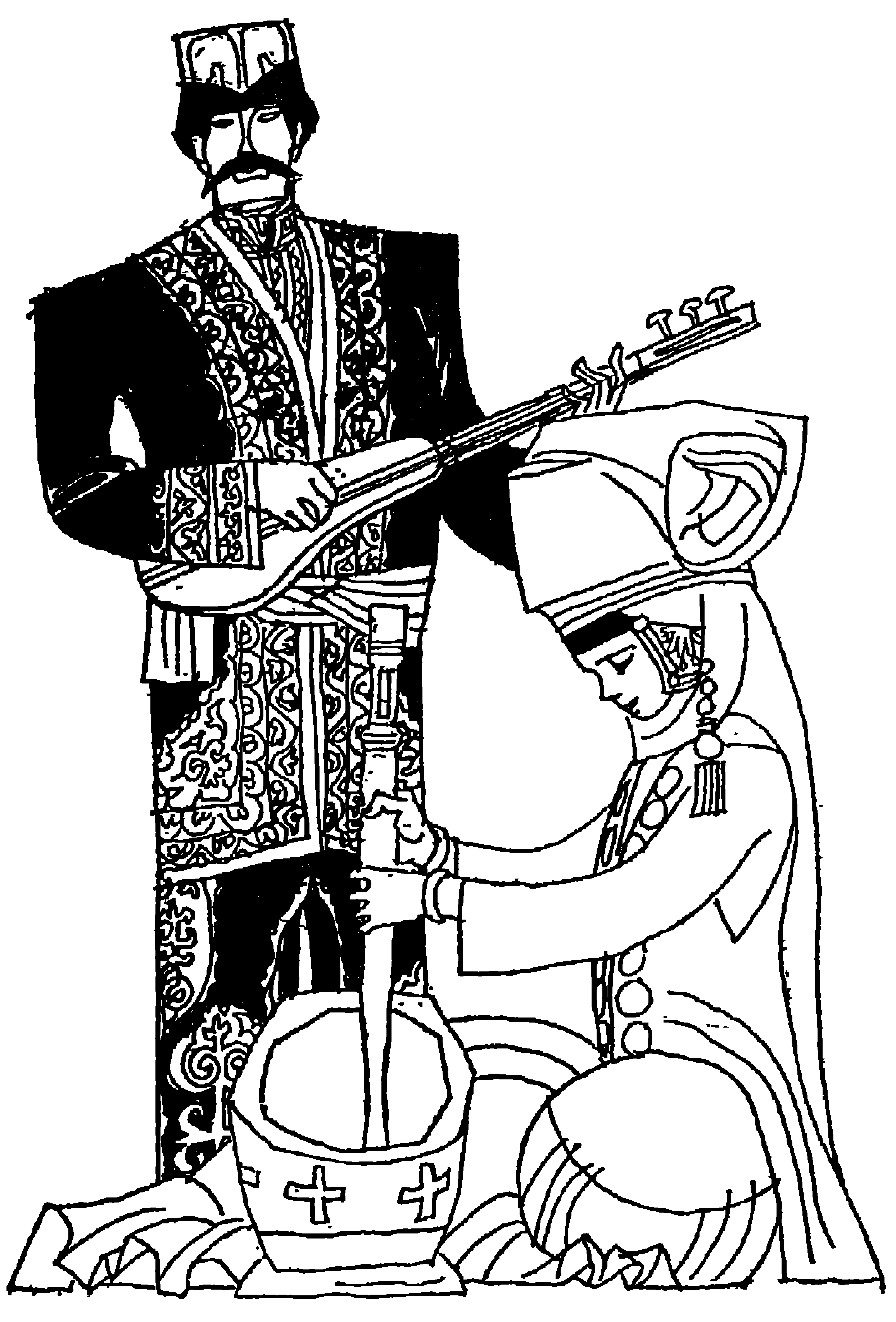
(٢) الاهتمام بالتزيين

المسلمون من مختلف القوميات يهتمون بصنع زيناتهم بكل دقة وبراعة ، ويزخرفون بها ما يلبسون بعناية شديدة ، وعلى الاخص قبعاتهم واحذيتهم .

ذكرنا سابقا ان القبعات الويغورية تشبه الازهار المتفتحة فى ارض شينجيانغ . وقبعات قومية القرغيز تتميز بلونها الفذ ايضا ، وتتم خياطتها بحرير الساتان الاحمر وفرو القضاعة الثمين . ونساء القازاق يغرسن عادة ريشة طويلة من ريش البوم على قبعاتهن ، وعندما تتمايل الريشة الخفيفة مع النسيم يمينا ويسارا ، تظهر بالطبع رشاقة اجسامهن . اما نساء قومية الطاجيك فيزين قبعاتهن اولا بتطريز ازهار ونباتات عليها ، ثم يعلقن عليها الستار الخلفى المتكون من سلاسل فضية رفيعة وخرز جميل ، ومنهن من تزخرفها ايضا بأزرار دقيقة . واذا اردن الخروج فلا بد ان يلبسن قبعاتهن المحببة ، ثم يلففن عليها المناديل الحمراء الكبيرة . وفى المناسبات الرسمية تزين النساء الطاجيكيات انفسهن بكل ما فى وسعهن ، فالى جانب القبعات والمناديل ، يعلقن بآذانهن حلقات كبيرة ، ويضعن على اعناقهن قلائد من الخرز اليشمى الملون ، وعلى صدورهن زينات مستديرة . ان ابناء قومية الطاجيك يحبون اللون الاحمر ، ويعتبرونه رمزا للدفء والحماسة ، ويحفزهم الى التقدم دون تردد . ومن الزينات الرئيسية لقومية القرغيز الحلقات والقلائد والخواتم



ملابس وزينة لقومية الطاجيك



ملابس وزينة لقومية القرغيز

والاساور . ومما يلفت نظر الناس ان صدريات نساء القرغيز مزينة بعدد من الازرار البيضاء والازرار الفضية والخيوط النحاسية والنقود الفضية المستديرة . ونفس طريقة التزيين هذه تظهر ايضا على ضفائرهن ، حيث يعلقن عليها السلاسل الدقيقة والنقود الفضية الصغيرة . ويعلقن على صدورهن ما يسمى "كومشى توتشوك" ، اى زينات جميلة تشبه فى شكلها ازرار المعطف الكبيرة ، تنتظم فى اربعة صفوف ، وفى كل صف خمسة ازرار . ومن عادات هذه القومية ان كل بنت لا بد ان تعلق هذه الزينة من السنة الثالثة الى السنة السادسة عشرة . ورجال هذه القومية يلبسون الخواتم ويزينون احزمتهم بالزينات الذهبية والفضية التى تظهر طبيعة الذكور فى القوة والشجاعة .

وكثيرا ما تستخدم نساء قومية الاوزبك الاقمشة ذات اللون الاخضر النباتى او اللون الابيض او الخطوط المتشابكة من هذين اللونين لخياطة تنوراتهن . والرجال المسنون يحبون الملابس السوداء مع القبعات الخضراء ، ومعظمهم يرخون لحاهم وشواربهم . وجميع النساء ، بغض النظر عن اعمارهن ، يلبسن الحلقات والخواتم والقلائد وغيرها من الزينات ، واذا لبسن القبعات غطينها بمناديل رقيقة شفافة مطرزة بالازهار .

وتتميز قومية التتار بالنظافة والاناقة والجمال الزاهى فى عملية التزيين . فنساؤها يحببن لبس القبعات المزخرفة بالخرز الصغير الملون وفى خارجها المناديل الشفافة الكبيرة ، وفى آذانهن الحلقات وعلى اعناقهن القلائد وبأيديهن الخواتم والاساور .

والى جانب طرق التزيين المذكورة اعلاه هناك ميل آخر لدى ابناء القوميات المسلمة ، وهو صنع الاحذية المزركشة لتجميل انفسهم . فالاحذية المصنوعة لدى قومية الاوزبك مثلا ، وتسمى "آيتك" فى اللغة الاوزبكية ، هي احذية نسائية جلدية مطرزة ، قد تم صنعها بأسلوب تقليدى دقيق ،

ويمكن اعتبارها عملا فنيا قوميا رائعا . وقومية القرغيز تنتج ايضا الاحذية الجلدية الممتازة المطرزة بأشكال جميلة متنوعة . و" تشياولوك " عبارة عن احذية لينة النعل ، يصنع نعلها من جلد الياك ووجهها من جلد الغنم البرى . وابناء قومية الطاجيك ، رجالا ونساء ، يحبون انتعال هذه الاحذية ، وفى الوقت نفسه يلبسون الجوارب الباهرة اللون لابراز جمال احذيتهم . ولقومية الويغور احذية بنصف ساق ، يسمونها " يويدايك " ، تصنع عادة من جلد البقر او الغنم ، ويمكن صنعها ايضا من جلد الحصان البرى المصبوغ باللون الاحمر . ولهذه الاحذية نعال خشبية بطول ٦ر٦ سم ، وقد دعمت بقطع معدنية ، وهى تناسب الرجال والنساء على حد سواء .

(٣) الاستفادة من ميزات القوميات الاخرى

لقد شهدت قومية هوى وسالار ودونغشيانغ تطورا كبيرا فى ملابسها وزيناتها نتيجة استفادتها من مميزات القوميات الشقيقة ، وفى الوقت نفسه اهتمت بالحفاظ على خصائصها الذاتية فى هذا المجال .

لقد طرأت تغيرات ملحوظة على ملابس قومية هوى وزيناتها ، حيث لم يعد ابناء هذه القومية يرتدون ملابس فضفاضة كما كانوا يفعلون فى الماضى ، بل ركزوا اهتمامهم على موديلات الملابس من ناحية الشكل واللون . ونفس الامر حدث فى الزينات . فنساء هوى يفضلن الحلقات والاقراط والاساور وغيرها من الزينات ذات الالوان المموضة الحديثة . ومن ناحية اخرى ما زال ابناء هوى يحتفظون بتقاليدهم الخاصة ، فيحبون لبس الثياب البيضاء والسوداء والرمادية والزرقاء . اذا ارتدوا قميصا ابيض ، فلا بد من لبس صدرية سوداء فوقه . والنساء يلبسن على رؤوسهن عادة مناديل خضراء قاتمة وبيضاء ، واختلاف اللون يشير الى تباين اعمارهن ، اما الساكنات فى المدن منهن فقد تركن هذه العادة حاليا .

والملابس والزينات لقومية باوآن شبيهة بما لدى قومية هوى ، ولكن تظل لها ميزاتها الواضحة ايضا (انظر الى الموضوع الخاص بذلك) .

وتتشابه قومية سالار مع قومية دونغشيانغ فى الملابس والزينات ، غير ان خصائص كل منهما باقية كذلك (انظر الى الموضوع الخاص بذلك) . ففتيات قومية دونغشيانغ مثلا يستخدمن الحرير الاخضر الرقيق للف رؤوسهن بدلا من المنديل الخشن القديم . وكان من واجب المتزوجات ان يضعن المنديل الاسود على رؤوسهن ، وعلى النساء العجائز ان يضعن المنديل الابيض ، اما الآن فلم يعد من الضرورى ان يضعن هذه المناديل ، وذلك ليسهل عليهن اداء مختلف الاعمال . كما ان الرجال لا يلبسون الجلباب القديم ، بل يحبون ارتداء القميص الابيض والصدرية السوداء مع السروال الطويل العادى . وقد تأثرت ملابس وزينات قومية دونغشيانغ تأثرا كبيرا نسبيا بما لدى قومية هوى وهان ومان .

٢٠ — ما هى المأكولات ذات النكهة الخاصة بالقوميات المسلمة ؟

ان المأكولات والمشروبات الخاصة بالقوميات المسلمة تشكل جزءا من الثقافة المعيشية للقوميات المسلمة ، متأثرة تأثرا مباشرا بالظروف الخاصة بهذه القوميات من حيث النشاطات الانتاجية والبيئة المعيشية وعقيدة الدين الاسلامى والمفاهيم التقليدية والاساليب التقليدية وما الى ذلك . وفيما يلى شرح مبسط للمأكولات المحلية لدى هذه القوميات .

(١) " نانغ " — الرغيف التقليدى للويغوريين

ان رغيف نانغ طعام رئيسي للويغوريين لا يمكن الاستغناء عنه . وحتى

فى حفلة الخطوبة الرسمية لا بد من توفر هذا الرغيف فى الدفعة الاولى من المهر الذى يعده العريس للعروس . وعندما تقام حفلة الزفاف ، وبعد ان يتلى القرآن الكريم ، يسأل الامام العروسين ما اذا كانا يوافقان على الاقتران ، فاذا وافقا عليه طلب منهما ان يتناولا معا قطعة من رغيف نانغ الذى قد تم بله فى ماء مملح . وغرض ذلك هو تأكيد رمزى على أمانة كل جانب للآخر وعلى عزمهما على قهر كافة الصعوبات فى حياتهما المشتركة .

ويصنع نانغ رئيسيا من دقيق القمح او الذرة ، وله ثلاثة انواع : احدها نانغ النباتى ، الذى يتم خبزه بعد صنع العجين من الدقيق والسمسم والبصل الناشف والبيض والزيت النباتى والزبدة واللبن والملح والسكر والتوابل . وثانيها نانغ اللحمى ، الذى يتم طبخه من العجين المخلوط من الدقيق ولحم البقر او الغنم المفروم والملح والسكر . وثالثها نانغ الزيتى ، وهو الذى يطبخ بالعجين غير المخمر بعد ان يضاف اليه الزيت النباتى او شحم الغنم . ومن خصائص نانغ انه لذيذ جدا لليونته وهشاشته . ويجوز ان يكون حجم نانغ كبيرا او صغيرا ، وكذلك بالنسبة لسماكته ، وتبلغ سماكة اكبر حجم لنانغ ٥ ــ ٦ سم ، ويكون طول قطره ١٠ سم . وتنبعث من نانغ الناضج لحظة اخراجه من الموقد رائحة شهية ، ويبدو لونه ذهبيا لامعا ، يسيل له لعاب الناس اذا رأوا لونه او شموا رائحته . وهذا الطعام القومى الفريد قد ظهر فى شوارع بكين حاليا حيث يقبل عليه البكينيون اكثر فأكثر .

وميزة نانغ الاخرى هى سهولة حفظه . ذلك لأنه لا يحتوى مقدارا كبيرا من الماء بعد طبخه فى الموقد ، ويمكن حفظ النوع العادى منه عدة ايام ، ونانغ اللحمى يمكن حفظه شهرا او اكثر . واذا اصبح نانغ صلبا بسبب طول مدة حفظه ، يمكن بله بالماء ، فيلين تدريجيا ويسهل تناوله . ومن الآثار المستخرجة فى باطن ارض شينجيانغ ، التي يرجع تاريخها الى اسرة

تانغ (٦١٨ — ٩٠٧) ، اكتشف نانغ القديم ، وهذا يدل على ان نانغ المشوى موجود فى شينجيانغ بصفته طعاما شعبيا هاما منذ ألف سنة على الاقل . ومن عادة ابناء القوميات المسلمة فى شينجيانغ ان يفتتوا نانغ المشوى ويبلوا فتاته بالشاى اللبنى ، ثم يتناولونه .

(٢) " بالوه " المأكول باليد والمحبب لدى الجميع

ان بالوه كلمة ويغورية ظهرت فى السجلات التاريخية فى اسرة تانغ (٦١٨ — ٩٠٧) ، وتعنى الرز المطبوخ الذى يأكله الناس بأيديهم مباشرة . وهو نوع من المأكولات التقليدية المحببة لدى اهالى شينجيانغ . ويتكون بالوه من الرز رئيسيا ، ومن لحم الغنم وشحمه (او الزيت النباتى) والجزر والزبيب والبصل الناشف ، ويتم طبخه على نار هادئة . ويبدو بالوه فى لون زيتى لامع ، وله رائحة عطرة وطعم لذيذ . ولهذا السبب يطبخ دائما لاكرام الضيوف فى الافراح والاتراح . ولاحتوائه على مواد غذائية كثيرة ، لقب " طعام الفوائد العشر لتقوية الجسم " .

فى شينجيانغ انواع كثيرة لبالوه . ولكل نوع منه طريقة خاصة فى الطبخ ، وقد ذكرت فى كتاب تاريخى من عهد اسرة تشينغ (١٦٤٤ — ١٩١١) بعض الطرق لطبخ بالوه ، منها : " . . . السكان هناك يحبون طبخ الرز بطريقتهم الخاصة ، فهم يقطعون لحم الغنم قطعا دقيقة ، ثم يقلون الرز مع اللحم المفروم بعد خلطهما مع البيض والزيت والملح والفلفل الصينى والبصل والتوابل . . . " . ومن انواع بالوه الاخرى بالوه الحلو الذى يطبخ بالزبيب والمشمش المجفف وغيرهما من الفواكه المجففة بدلا من اللحوم . وهناك ايضا بالوه خال من اللحوم لكن طعمه مالح ، وبالوه الخضروات يعنى الرز المطبوخ وعلى سطحه المأكولات المقلية مثل الشعرية النشوية والكرنب الصيني والطماطم والفلفل ، وبالوه الذى يرش على سطحه اللبن

الرايب اللذيذ . وافضل نوع منه يطبخ ايضا بالرز ، ولكن توضع على سطحه فطائر محشوة تتميز بالغلاف الرقيق والحشوة اللحمية الشهية ، وهذا النوع من بالوه يصنع خصيصا لاكرام ضيوف الشرف .

(٣) " جينته " و " مربى نواة المشمش " و " قوبايديآى" و " ييتبايليشى" و " نارن "

ان ابناء قومية القازاق يحبون بصورة خاصة طعام " جينته " المصنوع من لحم المواشى ، بعد خلطه بالزبدة اولا ، ثم يحشى به معى الحصان ، فيصبح بذلك " جينته " ، ويجوز اكله بعد تسخينه على البخار .

" مربى نواة المشمش " ، وهو طعام ممتاز لدى ابناء قومية الطاجيك ، وطريقة صنعه هى : طحن نويات المشمش حتى تصبح مسحوقا ، وتسخين هذا المسحوق على البخار بعد زيادة مقدار مناسب من الماء اليه الى ان يتسرب منه الزيت ، ثم يخلط بالدقيق ، وتستمر عملية تبخيره ، وبذلك يمكن الحصول على المربى المطلوب .

يتمتع ابناء قومية التتار بسمعة واسعة فى الطبخ ، فهم يجيدون صنع نانغ الصغير . وهو لذيذ الطعم ، ويتكون رئيسيا من الدقيق والبيض . والى جانب نانغ الصغير يصنع التتاريون نوعين من الكعك المتميز المذاق هما " قوبايديآى" و" ييتبايليشى" . الاول يصنع من الجبن والمشمش المجفف والرز ، والثانى يتكون من القرع واللحم والرز ، وبعد عملية الخبز يصير كلاهما هشا من الخارج ورخوا من الداخل ، وطعمهما لذيذ للغاية .

" نارن " ، وهو طعام تقليدى خاص بقومية الاوزبك ، يطبخ باللحم المفروم الناضج والبصل الناشف واللبن الرايب ، كما يجب ان يرش عليه المرق اللحمى ومسحوق الفلفل . وعند تناوله ينبغى للآكل ان يأخذ جزءا منه بيده النظيفة الى فمه مباشرة . ان " نارن " طعام لذيذ ، لا غنى عنه عند اكرام الضيوف .

(٤) لحم الغنم المشوى (الكباب) — طعام شهى لدى قومية الويغور

اذا قمت برحلة الى منطقة شينجيانغ ستجد فى كل مكان من المدن والبلدات فيها ، سواء أكان شارعا صاخبا اوركنا هادئا ، مواقد مستطيلة يشوى اللحم على نيرانها الزرقاء الخفيفة ، وتنبعث منها رائحة شهية مغرية . هذا الكباب مكون من لحم الغنم الطرى الممزوج بالتوابل المحلية الخاصة ، ثم يشوى على النار . وفى السنوات الاخيرة اتسعت شهرة كباب شينجيانغ تدريجيا فى جميع انحاء البلاد ، وفى العاصمة بكين اصبح الكباب معروفا لدى الجميع .

وبالاضافة الى الكباب هناك انواع اخرى من لحم الغنم المشوى فى شينجيانغ ، مثل الخروف الكامل المشوى ولحم الغنم المقطع المشوى ، وكل هذه المأكولات مكونة من لحم الغنم ، وتعد بطريقة الشى الفريدة التى تجسد مهارة الويغوريين الفذة فى الطبخ .

يعتبر الخروف الكامل المشوى طعاما مشهورا من الدرجة الاولى لدى الويغوريين ، يقدمونه للضيوف الكرام فى الولائم الفخمة . ومن عادتهم ايضا ان يعدوا هذا الطعام الممتاز فى مناسبات الاعياد والاحتفالات العظيمة ، فبعد الرقص والغناء يجلس الناس حول الخروف المشوى ويأكلونه معا . اما اللحم المشوى المقطع فيعنى مجموعة من اللحم المقطع ، حجم كل قطعة بحجم العنابة بالضبط ، وتشك هذه القطع اللحمية بسلك حديدى رفيع ، ثم توضع على نار خفيفة ، ويرش فوقها مقدار من مسحوق "تسيران" (نوع من التوابل المحلية فى شينجيانغ) والملح ومسحوق الفلفل ، فيتغير لونها ، وتفوح منها رائحة شهية . وحين يأكلها الناس يجدون لها طعما لذيذا .

ولهذا اللحم المشوى تاريخ عريق ، فقد سجل المؤرخ الكبير جيا سى شيه الذى عاش فى عهد اسرة وى الشمالية (٣٨٦ — ٥٣٤) فى مؤلفه المشهور

« ملخص الفنون الشعبية » – اقدم مؤلف حول الفنون الزراعية فى الصين ، سجل فيه الفنون الشعبية فى الشي ، وتضم عشرين طريقة . اما المواد المستخدمة فيها فتشمل لحم الغنم والبقر وايل النهر والظبى ، والتوابل كالزنجبيل وقشر البرتقال والفلفل والبصل والثوم والملح وغيرها . ووفقا لوصف جيا سى شيه فان من بين تلك الطرق العشرين طريقة مشابهة لطريقة شي اللحم المقطع الحديثة . وقد استخرجت فى مقاطعة شنشى صورة لأسرة هان (٢٠٦ ق . م – ٢٢٠ م) تصف شخصا يجلس امام موقد يشوى لحما . على هذا الاساس نستطيع ان نستنتج ان فن شي اللحم كان قد انتشر بين سكان المناطق الشمالية الغربية وكذلك بين القوميات التى تقوم بالرعى هناك . وفى مقاطعة شاندونغ اكتشفت ايضا قطعة اثرية قديمة تشبه الى حد كبير موقد شي اللحم المعاصر فى شينجيانغ ، مما يدل على ان فن شي اللحم قد انتقل من المناطق الشمالية الغربية الى شرقى الصين فى الازمنة القديمة .

ان فنون شي لحم الغنم قد شهدت تطورا مستمرا فى شينجيانغ وغيرها من المناطق المأهولة بقومية الويغور والقازاق والقرغيز التى تشتغل رئيسيا بتربية المواشى ، والتى تتخذ لحم البقر والغنم طعامها الرئيسى . وقد اصبحت الانواع المختلفة من لحم الغنم المشوى طعاما محليا فى المناطق الشاسعة شمال السور العظيم .

(٥) لحم الغنم المأكول باليد

يحب ابناء القوميات المسلمة فى شينجيانغ اكل لحم الغنم ، ولهم طرق كثيرة لطبخه . ويتميز فن طبخ لحم الغنم المأكول باليد بصفة تمثيلية فى هذا المجال . ان القازاقيين يفتخرون بحفاوتهم بضيوفهم ، ودائما ما يعدون لهم لحم الغنم اللذيذ الذى لا يستخدم الناس اية اداة لتناوله الا ايديهم .

ولهذا الطعام عملية تقليدية محددة فى اختيار الغنم وذبحه وطبخه .

اولا ، يختار المضيف خروفا سمينا ذا رأس اصفر وجسم ابيض ، ويسحبه الى امام ضيوفه ليشاهدوه بأعينهم ، ثم يذبحه بعد ان يتبادل المضيف والضيوف كلمات التحية . وبعد الذبح تسلخ الذبيحة ويقطع لحمها ويفصل عن احشائها ، ثم يوضع الرأس على النار لازالة الشعر عنه ، ثم توضع قطع اللحم الكبيرة نسبيا فى الماء المغلى لسلقها ، ويرش قليل من الملح على اللحم المسلوق قبل اخراجه من الماء ، وبعد ان يصبح اللحم لينا لذيذا تفوح منه رائحة شهية ؛ وعند الاكل يجب زيادة مقدار من البصل الناشف المفروم وغيره من التوابل الضرورية .

واذا اضيفت شعريات او شرائح من عجين الدقيق الى مرق اللحم ، تصبح بعد نضجها وخلطها باللحم المسلوق طعاما آخر شهيا يؤكل باليد مباشرة كذلك .

سيعد موضوع آخر مفصل للمأكولات المتنوعة لدى قومية هوى .

(٦) طعام "كنشيويه" طعام الاعياد الشهى

لكل قومية مسلمة اعيادها التقليدية الخاصة . وكلما حلت الاعياد قام ابناء هذه القوميات باعداد المأكولات اللذيذة المتنوعة لزيادة فرحهم وسرورهم . فالقازاقيون والقرغيزيون مثلا يهتمون بطبخ طعام "كنشيويه" فى عيدهم "نولوز" املا بتحقيق حصاد وافر يعود عليهم بالسعادة والرخاء . ويطبخ طعام "كنشيويه" من سبع مواد او اكثر ، ومنها القمح والشعير وغيرهما .

٢١ ــ كيف حال "باتشا" الآن ؟

معنى باتشا الاصلى فى اللغة الويغورية هو السوق او المتجر ، غير ان ابناء قومية الويغور والقوميات الاخرى يطلقون هذه الكلمة على جميع الشوارع التجارية والاسواق فى المدن والقرى .

مع تطور قضية الاصلاح والانفتاح فى شينجيانغ شهدت باتشا فى مختلف الاماكن ازدهارا لا مثيل له . وسنتحدث هنا عن باتشا فى مدينة كاشغر .

يقال ان مدينة كاشغر تحتل مركز الصدارة فى شينجيانغ كلها من حيث عدد الباتشات . ذلك لأنها كانت مدينة استراتيجية هامة على طريق الحرير المشهور تشهد الحركات التجارية النشيطة منذ القدم ، وبذلك اصبحت اقدم سوق دولية فى غربى الصين . وهى اليوم اكثر تألقا بتجارتها الناجحة داخل الصين وخارجها .

ان معظم التجار الفرديين فى كاشغر ويغوريون يستوردون البضائع من مختلف الاماكن ، فازدهت اكشاكهم بالالوان الجميلة . واكبر باتشا فى كاشغر هى " السوق الجامعة بمدينة كاشغر" ، والتى تسمى ايضا " باتشا الباب الشرقى" . يقال انها من ضمن الاسواق الكبرى فى آسيا . وتشتمل البضائع المعروضة فيها على المنتجات الزراعية والحيوانية ، وكذلك البضائع القومية الخاصة ، واللوازم اليومية والاقمشة والملابس وما الى ذلك . وتفتح السوق يوم الاحد من كل اسبوع ، وقد يصل عدد الزبائن فيها الى مئة ألف شخص . ان اتساع حجم السوق قد مكنها من الاتجار بمبالغ هائلة . وقد قررت الجهة المسؤولة ان الفواكه والخضروات المباعة فى السوق معفاة من الرسوم الادارية ، اذا كانت منتجات محلية يبيعها المنتجون انفسهم .

فى كاشغر سوق اخرى تسمى " باتشا ووداري" ، وهى مختصة ببيع البضائع اليومية الصغيرة . وعدد الاكشاك فيها اكثر من ٥٠٠ كشك . وتفتح هذه السوق يوميا وتكتظ بالزبائن دائما . وكثير من البضائع المباعة فيها ، مثل المرايا والامشاط ومقصات الاظافر والازرار مستوردة من مقاطعة تشجيانغ وبكين وشانغهاى وقوانغتشو . والاهالى يحبونها كثيرا ، فالازرار مثلا تزخرف ملابسهم بألوانها الزاهية . وهناك شارع خاص ببيع القبعات ، ما ان يدخل

الناس هذا الشارع حتى يجدوا انفسهم يتجولون فى عالم من القبعات الزاهية ، فمختلف القبعات بأشكالها البديعة وألوانها الجميلة تجعلهم يشعرون بمتعة سحرية ينسون معها العودة . ومن هذا الشارع تتدفق القبعات الويغورية الى الاسواق الداخلية والعالمية ، فأصبحت بذلك رسول رد من ابناء شينجيانغ الى جميع الاماكن . وخلال السنوات الاخيرة ظهرت فى باتشا الى جانب البضائع التقليدية اكشاك جديدة تبيع المجلات والكتب المطبوعة باللغات المحلية والرسمية وكذلك باللغات الاجنبية ، التى تعرف الناس التكنولوجيا والاخبار العلمية الحديثة .

وفى كاشغر سوق اخرى تسمى "سوق آنجيانغ ريسته للمنتجات الصناعية"، تباع فيها بصورة خاصة المنتجات الصناعية ذات النوعية العالية ، من الاقمشة المتنوعة والزينات الثمينة الى الادوات اليومية العرائسية والملابس الفاخرة . ومن اجل استقبال السياح والتجار الاجانب يجتهد التجار الويغوريون الشباب فى دراسة اللغة الانجليزية .

لقد وصف المؤرخون القدماء ازدهار كاشغر القديمة بأنها كانت مفتوحة على كل الاتجاهات بطرقها المتشابكة ومزدهرة بنشاطاتها التجارية المكثفة ، وكانت تعرض فى باتشاها كثير من البضائع الثمينة والنادرة ، فضلا عن عدد لا يحصى من المواشى والفواكه والخضروات . وفى الوقت الحاضر ما زالت كاشغر على طريق الحرير القديم بملامحها المحلية ، غير انها قد دخلت عهدا جديدا يعيش فيه سكانها بايقاعات وخصائص الحياة المعاصرة . وفى باتشا كاشغر اليوم يتم تبادل البضائع وكذلك تبادل الاخبار والعواطف ، وكل هذه هيأت للاهالى هناك عالما مثاليا رائعا . وهناك قول يصف باتشا فى كاشغر بأنها " صورة تعكس التقاليد والعادات المحلية بألوان كثيفة ، وفيها يستطيع الناس ان يتبادلوا مشاعرهم الصادقة ويتقاسموا مسرات الحياة . "

٢٢ ـ ما المشروبات التى تحبها القوميات الصينية المسلمة ؟

لكل اقلية قومية مسلمة صينية مشروبات معينة تحبها ، ولا بد منها فى حياتها . الا ان الشاى بأنواعه المختلفة هو مشروبها الاساسى . وهناك عبارات مأثورة لديها تقول ان " الانسان يمرض ان لم يشرب الشاى" ، و" يجوز للانسان الامساك عن الطعام يوما كاملا ، ولكن لا يجوز له الامساك عن شرب الشاى . "

(١) الشاى باللبن

ان قومية القازاق والويغور والتتار والاوزبك والقرغيز تحب الشاى باللبن ؛ والمعروف ان مناطق الرعى فى شينجيانغ غنية باللحوم وتفتقر الى الخضروات ، فالشاى باللبن مناسب للرعاة الذين يعيشون فى المناطق القليلة السكان ، ودائما ما يحتاجون الى قطع مسافات بعيدة فى الرعى او فى الشؤون الاخرى . والشاى باللبن يساعدهم فى الهضم ويفيدهم فى الاستدفاء فى الشتاء وفى الوقاية من الحرارة فى الصيف . كما يمكن للرعاة ان يستفيدوا من الشاى باللبن فى تحمل الجوع والبرد .

يتكون هذا النوع من الشاى من لبن البقرة او العنزة . وكل قومية من القوميات على اختلاف مناطق سكنها تفضل نوعا معينا من الشاى . منها من يضع الملح فى الشاى ، ومن لا يضع ذلك . وكلما شرب ابناء هذه القوميات الشاى باللبن اكلوا معه بعض المأكولات الاخرى مثل الارز المقلى والزبدة والقشدة وغيرها من المأكولات اللبنية .

(٢) قومية هوى تفضل " قايوانتشا " ـ الشاى فى الكوب المغطى

تحب قومية هوى شرب الشاى . وقد جاءت عادتها هذه من اسطورة جميلة : كان هناك " طفل شاى" يدعى دورتشا انزله الله الى عالم البشر ، فأصبح شجيرة للشاى . وبعد سنة من ذلك هاجمت امراض وبائية قرية

بالقرب من الشجيرة ، ومات بعض سكان القرية نتيجة ذلك . ومصادفة وقع احد المرضى على الارض قرب الشجيرة مغميا عليه ، ورأى فى نومه شخصا نصحه بجمع اوراق الشجيرة وغليها ، وقال ان سائل الاوراق دواء شاف للمرضى . وحقا شفى المرضى بعد تناول سائل الشاى . وبذلك هب جميع سكان القرية يزرعون بستانا واسعا من شجيرات الشاى . هذه القصة ما هى الا اسطورة ، لكنها تكشف حقيقة مفادها ان الشاى مشروب نافع .

وحقيقة الامر ان حب قومية هوى المسلمة لشرب الشاى يرتبط مباشرة بعادتها فى اكل لحم البقر والغنم .

ان قايوانتشا مشروب يجمع بين الشاى والسكر الاسمر والسكر الناعم والعناب ولب الجوز والمشمش المجفف و"عين التنين" المجفف والسمسم والزبيب والكاكى المجفف والتفاح وغيرها فى كوب خزفى مملوء بالماء . المهم فى صنع قايوانتشا ان يوضع الماء فى الكوب ساخنا مغليا ، ويشرب بعد دقيقتين او ثلاث دقائق من ذلك . كما ان هناك طريقة معينة لشربه ، فلا يجوز النفخ بالفم فيما يطفو على سطح الماء من كسرات الشاى المتناثرة ، بل يجب "حكها" جانبا بغطاء الكوب ، ثم وضع الغطاء مائلا على الكوب ، فيشرب الشاى رشفة رشفة .

يعتبر قايوانتشا الذى يمتاز بعطره وحلاوته شيئا رائعا فى تكريم الضيوف . وهناك اغنية تصفه بالعبارات التالية :

يمكننا ان نمسك عن الطعام خلال ثلاثة ايام ،
ولكن تنقصنا الحيوية ان لم نشرب الشاى .
ان اجمل زهر هو زهر اللوتس ،
وان اجمل شاى هو شاى "قايوانتشا" .

(٣) قومية سالار تحب شرب الانواع المختلفة من الشاى

ان قومية سالار رجالا ونساء ، كبارا وصغارا ، كلهم يحبون شرب الشاى . وتضم مشروباتهم الشاى باللبن وشاى " فوتشا " والشاى الدقيق وشاى القمح وغيرها .

والملاحظ ان مشروباتهم تتغير مع تغير الفصول الاربعة . ففى الشتاء والربيع يفضلون شاى فوتشا ، اما فى الصيف والخريف فيفضلون الشاى الدقيق .

يتكون الشاى الدقيق من شاى " لونغجينغ" وغيره من انواع الشاى الممتازة والسكر الفضى و"عين التنين " ، ويصنع بالماء الساخن المغلى ، ويمتاز برائحة عطرية وقيمة غذائية كبيرة ، ويعتبر من اجود انواع الشاى . اما شاى القمح فهو يجمع الشاى مع القمح شبه المحروق ، ويصنع بالماء المغلى ايضا . ويمتاز هذا النوع من الشاى برائحة عطرية ويساعد الانسان فى الوقاية من البرد وفى الهضم . ويمكن للمرء ان يجد القدر والكوب وغيرهما من الادوات الخاصة بصنع الشاى فى كل اسرة من اسر قومية سالار .

(٤) قومية القازاق تحب شرب لبن الخيل المخمر

جاء فى اغنية شعبية للقازاق : " ان الخيول منتشرة على سفوح الجبال ، ولبن الخيل يسيل مثل النهر . " وهذه العبارة تدل على ان لبن الخيل هو مشروب ضرورى فى حياة قومية القازاق .

ان لبن الخيل المخمر مشروب ذو غذاء كبير ، يساعد الانسان فى الهضم ، ويمكنه تخفيف حرارة الجسم . وابناء قومية القازاق يحبون شربه منذ زمن قديم .

قيل ان ماركوبولو قد شرب لبن الخيل المخمر فى طريقه الى الصين فى عهد اسرة يوان (١٢٧١ — ١٣٦٨) ، وان هذا المشروب ترك انطباعات طيبة فى نفسه .

فى الصيف والخريف من كل سنة ، اى ابتداء من يونيو حتى نهاية سبتمبر ، تشتغل كل اسرة من قومية القازاق بتخمير لبن الخيل ، حينها يفوح لبن الخيل بعطره فى كل المراعى .

من عادة ابناء قومية القازاق تكريم ضيوفهم بلبن الخيل المخمر الذى لا يعتبر نوعا من المشروبات فقط ، وانما نوع من الادوية الفعالة ايضا . وفى وقت يعود الى عهد اسرة يوان وصف الشاعر شيوى يو رن هذا المشروب فى قصيدة له ، فشبهه بالندى الحلو وماء العين العذب . كما وصفه شاعر آخر من عهد اسرة تشينغ (١٦٤٤ – ١٩١١) بأنه يدفئ ويغذى ، وان الذى يواظب عليه مدة طويلة يستعيد حيويته وشبابه .

وطعم لبن الخيل ليس حلوا جدا ولا حارا جدا ، بل يتميز بطعم حامض نقى فريد . وعلى الذين يشربونه لأول مرة ان يتمهلوا فى الشرب حتى لا يسكروا منه .

٢٣ – ما عادات الزواج لدى القوميات الصينية المسلمة ؟

ان العادات تتطور وتتغير مع تطور المجتمع وتغيراته . وعادات الزواج جزء هام من العادات الاجتماعية . وبما ان القوميات المسلمة تختلف فى تطورها الاجتماعى وبيئتها الاجتماعية ونفسيتها ومشاعرها القومية ، فان عادات زواجها متنوعة متباينة ووفيرة المحتويات برغم انها جميعا متأثرة بالاسلام .

(١) عادات الزواج لدى قومية الويغور

تمتاز عادات الزواج لدى هذه القومية بالبساطة والمهابة والظرافة .

يستغرق الزفاف لدى قومية الويغور يومين ، فى الاول منهما يجرى الاحتفال فى بيت اهل العروس ، حيث ينعم العروسان بمجالسة الضيوف كما يحلو لهم . اما فى اليوم الثانى فتتم المراسم الدينية للزفاف صباحا تحت

اشراف الامام الذى يتلو آية النكاح ، ويسأل ما اذا كان العروسان يرغبان فى عقد القران ، بعد ان يقول العروسان نعم ، يأكلان معا قطعة من الخبز المكبوس بالملح ، وهذا النوع من الخبز المملح يعتبر لديهم من الاطعمة الغالية . وترمز هذه العادة الى ان الزوجين سيتشاطران السراء والضراء طول الحياة .

ومن العادات التقليدية لهذه القومية فى هذه المناسبة ان يسد الجيران طريق العروس بالحبال او بأشياء اخرى عند خروجها من بيت اهلها الى بيت العريس ، يعبرون بذلك عن رجائهم ابقاء العروس ، ويخلقون جوا من الحماسة والفرح . اذن كيف يمكن للعروس ان تغادر البيت ؟ فى هذه الحالة على العريس ان يعد باقامة حفلة مسائية او مسابقة " خطف الحمل " ، او يلقى بعض المناديل والحلويات وغيرها الى المحتشدين ، فيفسحون الطريق للعروس بسرعة . وعندما تصل العروس الى بيت العريس عليها ان تتجاوز كومة من النار ، او تدور حولها دورة ، استجلابا للبركة والسعادة ، ثم تدخل غرفة الزفاف .

متى يمكن نزع الطرحة ؟ عندما تدخل العروس الغرفة يبدأ الشبان والشابات يرقصون ويغنون . عندها يكشف احد المسنين الطرحة بخفة ، فيظهر وجه العروس التى سرعان ما تؤدى التحية للضيوف ، ثم تجلس معهم بفرح وسرور .

(٢) عادات الزواج لدى قومية هوى

تقام حفلة الزفاف لدى قومية هوى عادة فى بيت العريس او فى المسجد يوم الجمعة ، ويمنع فيها العزف على آلات الطرب والغناء . واشكال الحفلة متشابهة برغم بعض الفروق البسيطة ، وتتميز ببساطتها واتباعها المراسم الدينية . كان من عادة ابناء القومية فى بعض المناطق تقديم مهور تضم القماش والخبز المشوى بالزيت والنقود ولحم البقر او الغنم ، بينما تقدم اسرة العروس

جهازها من الحلى والاغطية وغير ذلك . وفى بعض المدن مثل تشيوانتشو (مدينة الزيتون) ويانغتشو يعتبر القرآن الكريم اغلى جهاز عروس . وكان هناك من يقدم مخطوطة القرآن الكريم جهاز عروس فى اوائل القرن العشرين .

ومن عادات الزفاف لدى قومية هوى نشر "حبات الفول الذهبية" للجماهير الحاشدة . لقد كان اسلاف ابناء قومية هوى فى تشيوانتشو فى الزمن القديم ينشرون الحبات الذهبية الحقيقية الشبيهة بشكل حبات الفول فى هذه المناسبة ، ثم تحولت هذه العادة الى نشر الثمار الاربع : الجوز والعناب والفستق والجنكة ، وذلك تعبير عن الشكر لله على اتاحة هذا الزواج السعيد ورجاء للانجاب . وعادة ينشر الامام الثمار الاربع بعد تلاوته آية النكاح ليتلقاها العروسان الراكعان .

وفى شمال غربى الصين تقام حفلة الزفاف فى بيت العروس ، ولمقاطعة قانسو من هذه المنطقة عادة استقبال العريس الى بيت العروس ليعيش مع اسرتها ، وذلك بتأثير من عادات قومية هان .

وفى منطقة تشانغجى من منطقة شينجيانغ تشيع عادة المزاح مع الحموين . فعندما تجيء العروس يتعين على والد العريس ان يلبس بالمقلوب معطفا مبطنا بالفرو ، اما امه فعليها ان تعلق على اذنيها ثمار الفلفل الاحمر ، وتمسح وجهها بالرماد بحيث يداعبهما الضيوف . وفى صباح اليوم التالى على اسرة العروس ان تقدم طبقا من الخبز المحشو باللحم تهنئة للعروسين بحياة سعيدة .

(٣) عادات الزواج لدى قومية القازاق

ان قومية القازاق قومية مرحة ، تمتاز بروح الفكاهة وخفة الدم ، ويمكن ان نعرف ذلك من عادات زواجها . ففى مراسم الخطوبة على الضيوف من جانب العريس ان يخضعوا بكل خشوع لما يفعله بهم الناس من جانب العروس . فعندما تنتهى المأدبة بهذه المناسبة يجلب اليها طست كبير من

اللبن الحامض ، فيه شرائح من شحم ذيل الغنم وكبده ، فتدس الشرائح فى فم كل ضيف من الضيوف بالقوة ، ثم تمسح وجوههم باللبن الحامض ، وعليهم ان يقبلوا كل ذلك بسرور تعبيرا عن تهنئتهم ، ولا يجوز ان يفروا من المداعبة . وعندما يبلغ جو الدعابة ذروته يأخذ الشبان من جانب العروس زملاءهم من جانب العريس الى خارج البيت ليدفعوهم الى النهر حيث يواصلون مداعبتهم .

تحب قومية القازاق الغناء ، ولا بد منه فى حفلة الزفاف . فقبل زف العروس الى عريسها تقام حفلة الغناء ، حيث يجتمع المضيفون والضيوف يغنون كما يشاؤون . اما عبارات الاغانى فيرتجلونها ارتجالا ، ويواصلون الغناء بحماسة متزايدة طوال الليل . ويلجأون الى الغناء كذلك عندما يودعون العروس الى بيت عريسها ليطمئنوها ويشجعوها على استقبال حياتها الجديدة . وعلى زوجة اخى العروس فى هذه المناسبة ان تغنى نيابة عن العروس تعبيرا عن حسرتها على الفراق ، وما تظهره فى الغناء من مشاعرها الصادقة يؤثر فى نفوس الناس كثيرا حتى انهم يذرفون الدموع احيانا .

وعلى الناس ان يغنوا ايضا عند نزع طرحة العروس داعين بالخير للعروسين . والاغنية فى هذه المناسبة قد تكون طويلة او قصيرة . وعند وصولهم الى المقطع الاخير منها يقوم شاب بنزع الطرحة عن العروس بعصا قصيرة ، ثم يأخذ العروسان بعض الزبدة (او شحم الغنم) من السلطانية وينشرانه على الموقد اشارة الى زيادة فرد جديد فى اسرة العريس ورجاء لازدهار الذرية .

(٤) عادات الزواج لدى قومية دونغشيانغ

هذه القومية تحب مداعبة العريس واهله . فعندما يظهر العريس فى حفلة الزفاف يقوم اقرباء وجيران اسرة العروس بمداعبته بطرق مختلفة . فمنهم من يمزح معه ، ومنهم من يضربه بغصن صفصاف . ثم يحمله

اخوة العروس الى باحة البيت ، وكثيرا ما يمسح الناس وجه والد العريس او الاشخاص الآخرين من جيل ابيه بالسناج ، ويجبرونهم على ان يلبسوا المعاطف المبطنة بالفرو بالمقلوب ، ويضعوا على رؤوسهم قبعات بالية ، او يركبوا الحمير بالمقلوب ، واحيانا يجعلونهم يجلسون داخل طاولة مقلوبة .. بهذه الطرق يبدون سرورهم وفرحهم .

ومن عادات الزواج لدى هذه القومية " التضارب بالوسادة " فى غرفة العروسين ، اى يتضارب الضيوف من الرجال والنساء بالوسادة ويتنازعون عليها ، وهم يضحكون ويثيرون الجلبة ، وعندما تصاب العروس بالوسادة ، تنزع النساء طرحتها .

(٥) عادات الزواج لدى قومية سالار

من عادات الزواج لدى هذه القومية ما يسمى بكاء " ساخس " ، وهو بالحقيقة نوع من الالحان ، تغنيه الفتاة عندما تفك ضفيرتها وتغير تسريحتها بمناسبة الزفاف ، ويعكس حقد للفتيات على نظام الزواج الاقطاعى فى المجتمع القديم ، ولا تزف العروس الى بيت العريس الا بعد هذا " للبكاء " .

اما طرحة العروس فينزعها اخوها او ابن عمها بعودى الأكل — رمز السعادة ، ثم تبدأ المأدبة . وبعد ذلك تجيء زوجات اخوة العريس بطست من المياه ، ويحركن المياه بالعودين او باليد لترمى العروس قطعة من النقود المعدنية فى المياه رمزا الى طهارة اسرة زوجها .

على العروس بعد انتهاء حفلة الزفاف ان تفتح صندوقها ، وتعرض ما فيه من مطرزاتها . والفتيات من هذه القومية يبدأن تعلم للتطريز والطبخ عندما يبلغن الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من اعمارهن ، ويستطعن تطريز الاحذية والجوارب والوسادة بأشكال جميلة متنوعة ، يعبرن بها عن تشوقهن الى الحياة السعيدة .

وقبل ما يقرب من ستين سنة شاعت لدى قومية سالار عادة اخرى عند الزفاف ، هى " لعبة الجمل " التى كانت تجرى عادة فى الليل المقمر ، ويقوم بها اربعة اشخاص ، اثنان منهم — احدهما طويل والآخر قصير — يلبسان ملابس جلدية بيضاء يمثلان جملا ، والثالث يمثل سلف القومية يقود الجمل ويمشي ، والرابع يمثل منغوليا . هؤلاء الناس يتساءلون ويتجاوبون ، والجماهير الحاشدة يلتفون حولهم على شكل دائرة . والى اليوم مازال ابناء هذه القومية فى بعض المناطق يسمون الزفاف " دويوى " ، اى لعبة الجمل .

(٦) عادات الزواج لدى قومية باوآن

من عادات الزواج عند هذه القومية نشر الجوز والعناب . فيمكن لكل حاضر فى حفلة الزفاف ان يطلب الجوز والعناب من اهل العروسين ، وذلك يرمز الى البركة والسعادة والتوفيق والحياة الزوجية السعيدة الخالدة .

(٧) عادات الزواج لدى قومية القرغيز

يتم الزفاف لدى هذه القومية بخطوتين : الاولى تتم فى بيت العروس : فعلى العريس واهله ان يذهبوا الى بيت العروس فى اليوم السابق للزفاف ، ويقدموا لأهلها هدية للتعارف ، تضم شاة مسلوقة وشاة مشوية . ويكون فى استقبالهم امام باب البيت زوجة اخي العروس او اخواتها . وما ان يظهر الضيوف حتى تندفع مجموعة من الرجال الى العريس ويربطوه بالحبل بشدة عند الباب . ثم يأتي اقرباء اهل العروس بدورهم ، ويربطون العروس الى محاذاة العريس على نحو متلاصق . فيضحك المحتشدون ويداعبون العروسين اللذين يكونان ما بين البكاء والضحك ، ولا يطلق سراحهما الا بعد ان يطلب ابو العريس واخوته بأنفسهم فكهما ، ويقدموا الهدايا للجميع . وهذه العادة تعنى التمنى للعروسين ان يعيشا فى مودة كاملة وان يتشاطرا السراء والضراء طول الحياة .

اما الخطوة الثانية فهى حفلة الزفاف التى تقام فى اليوم التالى تحت اشراف

الامام الذى يقسم رغيفا مبللا بماء الملح الى جزأين ، ويوزعهما على العروسين ، كما ينشر الدقيق على وجه كل منهما تعبيرا بذلك عن طهارة المشاعر بين الزوجين . وكل ذلك يجرى بعد تلاوة الامام آية النكاح . ثم يأتى دور اهل العروس الذين ينشرون بين الضيوف المأكولات المقلية بالزيت ، والمشمش المجفف والتمر وغير ذلك . وفى نفس الوقت تقام داخل الخيمة وخارجها نشاطات ترفيهية ورياضية مثل سباق الخيل و" خطف الحمل " والمصارعة وشد الحبل وحفلة الغناء والرقص .

وبعد ان تتم مراسم الزفاف فى بيت العروس يعود العريس بالعروس الى بيته . وفى طريق العودة يهنئهما الناس ، ويكرمونهما بالاطعمة . وهناك من يشعل نارا ، وعلى العروسين ان يمرا من فوقها . كما تشعل نار امام بيت العريس ، ولا يمكن للعروس ان تقابل الحموين الا بعد تجاوزها ، وذلك يرمز الى البركة والسعادة .

(٨) عادات الزواج لدى قومية الطاجيك

تستغرق حفلة الزفاف لدى هذه القومية ثلاثة ايام ، وخلال هذه الفترة يجب اقامة مأدبة فى كل من بيتى العروس والعريس تكريما للضيوف . وفى اليوم الثالث على اهل العريس ان يذبحوا خروفا ، ويدعوا جميع سكان القرية للمأدبة . وعلى العروس ان تبقى فى بيتها طيلة الايام الثلاثة ، ولا يسمح لها بالخروج الى اى مكان آخر . اما العريس فيمكنه ان يصحب الضيوف فى اليومين الاول والثانى ، ولكن عليه ان يبقى فى بيته ايضا فى اليوم الثالث . ثم يذهب فى عصر اليوم الثالث على حصان الى بيت العروس بملابسه الجديدة لاستقبال العروس ، حيث يشرب كوبا من الماء ، ويأكل شيئا من اللحم والخبز والملح ، وبعد ذلك يمكن للعروسين ان يجلسا ويتبادلا الخاتم والاشرطة القماشية الحمراء والبيضاء ، والحاضرون يهنئونهما . وعندما يؤتى بفرس خشبى

صنعه اهل العريس ، وتأخذ النساء فى العزف على الدفوف ، بينما يزمر الرجال بمزامير النسر ، ويغنون ويرقصون بكل فرح وسرور . اما طرحة العروس فتبقى على وجهها خلال الايام الثلاثة .

(٩) عادات الزواج لدى قومية الاوزبك

من عادات الزواج القديمة لدى قومية الاوزبك ان تشعل كومة من النار عند باب بيت العريس ، وتجلس العروس على بطانية صوفية ، ويمسك بزواياها الاربع عدة شبان ، ويحملوا العروس الى داخل البيت من فوق النار . وقد تتجاوز العروس النار بنفسها . وقيل ان هذه العادة تهدف الى طرد الشياطين . وكالعادة تشعل كومة النار ايضا خارج باب غرفة العروسين ، وعلى العروس ان تتجاوزها . وذلك يرمز الى ان العروس ستكون ماتهبة الحماسة مثل النار على الدوام . وهناك عادة اخرى عجيبة : عندما تسلم العروس على حمويها تضع احدى النساء شريطا حريريا ابيض على رأس هذه العروس او تلفه على قدمها تعبيرا عن تمنى التوفيق للعروسين فى كل شىء . اما عندما يسلم العريس على حمويه ، فعليه ان يجد هدية بسيطة فى الغرفة ويأخذها الى الخارج ، وذلك يرمز الى البركة والسعادة .

(١٠) عادات الزواج لدى قومية التتار

من عادات هذه القومية فى الزواج ان الزفاف لا يعترف به الا اذا اقره رجال الدين ، ويجرى عادة فى بيت العروس . وفى الزفاف يقدم الامام ابريقا مملوءا بالشراب الحلو عندما تعبر العروس عن موافقتها على زواجها من العريس ، وعلى العريس ان يشرب الشراب فى هذه الحالة . وترمز هذه العادة الى تمنى حياة سعيدة للعروسين طول الحياة .

وهناك عادة تقليدية اخرى ، هى ان يمنع طفلان او اربعة اطفال العريس من دخول بيت العروس باستخدام الحبال الملونة . وفى هذه الحالة

على العريس ومرافقيه ان يلقوا بعض النقود . واذا استمر الاطفال فى عدم السماح لهم بالدخول ، فعليهم ان يلقوا المزيد . واذا تكرر الامر فى المرة الثالثة ، فعليهم ان يلقوا بعض الهدايا البسيطة مثل المناديل والشالات والصابون المعطر وغير ذلك حتى يسمح لهم بالدخول .

٢٤ — ما المناظر الطبيعية العجيبة والأماكن الاثرية فى المناطق التى يتجمع فيها المسلمون الصينيون ؟

الحقيقة ان المناظر الطبيعية العجيبة والاماكن الاثرية فى هذه المناطق كثيرة لا تحصى ، وسنذكر هنا عددا منها فقط .

منذ السنوات الاخيرة ومنطقة شينجيانغ الذاتية الحكم لقومية الويغور تقوم بأشكال مختلفة من النشاطات السياحية الفريدة مستفيدة من ظروفها الطبيعية المتميزة . وتضم هذه النشاطات السياحية : السياحة فى مناطق المناظر الطبيعية والاماكن الحضارية والسياحة على طريق الحرير والسياحة وفقا للعادات والظروف الشعبية والسياحة فى الصحراء والسياحة بالسيارة وسياحة عبور "بحر الموت" (بحيرة لوب نور) وسياحة ريادة منطقة لولان الاثرية وغيرها . وقد جذبت هذه المنطقة بجبالها وانهارها الجميلة وآثارها المتعددة وعاداتها الشعبية كثيرا من الناس .

(١) حوض توربان الذى ظهر فيه سراب

فى اغسطس عام ١٩٨٨ وجدت فرقة التفتيش بحيرة فى الصحراء تحيط بها اشجار ، وذلك فى طريقها من اورومتشى الى بحيرة آيدينغ . وقد تعجب جميع اعضاء الفرقة لظهور مثل هذا المنظر الطبيعى فى الصحراء ، وانطلقوا يجرون نحو البحيرة التى تراها العين وتقصر عنها الخطا ، لأنها سراب .

وفى توربان اشياء كثيرة تجذب السياح من داخل البلاد وخارجها .

(٢) السياحة على طريق الحرير

يمتد طريق الحرير القديم فى منطقة شينجيانغ بأجزائه الثلاثة — الطريق الجنوبى والطريق الاوسط والطريق الشمالى . ويبلغ طوله الاجمالى اكثر من ٥٠٠٠ كم . لقد اخذ طريق الحرير منذ زمن قديم يعود الى القرن الثالث والرابع قبل الميلاد يربط الصين بأوربا ربطا وثيقا . وهو يبدأ من مدينة تشانغآن (شيآن الحالية) ممتدا من الشرق الى الغرب ، ويدخل شينجيانغ عابرا مقاطعة قانسو ، ثم يجتاز الواحات والصحراء وهضبة البامير ، ويصل الى القسطنطينة عبر بلاد الفرس ثم الى روما وغيرها . كما يمتد هذا الطريق الى الهند جنوبا ، وينعطف الى جهة الغرب الشمالى ، ويصل الى ساحل البحر الاسود . يعتبر هذا الطريق اول واطول طريق يمتد بين آسيا واوربا . وقد اسهم كثيرا فى التبادلات الاقتصادية والثقافية بين الصين والغرب . لقد خلف التاريخ فى هذا الطريق القديم عددا لا يحصى من "الرواسب التاريخية" مثل آثار المدن القديمة وبروج الانذار ومحطات البريد القديمة . ومنها آثار ممر يويمن فى طريق الحرير ، وتقع على مسافة اكثر من ٨٠ كم غرب مركز محافظة دونهوانغ . وبعد الخروج من ممر يويمن يدخل طريق الحرير فى موقع مملكة لولان القديمة التى ما زالت مبعث حيرة للناس فى العصر الحاضر . اما الطريق الشمالى فكان لا بد له ان يمر بحوض توربان فى الزمن القديم ، حيث تقع آثار مدينتى قاوتشانغ وجياوخه . الاولى تقع فى شرق محافظة توربان ، وقد بنيت فى القرن الاول قبل الميلاد . وفى عهد اسرة تانغ (٦١٨ — ٩٠٧) اقيمت هناك ولاية شيتشو التى ظلت محافظة قاوتشانغ تابعة لها حتى عهد اسرة يوان (١٢٧١ — ١٣٦٨) . ومدينة قاوتشانغ على شكل مربع ، يبلغ محيط اسوارها ٥ كم ، وما زالت بقايا معظم اسوارها الترابية قائمة حتى اليوم ، ويمكن للسياح ان يشاهدوا فى اطلال المدينة ابوابها ومحاريبها البوذية . اما المدينة

الثانية جياوخه فتقع فى جزيرة صغيرة بين نهيرين شرق مركز محافظة توربان ، وكانت مقر الحكم المحلى فى عهد اسرة هان الغربية (٢٠٦ ق . م — ٢٥م) ثم اصبحت ولاية تابعة لمملكة قاوتشانغ التى اقيمت حينذاك . وفى عهد اسرة تانغ اصبحت محافظة . اما فى القرن السابع فأصبحت مقر الحكم المحلى لغربى الصين . يبلغ طول هذه المدينة من الجنوب الى الشمال اكثر من ١٠٠٠ متر ، وعرضها شرقا وغربا حوالى ٣٠٠ متر . ومن خصائص هذه المدينة انها بنيت بجانب جرف شاهق ، واتخذته حاجزا طبيعيا لها ، دون ان تحيط بها اسوار . وما زالت تتميز بالطراز المعمارى الخاص بالمدن القديمة فى المناطق الصينية الداخلية ، التى ظهرت قبل عهد اسرة سونغ (٩٦٠ — ١٢٧٩) . ان كلتا المدينتين شاهد عيان للتاريخ الصينى خلال اكثر من ألفى سنة من القرن الثانى قبل الميلاد حتى الوقت الحاضر . وفى الطريق الشمالى ما تزال هناك كثير من آثار بروج الانذار واطلال المدن القديمة مثل اطلال عاصمة مملكة ويشيو ، ومدينة يوانتشيو ، ومدينة تشيوتسى ، ومدينة سوباش ، ومدينة شوله ، بالاضافة الى كهوف كازير وكهوف كوموتو البوذية وغيرها .

اما طريق الحرير الجنوبى فيمتد وسط صحراء واسعة ، فيها بعض اطلال المدن القديمة ايضا ، مثل مدينة لولان ومدينة واشيجيا وموقع مملكة توهوروه وغيرها .

يجتاز كل من طريقى الحرير الجنوبى والشمالى جبال تسونغلينغ غربا . وما زالت فى يتشنغ ويارقند وشوفو وآكتاو وتشيا وتاشكورقان وغيرها من المدن الحالية بعض القلاع ومحطات البريد القديمة ، مثل المدينة الحجرية ، وما تسمى بـ "قلعة الاميرة" التى تقع على ارتفاع اكثر من ٤٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، هذا بالاضافة الى اطلال مدينتى بيتينغ وآليمالى التى تعتبر من

الآثار المشهورة ، والتى تقع بجانب طريق الحرير الشمالى ، حيث مناطق اهل البادية فى الزمن القديم .

وكهوف كازير البوذية المذكورة هى احدى مجموعات الكهوف الكبرى الاربع فى الصين واكبر موقع اثرى للثقافة البوذية فى شينجيانغ ، وواحدة من محميات الآثار التاريخية المدرجة فى قائمة الآثار الهامة للدولة . بدأ بناء هذه الكهوف فى القرن الثالث ، وبلغ عددها ٢٣٥ كهفا ، وهى اكبر مجموعة كهوف فى شينجيانغ من حيث عددها ورسومها الجدارية ، وتحتل المكانة الثانية من هذه الناحية بعد كهوف دونهوانغ . وقد خصصت الدولة كمية كبيرة من الاموال لحمايتها وترميمها .

وقد افتتحت شينجيانغ اكثر من ثلاثين موقعا اثريا حتى اليوم ، منها مقبرة محمد الكاشغرى مؤلف «قاموس اللغة التركية» القديمة ، وجامع عيدكاه فى كاشغر ، وبرج الجرس "هوييوان" فى ييلى واطلال مدينة قاوتشانغ وغيرها .

(٣) غابة المستحاثات فى شينجيانغ

بجانب محافظة تشيتاى ، حيث المنطقة الخاصة لحماية الحفريات البرية ، تقع غابة من المستحاثات التى تشكلت من عريانات البزور التى كانت تنمو فى العصر الجورى قبل ١٥٠ مليون سنة ، وذلك نتيجة تغيرات القشرة الارضية . تبلغ مساحة الغابة ثلاثة كيلومترات مربعة ، ويصل عدد مستحاثات الاشجار الى اكثر من ألف شجرة ، يبلغ قطر احدى هذه الاشجار ١٫٦٥ متر ، وطولها اكثر من ٢٠ مترا . ولا تزال عروق خشبها فى جذعها ولحائها واضحة . ولون اللحاء بنى يميل الى السواد ، بينما لون الخشب وسط الجذع ابيض . واذا نظر اليها المرء من بعيد وجدها مثل الشجرة الحالية المقطوعة . وقد اكتشفت فى شينجيانغ عدة مواقع لمستحاثات الاشجار ، الا ان معظمها

تحول الى تراب نتيجة التهوية ، وغابة المستحاثات المذكورة هي وحدها التي ظلت كاملة نسبيا . انها منظر طبيعي نادر حقا .

(٤) ينبوع غريب للدواء السائل

فى واد عجيب ، طوله ٧ كم ، فى دائرة محافظة مينخه الذاتية الحكم بمقاطعة تشينغهاي يوجد ينبوع للدواء السائل ، تسيل المياه منه بلا انقطاع ، ويستفيد الناس من مياهه ذات الفاعلية العجيبة فى علاج الامراض منذ آلاف السنين . ويأتيه سيل لا ينقطع من الزوار طول السنة . وقد جاء فى المدونات التاريخية " ان مياه الينبوع مرة ودافئة ، يمكن بشربها علاج امراض المعدة " .

فما السر فى ذلك ؟

حقيقة الامر ان مياه الينبوع مياه معدنية طبيعية ، تحتوى مادة الاسترونتيوم والحامض السليكي وحامض الكربونياك . ونوعيتها جيدة من طراز HCO_3Ca_1Mg النادر الوجود . وقد تذوق الموظفون من دائرة الغذاء العالمى التابع للامم المتحدة هذه المياه واشادوا بها مرارا .

(٥) كثيب ينبعث منه صوت جرس فى منطقة نينغشيا

هناك بجانب النهر الاصفر قرب مركز محافظة تشونغوى فى منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى المسلمة تقع منطقة طبيعية جذابة — منطقة شابوتو . فيها كثيب على شكل هلال بارتفاع يزيد عن ٨٠ مترا . وعندما ينزلق السياح جالسين من قمة الكثيب الى الاسفل يحدث الكثيب صوتا يشبه صوت الجرس . فقيل " ان الكثيب يصدر صوت جرس " .

(٦) مقابر اباطرة اسرة شيا الغربية

على سفوح جبال خلان الشرقية غرب مدينة ينتشوان عاصمة منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى المسلمة مجموعة من المقابر لأباطرة اسرة شيا الغربية .

استمر حكم اسرة شيا الغربية اكثر من ١٩٠ سنة فى الفترة ما بين ١٠٣٨ – ١٢٢٧ ، وتولى الحكم فى عهدها عشرة اباطرة ، وكانت تتبعها من المناطق الحالية نينغشيا ، وشمال شنشى وشمال غربى قانسو ، وشمال شرقى تشينغهاى ، وجزء من منطقة منغوليا الداخلية . طول بقعة المقابر من الجنوب الى الشمال ١٠ كم ، وعرضها شرقا وغربا ٤ كم ، وفيها ٨ مقابر لأباطرة اسرة شيا الغربية ، واكثر من ٧٠ مقبرة للبيروقراطيين واقرباء الاباطرة . وكل مقبرة تتكون من برج الزاوية وجوسق الشاهدة وقاعة التقدمة ومنصة الحداد وغيرها ، وهذه المجموعة من المبانى تثير الخيال لدى المشاهدين .

(٧) جاذبية المساجد فى اورومتشى

لقد اصبحت اورومتشى عاصمة منطقة شينجيانغ الذاتية الحكم لقومية الويغور مدينة حديثة ، تشعر الزوار بنبض التقدم بعماراتها الشاهقة وشوارعها الواسعة واعلاناتها الملونة . الا ان اكثر ما يبرز خصائص هذه المدينة النائية هو مساجدها التى يبلغ عددها اكثر من ٢٦٠ مسجدا . كما تبرز جاذبية اورومتشى من جهة اخرى بقبابها التى تزينها الاهلة فى اعلاها ، وتتمثل هذه الجاذبية فى المهابة والوقار والبساطة والهدوء .

وجدير بالذكر ان هذه المساجد قد تغيرت معالمها كثيرا فى السنوات الاخيرة ، فلم تعد ضيقة مظلمة ، واصبح بعضها فى غاية الجمال والفخامة .

ويتردد المسلمون كل يوم من الفجر حتى الغروب الى مساجدهم مع صوت الآذان . اما فى الاعياد الدينية فتغص المساجد بأعداد كبيرة من المسلمين تبلغ احيانا عشرة آلاف مسلم ، حيث يؤدون الفرائض الدينية ، او يرقصون خارج المساجد مع اصوات بوق صونا (اداة موسيقية صينية تقليدية) والدفوف احتفالا بالعيد .

٢٥ ـ لماذا تعد شينجيانغ منطقة ممتازة ؟

جاء فى انشودة شعبية لقومية الويغور فى شينجيانغ :

منطقتنا شينجيانغ ممتازة ،
بجانبى جبال تيانشان مراع جميلة .
. . . . . .
العنب والفواكه فيها حلوة تفوح بعطرها ،
الفحم والحديد والذهب والفضة مدفونة فى ارضها .

تقع منطقة شينجيانغ فى شمال غربى الصين ، وتجاورها منغوليا والاتحاد السوفياتى فى الشمال الشرقى والغربى ، كما ترتبط اراضيها بأراضى افغانستان وباكستان والهند فى الجنوب الغربى ، وتبلغ مساحتها ٦ر١ مليون كيلومتر مربع ، اى حوالى سدس المساحة الاجمالية لأراضى الصين .

تشتهر هذه المنطقة بمناظرها الجذابة ومواردها الغنية . وهناك اكثر من عشر اقليات قومية ، منها الويغور والقازاق والطاجيك والاوزبك والتتار وهوى وهان وشيبوه وروسيا ، تتعايش كلها فى وفاق على هذه البقعة من الارض ، وتتعاون فى بنائها .

ان جبال تيانشان ذات القمم الجليدية المتعددة والتى ترمز الى عراقة تاريخ منطقة شينجيانغ وصلابتها تمتد فى وسط المنطقة ، وتقسمها الى جزأين شمالى وجنوبى ، كل منهما يتميز بخصائصه الفريدة .

فى مركز جنوب شينجيانغ حوض تاريم الذى تبلغ مساحته نصف مساحة شينجيانغ الاجمالية ، وحوله واحات كبيرة وصغيرة . وتقع فى وسط الحوض صحراء تاكلامكان التى يسهل الدخول فيها ويصعب الخروج منها ،

والتى لا تزال تكتنفها الاسرار . ويمتد بجانب الصحراء الشمالى نهر تاريم الذى يعتبر اطول نهر قارى فى العالم ، ويبلغ طوله ٢١٧٩ كم ، ويصب شرقا فى بحيرة لوب نور – اشهر بحيرة فى المناطق الجافة شمال غربى الصين على ارتفاع ٧٧٨ مترا عن سطح البحر . وفى شمال غربى البحيرة موقع مدينة لولان القديمة التى كانت مدينة هامة عسكريا وتجاريا على طريق الحرير ، وقد غطتها الرمال منذ زمن طويل ، واصبحت معالمها الاصلية لغزا مستعصيا على الناس . كما جفت بحيرة لوب نور ، واختفت معالمها الاصلية المتمثلة فى غزارة المياه ووفرة الكلأ ، فأصبحت تبدو فى اعين الناس كأن الضباب يحوم فوقها .

وفى جنوب شينجيانغ تمتد جبال آلجين وكونلون وكلاكونلون وهضبة البامير ، ويشمخ عاليا جبل تشياوقلى – ثانى الجبال العالية فى العالم بارتفاع ٨٦١١ مترا عن سطح البحر . وظلت جبال كونلون تحمل اسم " الجبال اليشمية " ، وتنتج اليشم الغالى المشهور . اما هضبة البامير فهى مكان تعيش وتتكاثر فيه قومية الطاجيك ، وتعتبر منطقة تاشكورقان موطن القومية ، حيث يقع فى الشمال الغربى منها جبل موشيتاق – اكبر الجبال الجليدية .

وفى شمالى شينجيانغ تمتد من الشرق الى الغرب سلسلة جبال جينشان – آلتاى ، حيث عالم الغابات ومراعى قومية القازاق ، ونهر ييلى يغذى الاراضى على جانبيه . تشتهر هذه المنطقة بخيلها – خيل ييلى .

وفى الجزء الشرقى من سلسلة جبال تيانشان يشمخ جبل بوقدا بارتفاع ٥٤٤٥ مترا ، وعند اسفله بحيرة طبيعية – حوض سماوى تحيط به جبال متوجة بالثلوج ، تنعكس صورها فى مياه الحوض التى تشبه مرآة زرقاء لامعة .

تمتاز منطقة شينجيانغ بجبالها الشامخة المتسلسلة ، وينبع من مناطقها الجبلية اكثر من ٣٠٠ نهر ، منها نهر ييلى الجميل الذى يتخلل مساحة

غنية بانتاج الحبوب والزيت والفواكه . وفى شينجيانغ بحيرات كثيرة كبيرة وصغيرة ، تزيد عن ١٠٠ بحيرة . اما الصحارى فى هذه المنطقة فتحتل مساحتها الاجمالية ٥٥٫٦٪ من مساحة الصحارى الصينية ، وتعتبر صحراء تاكلامكان فى شينجيانغ اكبر صحراء فى الصين ، وهى من الصحارى الكبرى فى العالم . وفى شينجيانغ ايضا واحات تحتل مساحتها الاجمالية ٤٪ من مساحة منطقة شينجيانغ كلها .

والجدير بالذكر ان اتساع مساحة الصحارى فى شينجيانغ لا يعنى ان هذه المنطقة تفتقر الى الموارد ، فقد اكتشف ان صحراء تاكلامكان تعوم على بحر من النفط . وحقول "كلاماى" للنفط المشهورة تقع فى هذه الصحراء ذاتها . وكلمة "كلاماى" تعنى "الزيت الاسود" ، فمدينة "كلاماى" تعنى مدينة النفط .

وقد مدح الشاعر الصينى المشهور آى تشينغ منطقة كلاماى فى احدى قصائده ، فشبهها بحسناء فى الصحراء ، وجاء فى قصيدته :

انها اكثر الاماكن قفارا ،
لكنها اغنى الاماكن طاقة ،
من اعمق طبقاتها الارضية ،
يتدفق اغلى السوائل .

وبالاضافة الى ما ذكر تحتوى اراضى شينجيانغ كنوزا اخرى مثل اليورانيوم والذهب والنحاس والحديد والفحم والملح . كما تعيش فى صحارى هذه المنطقة بعض الحيوانات العظيمة الحيوية ، ويبلغ عدد انواعها فى منطقة بحيرة لوب نور وحدها اكثر من ١٢٠ نوعا ، منها الجمل البرى

ذو السنامين والايل الاحمر والسنور والنمر الكبير واللقاق الاسود . وتعتبر هذه المنطقة احد المراكز العالمية التى يعيش فيها الجمل البرى ذو السنامين .

وفى منطقة شينجيانغ مناظر طبيعية عجيبة ، وآثار للحضارة القديمة ، وقد جاء فى «سجلات ظروف البيئة والمجتمع فى شينجيانغ» : " ان السراب فى الصحراء ، واصوات الكثبان ، ومدينة الشياطين فى اوره ، ومساحة " يادان " — نوع من الملامح الطوبوغرافية العجيبة — لدى بحيرة لوب نور ، والمناظر الشبيهة بما فى ارض الاحلام عند طلوع الشمس وغروبها فى الصحراء . . . كلها تعجب الناس . اما اطلال المدن القديمة فهى اكثر جاذبية للاثريين . وقد تم اكتشاف اكثر من اربعين موضعا اثريا لأطلال المدن القديمة فى اعماق صحراء تاكلامكان وحولها . "

ان منطقة شينجيانغ واسعة الاراضى ، والمناخ فيها جيد ، ومنتجاتها وفيرة . فينتشر بين جبالها وواحاتها وصحاريها " مخزن الحبوب " و" مخزن اللحوم " و" حوض النفط " و" بحر الفحم " . وتشمل المنتجات الزراعية الرئيسية فى شينجيانغ القمح والذرة الصفراء والارز وغيرها . اما محاصيلها الاقتصادية فتشمل القطن والمزروعات الزيتية والشمندر والقنب واشباهه واوراق التبغ والعقاقير الطبية وغيرها . وتحتل مساحة زراعة القطن الطويل التيلة وكمية انتاجه ونوعيته المكانة الاولى فى البلاد ، وكذلك الحال بالنسبة لكمية انتاج حشيشة الدينار ونوعيتها ، مع العلم ان الحشيشة لم تبدأ زراعتها الا منذ الستينات . كما تنتج شينجيانغ انواعا كثيرة من الخضروات تباع داخل المنطقة وخارجها . وقد لقى الاجاص العطرى وصاصة الطماطم من انتاج كورله اقبالا كبيرا فى خارج البلاد ، هذا بالاضافة الى الزبيب وشمام هامى المشتهرين فى الاسواق العالمية .

ولمنطقة شينجيانغ تاريخ طويل فى تربية الحيوانات الداجنة ، وهى

تحتل المكانة الثانية فى البلاد من حيث المساحة المعشبة ، وتعتبر احدى مناطق الرعى الخمس الكبرى فى الصين . وتشتهر فى انحاء البلاد بالغنم الرفيع الصوف ، والغنم الكبير الذيل من آلتاى ، والحمل الاسود الجلد من كوتشار ، وخيل ييلى . كما ان شينجيانغ موطن الخيول المنغولية البرية التى تعتبر من الحيوانات النادرة — اغلى من البندا — والتى تشرف على الانقراض فى العالم .

وفى شينجيانغ ينمو اكثر من ٤٠٠ نوع من النباتات البرية ذات القيمة الاقتصادية الخاصة ، وتبلغ انواع العقاقير الطبية فيها اكثر من مائة نوع ، وقد تجاوزت كميتها الاجمالية ٢٠٠ ألف طن .

وتحت اراضى شينجيانغ بحر من الفحم ، ويبلغ احتياطيه ١٦٠ مليون طن ، اى تساوى ثلث احتياطيه فى البلاد عامة ، وتحتل شينجيانغ المكانة الاولى من بين المقاطعات والمناطق الذاتية الحكم فى البلاد فى هذا المجال .

وفى شينجيانغ ظهرت حقول نفطية جديدة فى السنوات الاخيرة بالاضافة الى حقول كلاماى المشهورة . وتعتبر الاحواض الثلاثة الكبرى فى شينجيانغ — حوض تاريم وحوض تشونقار وحوض توربان — من اهم احواض النفط التى تنتظر التنقيب . كما ان شينجيانغ غنية بالمواد المعدنية كالحديد والذهب والميكا والبلور وبعض المعادن النادرة .

وتحتل شينجيانغ المكانة الاولى فى انتاج الصوديوم والنطرون ، كما انها غنية بملح غلوبر والملح الصخرى والجبس .

ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد ان شينجيانغ تشتهر بانتاج الحجر الكريم واليشم ، ولها تاريخ طويل فى ذلك . ولها كذلك شهرة عالمية كبيرة فى انتاج الماس الطبيعى — ملك الاحجار .

حقا ان شينجيانغ منطقة ممتازة ، ولا عجب ان يطلق عليها الصينيون

اسم " حوض الكنوز " ، وان يحبها ابناء مختلف القوميات فى هذه المنطقة حبا جما .

٢٦ – لماذا اطلق على شينجيانغ التى يتجمع فيها المسلمون اسم " موطن الغناء والرقص " ؟

يمكن للمرء أن يسمع الاغانى تتهادى فى كل مكان فى شينجيانغ : فى المناطق بجانبى جبال تيانشان وعلى جوانب الانهار وفى الاحواض والهضبات، كما يمكنه ان يشاهد الرقص اينما يذهب . وهناك مثل يقول : " ننوى الرقص كلما ضربنا الدفوف ، وننوى الغناء كلما عزفنا على آلات الطرب . "

ان الاقليات القومية المسلمة فى شينجيانغ ، وخاصة قومية الويغور ، تجيد الغناء والرقص ، وتشتهر بذلك منذ الزمن القديم . ويمكن القول بأن الغناء والرقص هما من طبيعة قومية الويغور . وقد وصف شاعر صينى فى الزمن القديم اسلاف هذه القومية فى حركات رقصهم الرائعة بأنهم " يقفزون وينزلون طولا وعرضا ، ويدورون مثل الريح . " اما اليوم فجميع ابناء قومية الويغور رجالا ونساء ، كبارا وصغارا ، يعرفون الرقص ، ويعبرون به عن مشاعرهم البسيطة المتمثلة فى حبهم للحياة ، وتطلعهم الى الحرية والسعادة . ومن بين رقصاتهم الشعبية التقليدية عدة رقصات شائعة مثل رقصة " سنام " الخفيفة الحركة ورقصة " شياديانا " التى اطلق عليها " الرقصة المرحة " ورقصة " داولانغ " التى تحمل الطابع المحلى ، وتتصف بالصراحة والقوة ، بالاضافة الى رقصة " ساما " الحماسية ورقصة الصحن ورقصة الدف ورقصة " شاباى " ورقصة النار ورقصة الدجاج ، وغيرها من الرقصات الحلوة فى اعين الجماهير .

تضم رقصة " سنام " الرقص المنفرد والرقص الثنائى والرقص الجماعى الذى يشترك فيه ثلاثة – خمسة اشخاص . وعندما يجرى الرقص يصفق



رقصة «بسنام» (رقصة ويغورية)

المشاهدون ويغنون مبتهجين مع ايقاعات الرقص ، وحركات الرقص تتغير مع تغيرات ايقاعات الموسيقى ، وتزداد حماسة الناس مع ازدياد سرعة الايقاع . وتختلف اساليب هذا الرقص من مكان الى آخر ، ولذلك اضيف الى اسمه "سنام" بعض صفات من اسماء الاماكن ، مثل رقصة "سنام" فى هامى ، ورقصة "سنام" فى كاشغر . . .

اما رقصة "داولانغ" فقيل انها ابتدعت على يد عدد من ابناء قومية الويغور الذين كانوا يقيمون فى حوض تاريم فى الزمن القديم ، واطلقوا على انفسهم ابناء "داولانغ" . وتظهر هذه الرقصة اجتهاد هؤلاء الناس وبسالتهم وبساطتهم كذلك ، وحركاتها تتصف بالقوة والجمال ، وألحانها حماسية عذبة ، لذلك تحمل لقب "زهرة الفنون الشعبية" . وكثيرا ما تدوم هذه الرقصة طول الليل .

ورقصة "ساما" كانت رقصة دينية ، ثم تحولت الى رقص جماعى كبير يؤديه الرجال بمناسبة الاعياد ، وقلما تشترك فيه النساء . والراقصون يدورون فى الرقص باستمرار وبسرعة متزايدة حتى يقعوا على الارض فى بعض الاحيان .

ورقصة "شياديانا" يحبها ابناء الشعب كثيرا . وعدد المشتركين فيها ليس محددا ، كما ان تشكيلة الراقصين غير ثابتة . وتختلف اساليبها مع اختلاف المناطق ، فمنها ما هو مرح خفيف ، وما هو قوى بسيط . اما حركاتها الاساسية فهى القفز بالخطوات القصيرة ورفع الساعدين وتحريك الكفين بين الجانبين الداخلى والخارجى بسرعة ، مما يبعث فى الناس الفرح والبهجة .

وقومية الطاجيك التى تسكن فى هضبة البامير تجيد الغناء والرقص ، وتشتهر بهما ايضا . وحركات رقصها جميلة وخفيفة وقوية ، وتتمثل خصائصها فى



رقصة « النسر » (رقصة طاجيكية)

تقليد اوضاع النسر المختلفة ، وتجرى مع العزف على الدف و " رواف " (اى القيثار ذى الاوتار الستة) ومزمار النسر وغيرها . يمتاز هذا الرقص مع الموسيقى بنفحات الحياة البدوية فى الهضبة .

وقومية القازاق تجيد الغناء والرقص ايضا ، ودائما ما تؤدى رقصة "كالاجيوهلا" الشعبية مع العزف على الطنبور . وحركات الرقص تتصف بالبساطة والقوة .

وبالاضافة الى ما ذكر آنفا هناك رقصة " آجينوتشيكا " لقومية التتار ، ورقصة الدف لقومية الاوزبك ، وكلتاهما من الرقص التقليدى ذى الخصائص المتميزة . وتمتاز رقصات قومية الاوزبك بجمال الحركات وخفتها وكثرة تغيراتها . وعندما يدور الراقص بجسمه يتحرك ساعداه فوق رسطه دائما ، ووضعية هذا النوع من الرقص تتصف بالشجاعة والانطلاق . هذا ومعظم رقصات قومية الاوزبك منفردة .

٢٧ ـ ما خصائص موسيقى القوميات المسلمة فى شينجيانغ ؟

تعتبر الموسيقى الشعبية لقومية الويغور من اشهر انواع الموسيقى لدى القوميات المسلمة فى شينجيانغ ، وقد ورثت ما تتصف به موسيقى " تشيوتسى " وموسيقى " قاوتشانغ " وموسيقى " بيتشو " وموسيقى " يويتيان " فى الزمن القديم من التقاليد الفنية ، وطورته . ويتمتع بالخصائص القومية الشديدة .

وفى نفس الوقت تحمل هذه الموسيقى بعض الخصائص المحلية فى المناطق المختلفة . ووفقا لما جاء فى « سجلات ظروف البيئة والمجتمع فى شينجيانغ » فان الموسيقى فى جنوب شينجيانغ ترتبط محتوياتها واشكالها بالموقع الجغرافى ، وان الاغانى الشعبية فى ختيان بسيطة وقصيرة ، تعبق بالروح المحلية ، وانها ذات ايقاعات معقدة وألحان وفيرة فى كاشغر .

وفى كوتشار تتميز بحماستها ، وتتناسب مع الرقص ، وتحمل آثار موسيقى ورقص "تشيوتسى" القديمة . والاغانى فى شرق شينجيانغ تشبه كثيرا الاغانى الشعبية لدى قوميتى منغوليا وهان . وفى منطقة داولانغ تتميز بأسلوبها البسيط ، وتحمل الآثار العاطفية لأغانى الرعاة التى كان ابناء داولانغ فى الزمن القديم يحبونها . وفى منطقة ييلى تتميز بالنغمة الطويلة والعاطفة الثقيلة ، وكثير منها تحمل خصائص الرواية .

وتعتبر ألحان «المقام» اصل موسيقى قومية الويغور ، وقد اخذت من الموسيقى الشعبية مزاياها خلال مدة طويلة من التاريخ ، وتطورت حتى اصبحت الـ «١٢ مقاما» .

والملاحظ ان خصائص موسيقى قومية الويغور وطبيعتها العاطفية ترتبط بكثرة انواع الآلات الموسيقية القومية . فمنذ وقت بعيد يعود الى عهد اسرتى سوى وتانغ (٥٨١ – ٩٠٧) اصبح لدى قومية الويغور بيبا الخماسى (عود خماسى صينى) وبيبا المنحنى العنق وكونغهو (آلة موسيقية وترية قديمة) . اما آلاتها الموسيقية الحالية فهى ما بقى من نخبة الآلات الموسيقية القديمة فى الاقاليم الغربية (تشير هذه العبارة فى التاريخ الى مناطق غرب يويمنقوان الصينية ، بما فيها شينجيانغ وجزء من آسيا الوسطى) ، وقد استقت فى مسيرة تطورها من الآلات الموسيقية الصينية والاجنبية .

وفى شينجيانغ موسيقى خاصة بقوميات المروج ، اهمها موسيقى قومية القازاق والقرغيز والطاجيك .

وقومية القازاق شغوفة بالموسيقى ، وهناك عبارة ظلت شائعة منذ زمن طويل تقول ان "الاغنية والخيل جناحان لقومية القازاق" .

تعتبر المروج الجميلة مهد موسيقى قومية القازاق التى تتصف بالالحان الطروبة وكثرة انغام النداء . كما ان لهذه القومية بعض الاغانى التى تمتاز

بجمال اللحن ، وكثرة تغيرات الايقاع ، وتحمل خصائص الرواية . اما الآلات الموسيقية لهذه القومية فأهمها الطنبور الذى يمكن به عزف مختلف الالحان العذبة ، والتعبير عن المشاعر المتباينة برغم انه يحتوى على وترين فقط .

وتحمل موسيقى قومية القرغيز طابع المروج . ولهذه القومية آلة طرب خاصة – عود "كومز" الذى يعتبر اهم آلة موسيقية لدى هذه القومية .

واسلوب موسيقى قومية الطاجيك يتمثل فيما تتمتع به القوميات الجبلية من البساطة والصراحة والحماسة والانطلاق . واهم آلاتها الموسيقية هو مزمار النسر . وكثيرا ما يغنى واحد من ابناء القومية ، فيتجاوب معه الآخرون فى الغناء مع اصوات مزمار النسر والآلات الموسيقية الاخرى حتى ينتشى الجميع بالالحان الرنانة المتهادية .

٢٨ – ما ألحان « المقام » ؟ وما هى الـ « ١٢ مقاما » ؟

لقد تشكل نظام موسيقى متميز بأسلوب خاص فى شينجيانغ باعتبار تشيوتسى (كوتشار الحالية) مركزا له بعد عهد اسرة هان الشرقية (٢٥ – ٢٢٠) ، وهو ما يسمى « المقام » – قيل ان هذه الكلمة مأخوذة من اللغة العربية بمعنى مجموعة كبيرة من الالحان – وقد لعب دورا كبيرا فى تاريخ الموسيقى الصينى ، وتجسدت فيه خصائص الموسيقى الويغورية .

ورد ذكر كلمة « مقام » لأول مرة فى مدونات تشيوتسى التاريخية ، ثم ازدادت ألحان « المقام » ، وتنوعت اشكالها فى اواسط القرن السادس عشر . وقد سجلت ألحان « المقام » ما كان يحبه ابناء قومية الويغور وما كانوا يكرهونه . وهى لم تؤلف من وحى شخص ما ، بل تشكلت خلال مدة طويلة من التاريخ تدريجيا على اساس تأثرها بمزايا الموسيقى الشعبية . وقد اطلق عليها ابناء

قومية الويغور اسم " ام الموسيقى الويغورية " نظرا لصفتها التمثيلية .

تتمتع ألحان « المقام » بالخصائص المحلية لمختلف المناطق . وهناك على سبيل المثال فرق معين بين ما يشيع فى جنوبى شينجيانغ من ألحان « المقام » وما يشيع فى شمالها برغم ان انغامها متشابهة عموما . اما ألحان « المقام » التى تشيع على حافتى حوض تاريم الجنوبية والشمالية فتسمى « مقام داولانغ » . وتضم ٨ — ٩ مجموعات من الالحان ، يحمل كل منها اسما خاصا . وتتصف ببساطة سكان المروج ، وتصور احوال ابناء داولانغ فى الصيد ، وتظهر بسالتهم فى تصارعهم مع الحيوانات باللغة والصورة الموسيقيتين ، وذلك بالاضافة الى ألحان « المقام » فى بعض المناطق الاخرى ، التى تتمثل خصائصها فى اللباقة والنعومة والتفاؤل والنشاط والرزانة والثبات وغير ذلك .

وجدير بالذكر ان ألحان « مقام داولانغ » ، وكذلك « مقام » شمالى شينجيانغ التى تضم اكثر من مائة لحن ، و« مقام » شرقى شينجيانغ التى تضم اكثر من مائتى لحن ، تتناقلها الجماهير الشعبية عن طريق الفم والاذن دون اية نوتة لها . وقد تم ترتيب ما يشيع رئيسيا فى جنوبى شينجيانغ من ألحان « المقام » وفقا للصوت المسجل من الامام توردى الموسيقار الويغورى (١٨٨١ — ١٩٥٦) ، وبلغ عددها ١٢ مجموعة ، وتسمى الـ « ١٢ مقاما » ، وهى تعتبر اكمل مؤلف مسجل من ألحان « المقام » من حيث انغامها ، وقد نشرت عام ١٩٦٠ . يضم كل من الـ ١٢ مقاما الاستهلال والالحان الروائية وألحان الرقص والالحان الفاصلة ، التى تعزف بـ " دافو " و " رواف " و " شاتار " وغيرها من الآلات الموسيقية . ان الـ « ١٢ مقاما » ثمرة كبيرة فى تطوير الموسيقى الشعبية الويغورية الى شكل المجموعة وموسوعة تجسد لهذه الموسيقى ، كما انها كنز فنى يجمع بين الغناء والرقص الويغوريين بشكل جميل متكامل . تضم الـ « ١٢ مقاما » ٣٠٠ — ٤٠٠

لحن ، وتحمل الطابع الشعبى الواضح ، ويحتاج عزفها كلها الى اكثر من ٢٠ ساعة ، وكثير من انغامها تلقى اقبالا شديدا من ابناء قومية الويغور الذين يعزفونها ويغنونها دائما فى الاعياد الكبيرة والاحتفالات بالحصاد الوافر او فى حفلات الزفاف .

اما كلمات هذه المجموعات فقد تكونت على اساس جمع عبارات بعض القصائد الجميلة . كما يمكن لمغنيها ان يضيف اليها ما يحب . وهناك قصيدة بعنوان « أليف وسنام » معروفة لدى الجميع ، ادرجت بعض فقراتها فى الـ « ١٢ مقاما » .

يجرى عرض الـ « ١٢ مقاما » على شكل تقليدى فريد ، اذ يجلس المغنون فى الصدر والمستمعون يحيطون بهم . ثم يغنى احد المسنين لحنا تمهيديا ، فيتبعه الفنانون الآخرون يغنون ويرقصون ويعزفون على نحو مستمر ، وتزداد حماسة الجماهير مع حماسة الموسيقى . وتتبع نفس هذه الخطوات عندما يجرى العرض فى المسرح .

بعد تأسيس الصين الجديدة عام ١٩٤٩ وعبر عمليات الكشف والجمع والترتيب والتحسين لـ « ١٢ مقاما » تحقق انقاذ وتطوير ألحان « المقام » التى كانت قد ضاعت كلها ، وتم نشرها لأول مرة فى تاريخها بشكل كامل وبطريقة المدرج الموسيقى ، بل وبدأ عرضها على خشبة المسرح الفنى .

٢٩ — كيف انحدر مزمار النسر لدى قومية الطاجيك الى وقتنا الحاضر ؟

ان هضبة البامير معروفة باسم " سقف العالم " ، وقومية الطاجيك تعيش وتتناسل فى تاشكورقان شرق الهضبة ، حيث يشمخ عاليا جبل تشياوقلى بارتفاع ٨٦١١ مترا مع جبل موشيتاق — اكبر الجبال الجليدية ، والمياه تتدفق من

بين الجبلين عند ذوبان الثلوج ، وتشكل مصدر الحياة لقومية الطاجيك التى ترمز اليها الهضبة والوديان والنسر .

يعبد ابناء قومية الطاجيك النسر القوى ، اذ يستطيع بطيرانه عبور الانهار الجليدية والجبال الشامخة ، ويعتبرونه رمزا للشجاعة والدهاء ، كما يعتبرونه من اجمل الطيور ، وقد جعلوه هدفا للمدح فى اشعارهم واناشيدهم ورقصاتهم وقصصهم الاسطورية .

ويعتبر مزمار النسر احب آلة موسيقية لرعاة قومية الطاجيك . ويصنع عادة من عظام اجنحة النسور . وقد اطلقت عليه قومية الطاجيك اسم " ناى" .

من عادة ابناء قومية الطاجيك ان ينفخوا فى مزمار النسر ، ويغنوا مع صوته وصوت الدف والقيثار ، كلما كانوا متأثرين او حملوا حبا او املا كبيرا فى الحياة .

قال المسنون من قومية الطاجيك ان قوميتهم وحدها هى التى تملك مثل هذا المزمار العجيب .

وهناك اسطورة حول مزمار النسر :

قيل ان اسر قومية الطاجيك كانت منذ زمن سحيق تربى النسر باعتباره طائرا محببا وصديقا مؤتمنا ، تستخدمه فى الصيد نهارا وفى حراسة البيت ليلا .

ظل الصيادون من قومية الطاجيك يعملون باجتهاد جيلا بعد جيل دون ان يحظوا بكفايتهم من الطعام واللباس ، اذ كان ملاك العبيد يسلبون منهم كل ثمار اعمالهم .

وكان هناك صياد مسن من ابناء هذه القومية قد اصطاد غزالة لحسن حظه ، وذلك لم يحدث له منذ عشرات السنين ، فقدم الغزالة لسيده آملا ان يعطيه قليلا من الابل او المعز ، الا ان سيده لم يعطه شيئا ، بل ضربه

بالسوط . فمرض الصياد المسن حزنا ، ولم يمض على ذلك الا ايام قليلة حتى توفى . وبعد ذلك اصطاد ابنه ، وكان شديد المراس لا يعرف الخوف ، دبا اسود . فغادر مع دبه الى مكان بعيد ، واقام هناك رافضا تقديم الدب لسيده . اكتشف السيد مكان اقامته فقبض عليه ، واحرقه حيا بالصوف المبلل بالزبدة . فأصبح ابنه وافا يتيما ، يعيش مع نسر لديه . وكان النسر قوى البصر يستطيع ان يرى الطيور على مسافة بعيدة برغم انه تجاوز المائة ، كما كان ذا منسر حاد ومخلبين قاطعين يستطيع بهما تمزيق الدب . فأطلق عليه الصيادون "ملك النسور" .

كان وافا يقوم بالصيد مع نسره كل يوم ، الا ان سيده ظل يسلب منه كل فرائسه ، فينتابه الحزن والسخط كلما تذكر ما تعرض له جده وابوه من المحن ، وكثيرا ما كان يغنى :

يا عبيد قومية الطاجيك ،
انتم مثل النجوم التى سقطت من السماء .
الاحياء منكم يأكلهم القمل ،
والاموات منكم لن يهدأ لهم بال .
يا ملاك العبيد الشرسين ،
قلوبكم قاسية ،
تشبه قمم جبال موشيتاق الجليدية .
يا عبيد قومية الطاجيك ،
هل تظلون نجوما تسقط من السماء على الدوام ؟ !

لم يعد وافا يرغب فى الصيد لسيده بلا مقابل ، فتوانى فى ذلك . واخذت

كمية الفرائس تتناقص يوما بعد يوم . اكتشف مالك العبيد ذلك ، فأجبره على تقديم النسر تعويضا عن الفرائس التى كان عليه ان يقدمها لمالك العبيد . فغضب وافا غضبا شديدا حتى كاد يغمى عليه ، وبث شكواه لنسره ، فقال له النسر متأثرا : " لا تحزن ! اقتلنى بسرعة ، واصنع من عظام جناحى مزمارا قصيرا ، فبمساعدته ستصبح كل امورك على ما يرام ، وسينتهى شقاؤك . " دهش وافا بما سمع ، وعز عليه ان يقتل النسر صديقه الحميم وشريكه العزيز فى الحياة ، فنصحه النسر قائلا : " اذا لم تقتلنى انت ، فسوف يقتلنى السيد . " فما كان امام وافا الا ان يفعل ما قاله له النسر . ومن هنا ظهر مزمار النسر . فانفجر مالك العبيد غضبا ، وارسل بعض الناس الى وافا لقتله ، الا ان وافا لم يخف من الموت ، وهب ينفخ فى مزمار النسر . فاندفعت النسور من اماكن بعيدة افواجا الى رأس مالك العبيد الذى ارتعدت فرائصه رعبا ، وادرك انه مشرف على الموت ، فسجد لوافا طالبا منه العفو ، ووعده بأنه سيوافق على كل ما يطلبه منه . فطرح وافا مطالبه على مالك العبيد مباشرة : تقديم عشرة اغنام وعشرة ابقار وعشرة جمال لكل اسرة من قومية الطاجيك . فوافق مالك العبيد فورا . ثم نفخ وافا فى المزمار مرة اخرى فطارت النسور عائدة الى اماكنها البعيدة ، وبدأ ابناء القومية يعيشون فى سرور وحبور .

لكن مالك العبيد اخذ ينشط سرا للانتقام . وعندما عرف ان المزمار مصنوع من عظام النسر ، قام بتضليل ابناء الشعب ، وحرضهم على ذبح النسور وصنع المزامير من عظامها ، وادعى ان ذلك يجلب لهم التوفيق فى كل شيء . فقتل ابناء الشعب النسور ، وصنعوا من عظام اجنحتها المزامير ، مما اقلق مجموعات من النسور التى رأت ان صاحب مزمار النسر قد تغير قلبه . ففقد المزمار قدرته السحرية فى جذب للنسور التى لم تعد تأتى عندما

تسمع صوت المزمار . وعاد مالك العبيد الى ممارسة ظلمه وجبروته ، وعاد ابناء القومية يعانون مر العيش من جديد . لقد غادر ملك النسور الدنيا ، الا ان مزمار النسر ظل شيئا ثمينا لدى قومية الطاجيك .

٣٠ ـ من اين جاء الطنبور لقومية القازاق ؟

من اين جاء الطنبور لقومية القازاق ؟

يعتبر الطنبور احب آلة موسيقية لأبناء قومية القازاق . فعليه يمكن عزف مختلف الالحان العذبة برغم انه لا يحتوى الا وترين . يلجأ اليه ابناء قومية القازاق فى التعبير عن سرورهم وغضبهم وحزنهم وسعادتهم ، وقد اصبح صديقا ملازما لهم .

ولهذا الطنبور قصة مؤثرة : قيل ان راعيا فى الزمن البعيد رأى امعاء اغنام جافة معلقة على شجرة ، تتحرك وتصوت مع الريح . فأوحى له ذلك بصنع آلة موسيقية . فقام بتجويف قطعة من الخشب ، وركب عليها لوحة لأصابع اليد وقطعتين من الامعاء كوترين ، ثم حرك الوترين بخفة ، فانبعث صوت جميل .

وقد شهدت هذه الآلة الموسيقية عمليات تحسين وتطوير مستمرة حتى اصبحت بشكل الطنبور الحالى الذى يتمتع بقدرة تعبيرية كبيرة . ويعتبر الطنبور الحالى من الآلات الموسيقية الوترية النقرية ، ويصنع من خشب الصنوبر الكورى او البتولا . وبطنه على شكل حبة الكمثرى ، وعنقه طويل رفيع ، وعليه وتران ، وتلف على عنقه اوتار لتقسيم الفونيمات . وبالرغم من ان صوته خفيف الا ان نغمته جميلة .

ان قومية القازاق تحب الغناء ، ودائما ما يرقص ابناؤها رقصة "كالاجيوهلا" الشعبية على صوت الطنبور تعبيرا عن انطلاقهم وشجاعتهم وصدقهم وحماستهم .

٣١ ـ ما خصائص وسائل المواصلات فى شينجيانغ ؟ وما التطورات التى شهدتها منذ تأسيس الصين الجديدة ؟

منذ زمن قديم وشينجيانغ تشكل بوابة للتبادلات بين الصين والدول الاخرى . وظل طريق الحرير الذى يمتد غربا خطا هاما فى المواصلات خلال اكثر من ألف سنة . وكانت وسائل المواصلات الرئيسية وقتذاك هى الحصان والحمار والبقرة والجمل والياك . وكان الجمل ـ سفينة الصحراء ـ وسيلة لا بد منها فى المواصلات . كما كان الحمار يلعب دورا لا يستهان به . اما العربات التى تجرها الابقار والخيول فقد بدأ استخدامها بعد ذلك . وظلت المواصلات فى شينجيانغ تعتمد على المواشى حتى تأسيس الصين الجديدة عام ١٩٤٩ ، فنادرا ما كان الناس يجدون السيارة فيها . ويعتبر الطريق العام بين مدينتى اورومتشى وتاتشنغ الذى تم شقه فى الفترة ما بين عامى ١٩٢٦ و١٩٢٨ هو الاول من نوعه فى شينجيانغ . وحقيقة الامر انه شق على اساس طريق قديم لعربات الجر بعد عمليات ترميم بسيطة . ولم يظهر اى طريق عام فى شينجيانغ يتصل بمناطق البلاد الداخلية قبل عام ١٩٤١ ، وكان من الضرورى ان ينعطف الطريق الى الاتحاد السوفياتى لنقل الركاب والبضائع من شينجيانغ الى المناطق الداخلية . واستمر هذا الوضع حتى شق بعد عام ١٩٤١ طريقان يربطان شينجيانغ بالمناطق الداخلية مباشرة . ولكن طول الطرق العامة الاجمالى التى تم تشغيلها فى دائرة شينجيانغ لم تتجاوز ٣٩٧٠ كم قبل عام ١٩٤٩ . اما السكة الحديدية فلم تكن موجودة فيها حينذاك .

ولم تشهد المواصلات فى شينجيانغ تطورات حقيقية الا بعد تأسيس الصين الجديدة . فقد انشئت فيها شبكة من الطرق العامة والسكك الحديدية والخطوط الجوية ، تتجاوز الجبال والانهار ، وتمتد من المناطق الحدودية

الى المناطق الداخلية ومن داخل البلاد الى خارجها . فالطريق العام مثلا يصل اليوم الى جبال تيانشان ، ويمتد الى الواحات بعد ان يتجاوز هضبة البامير — سقف العالم — ويعبر الصحراء . وفى عام ١٩٨٣ تم شق طريق دوشانتسى — كوتشار ، وتحقق بذلك تقصير المسافة بين جنوب شينجيانغ وشمالها ٥٠٠ كم . لهذا ازداد عدد السيارات مما يقارب ٣٠٠ سيارة قبل التحرير الى ٦٢ ألف سيارة عام ١٩٨٢ .

ويبلغ طول الطرق العامة فى شينجيانغ اليوم ٢٥ ألف كم ، وذلك يساوى اكثر من ستة اضعاف ما كانت عليه طرق شينجيانغ قبل تأسيس الصين الجديدة . كما بلغ طول الجسور الاجمالى فيها ٤٥٧٧٠ مترا ، وطول طرق الاسفلت ١٠٧٠٠ كم . وتحتل شينجيانغ المكانة الاولى بين المناطق الذاتية الحكم للاقليات القومية فى هاتين الناحيتين .

وتجرى اليوم على نطاق واسع عملية اصلاح الطريق العام لانتشو — شينجيانغ . وبعد انجاز العملية سيكون هناك طريق عام يمتد من مدينة شانغهاى شرقا الى المناطق الحدودية غربى شينجيانغ ، وسيربط شينجيانغ بالمناطق الداخلية ربطا وثيقا .

ان الطرق العامة فى شينجيانغ اليوم تمتد الى ٩٧٪ من البلدات و٨٥٪ من القرى . ومع ذلك فان وسائل المواصلات الشعبية المناسبة للمسافات القصيرة ما زالت ضرورية هناك . فيمكن للمرء ان يسمع فى شينجيانغ اليوم اصوات جرس الجمل تتهادى فى الصحراء ، وان يرى عربات مغطاة تجرها الحمير على دروب الواحات . وقد اطلق عليها الناس مؤخرا اسم "باص الحمار" . ومن عادة ابناء الشعب هناك ان يركبوا الحمير فى تنقلاتهم مثلما يركب الناس الدراجات فى المناطق الداخلية ، وان يزينوا عربات الجر والحمير بالملابس ، ويركبوا عليها الاجراس ، وينقلوا بها الركاب على اصوات

الجرس الجميلة . وتنتشر "باصات الحمير" هذه الفريدة الاسلوب فى كل من كاشغر وتوربان والمناطق الحدودية بين الصين والباكستان . وتفيد الانباء ان عدد "باصات الحمير" فى مدينة كاشغر وحدها قد بلغ ما يقرب من ٦٠٠ عربة عام ١٩٨٨ ، ذلك ان هذه العربات تستطيع السير بين الشوارع والازقة الضيقة ، واجرتها زهيدة . كما ان عددا من سائقيها يتكلمون باللغة الويغورية واليهانية والانجليزية لاجتذاب الركاب .

وفى ديسمبر عام ١٩٦٢ تم بناء خط لانتشو — اورومتشى الحديدى البالغ طوله ١٨٩٢ كم ، وبذلك يمكن الوصول من بكين الى اورومتشى خلال ٩٦ ساعة بالقطار السريع . اما بواسطة الخيل فيحتاج قطع المسافة بين لانتشو واورومتشى وحدها الى اكثر من شهر ، فلا عجب ان اطلق الناس على هذه السكة الحديدية اسم "طريق السعادة" .

وبعد ذلك بدأ بناء خط حديدى فى جنوب شينجيانغ عام ١٩٧٣ ، وتم تشغيله كله عام ١٩٨٤ . وقد بلغ طوله من توربان الى كورله ٤٧٦٫٥ كم . ويتلوى هذا الخط فى اعماق جبال تيانشان ، حيث يتجاوز وادى آلاقو ووادى أولاسيتاى ٣٦ مرة ، ويعبر ٤٦٣ جسرا ، ويخترق ٢٩ نفقا ، منها نفق كويشيان الذى يعتبر اطولها ، وقد بنى على ارتفاع ٣٠٠٠ متر عن سطح البحر ، ويمر الخط بمساحة جليدية يبلغ طولها ٦١٥٢ مترا . كما يصعد وينزل فى الجبال ، وقد بلغ انحداره الشديد فى بعض اجزائه ٢٢ فى الالف ، واطول مقاطعه المنحدرة يبلغ ٢٤٠ كم ، وهذا نادر فى تاريخ الهندسة المعمارية .

واليوم تجرى عملية بناء الجزء الغربى من خط لانتشو — اورومتشى الحديدى الذى سيصل قارتى آسيا واوربا ، ويشكل شريان الحياة الثانى بينهما . وقد اتخذت الحكومة الصينية قرارا بتمويل بناء هذا الجزء من الخط

الحديدى ، وسيتم بناء المشروع على خطوتين : الاولى قد تمت ، وهى مد الخط من اورومتشى الى ووسو ، وطول هذا الجزء يبلغ ٢٣٦ كم ، وقد تم تشغيل بعضه . اما الخطوة الثانية فقد بدأت كذلك ، وهى الاستمرار فى مد هذا الخط الحديدى الى الغرب . وبمساعدة الحكومات المحلية على مستوياتها المختلفة فى شينجيانغ تكثف الصين جهودها لانجاز المشروع فى اكتوبر من سنة ١٩٩٠ ، ليصل الخط الى ممر آلاشان الجبلى ، ويرتبط بالخط السوفياتى . وعندها سيصل ميناء ليانيون على ساحل بحر الصين الشرقى بمدينة روتردام الهولندية ، وستكون المسافة على هذا الخط الحديدى اقل من مسافة الطريق البحرى بخمسة آلاف ميل .

من المعروف ان شينجيانغ هى البوابة الغربية للصين فى انفتاحها على الخارج ، لذلك فان لخط لانتشو — اورومتشى الحديدى اهمية كبيرة فى بناء منطقة شينجيانغ وتحويلها الى مركز تجارى اقتصادى منفتح .

اما خدمات النقل الجوى فقد ظهرت فى شينجيانغ منذ عام ١٩٥٢ . وكان الخط الجوى لانتشو — ييلى هو الاول فى هذا الصدد ثم تطورت شينجيانغ بسرعة حتى اصبحت عام ١٩٦٥ واحدة بين مقاطعات الصين ومناطقها التى تضم اكبر عدد من محطات الطيران واطول خطوط الصين الجوية . ولقد تحول مطار اورومتشى الى مركز للنقل الجوى يربط بين انحاء المنطقة ، كما يرتبط بالخطوط الجوية بين الدول .

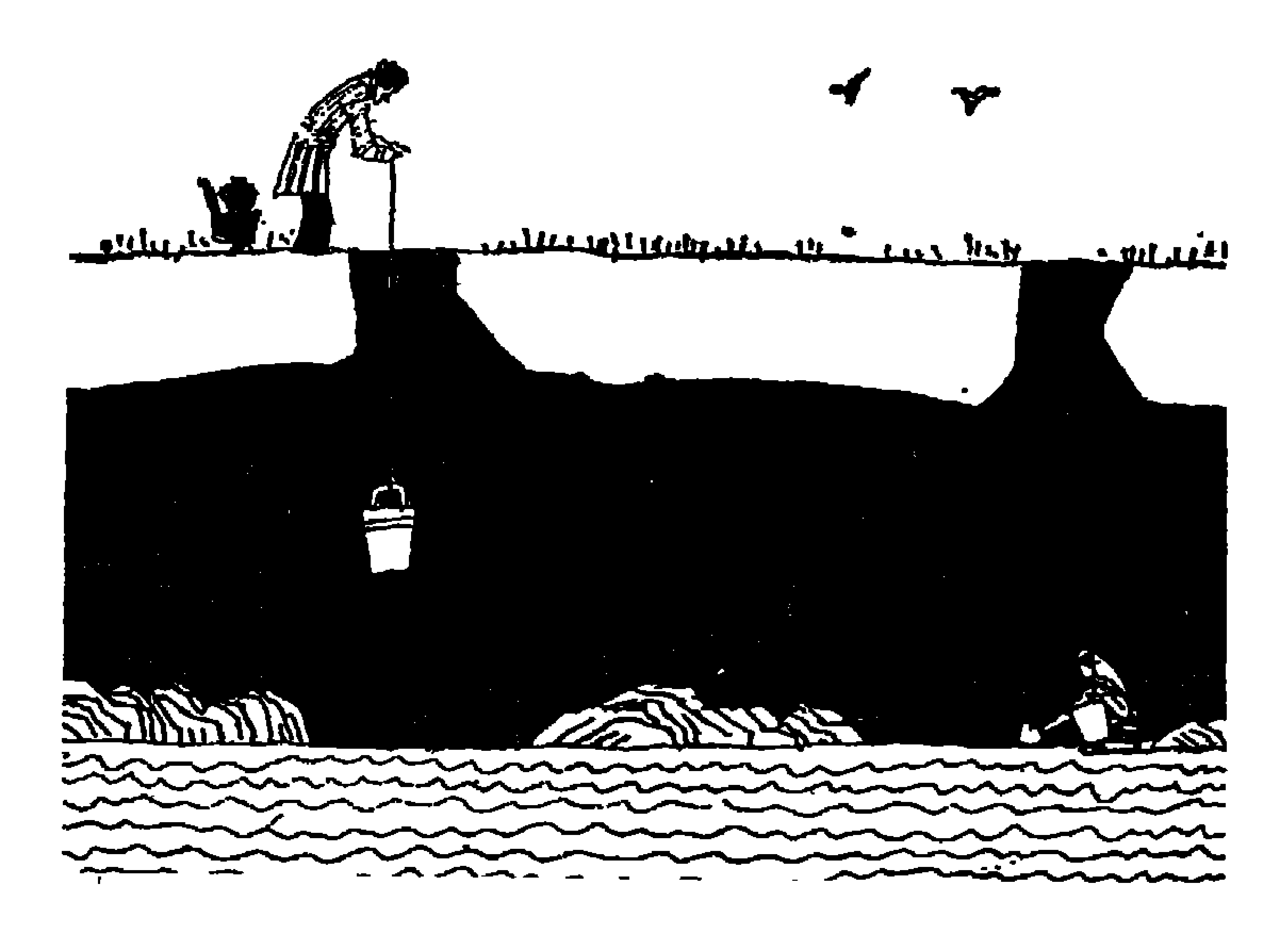
٣٢ — ما هى آبار "الكهاريز" ؟

لماذا تكثر الواحات الخضراء الفارهة والمياه الصافية الجارية والخضرة الدائمة فى منطقة توربان الملقبة باسم "ارض اللهيب والنار" و"مستودع الرياح" ؟ ما هو منبع الحياة فى توربان ؟

اذا زرت توربان وجدت فى صحراء غوبى التى تحيطها الواحات مجموعات من كثبان الرمال متناسقة ، ممتدة من المنحدرات العالية الى الواحات الخضراء . وهذه الكثبان ليست الا فتحات عمودية لنوع من الآبار . هذا النوع من الآبار يدعى " الكهاريز " .

جبل بوقدا منتصب فى شمال توربان ، وجبل كراوتشنغ فى غربيها . كلما حل الصيف ذاب الثلج وتدفقت المياه منهما بكميات غزيرة الى حوض توربان ، وسرعان ما تتسرب فى الارض ، فتتحول الى مجار مائية مختفية . ومع مرور الايام ، ازدادت سماكة الطبقة التى تحتوى على المياه تحت الارض ، فصارت منبع مياه جوفية وفيرة . ولكن المناخ فى منطقة توربان جاف فتتبخر المياه بسرعة . وبذلك اصبحت كيفية استخدام هذه المياه الجوفية محور بقاء الحياة هناك . ورد فى السجلات التاريخية ان " نظام الآبار والقنوات " الذى تشكل فى عهد اسرة هان قد انتقل من المناطق الداخلية من الصين الى منطقة شينجيانغ فى عهد اسرة هان الغربية . وحفر ابناء مختلف القوميات فى شينجيانغ فى اثناء ممارسة الانتاج وحسب الاحوال المحلية فى المنطقة آبار الكهاريز .

تعد الكهاريز احد مشروعات الرى التى بناها ابناء قومية الويغور مستفيدين من قنوات المياه تحت الارض لرى المزروعات . وتنتشر هذه الكهاريز بصورة رئيسية فى هامى وشانشان وتوربان وتوكسون ومحافظات اخرى . وهى عبارة عن قناة مطمورة وآبار عمودية وقناة مكشوفة وخزان مياه . عند البناء يبحث حفارو الآبار المتمرسون عن مكان وجود مياه ، ثم يحفرون بئرا عمودية . وبعد اكتشاف المياه الجوفية تحفر سلسلة من الآبار العمودية فى منحدرات صحراء غوبى ، يبعد الواحد عن الآخر ٢٠ — ٣٠ مترا . واخيرا يتم الوصل بين قيعان جميع هذه الآبار العمودية ، فتظهر بذلك قناة مطمورة



بئر كهريزية

تحت الارض ، ويقل عمق هذه القناة تدريجيا حسب منحدر الارض . تجرى المياه فى القناة المطمورة الى سطح الارض عن القناة المكشوفة فى امكنة قريبة من الحقول ، وتدخر هذه المياه بين سدى المياه لتستعمل عند الرى . ويبلغ طول اكبر قناة مطمورة ٢٠ — ٣٠ كيلومترا . وتظهر الاحصاءات ان مجمل طول القنوات المطمورة فى شينجيانغ يزيد عن ٥٠٠٠ كيلومتر ، مما يدل على ضخامة هذا المشروع . تجرى مياه الكهاريز تلقائيا ، وتروى المزروعات طول السنة ، وبذلك اصبحت منبعا للحياة لا ينفد . ولا يجانب المرء الحقيقة اذا هو قرن الكهاريز بالسور العظيم او القناة الكبرى الممتدة من بكين الى هانغتشو .

تروى سيول مياه الكهاريز الصافية ارض توربان ، محولة ارض اللهيب

والنار وصحراء غوبى الى حقول خصبة للفواكه ؛ وكلما حل الخريف بدت توربان كأنها " عالم من اللآلئ " يبهر العيون .

٣٣ — لماذا يطلق على توربان لقب " مدينة العنب " ؟

عرفت شينجيانغ زراعة العنب قبل ألفى سنة على اقل تقدير . اما توربان فقد عرفت زراعة العنب — حسبما تذكر المدونات — قبل اكثر من ألف سنة . واثبت المؤرخون ان زراعة العنب قد انتقلت من شينجيانغ والمناطق الواقعة وسط آسيا الى المناطق الداخلية من الصين .

وتكثر مساحات واسعة من العنب فى الواحات والاحواض والوديان الواقعة جنوب جبال تيانشان وشماليها بصورة عامة وفى توربان وختيان وكاشغر وآكسو بصورة خاصة . وزادت بساتين العنب وعناقيد العنب المنتشرة فى بيوت ابناء قومية الويغور المتصل بعضها ببعض من جمال الواحات شمال غربى الصين . وهذا شبيه بما ورد فى احدى القصائد :

عناقيد العنب تتدلى من كروم العنب امام الشبابيك ،
كأن اللآلئ تتألق فى حديقة من خيوط حريرية .

تقع توربان فى حوض توربان شرقى شينجيانغ . وهى ثانية المناطق الاكثر انخفاضا فى العالم بعد البحر الميت فى الاردن . نصف مساحة الحوض منخفض عن سطح البحر ، وتنخفض بحيرة آيدينغ — النقطة الاكثر انخفاضا — عن سطح البحر الاصفر بمقدار ١٥٤ مترا . وفى الحوض جبل على شكل ثعبان ضخم يمتد بصخوره الناتئة . وهذا الجبل هو جبل هويان (جبل اللهيب) الذى لا يشهد اى نبات ، وتظهر فيه صخور رملية

حمراء وثنايا صخرية كثيرة . اعلى درجة حرارة لسطح الارض هنا تزيد عن ٧١ درجة مئوية . وقد قال احد الشعراء : ان "السحب النارية تتجمد حول الجبل ، فلا تجرؤ الطيور على ان تأتيه من مسافة تبعد عنه ألف كيلومتر ." ولكن فى حضن جبل اللهيب هذا واد يمتد ٨ كيلومترات بعرض كيلومتر واحد ، ألا وهو وادى العنب ، موطن الفواكه المشهور .

تشتهر توربان بلقب "ارض اللهيب والنار" ، لأن اعلى درجة حرارة فيها ٤٧ درجة مئوية بينما معدل كمية المطر السنوية ١٦ مم . فهذا المناخ الجاف وترابها الرملى اتاحا ظروفا طبيعية ممتازة لزراعة العنب . وفترة التعرض لأشعة الشمس فى الصيف طويلة ايضا ، وتباين درجة الحرارة بين النهار والليل كبير ، وهذان الظرفان مفيدان لتراكم السكر فى الفواكه . لذلك فان العنب والفواكه هنا حلوة مثل العسل ، والمواد الغذائية فيها وفيرة . كتب لى شى تشن عالم الطب المشهور فى عهد اسرة مينغ الصينية (١٣٦٨ — ١٦٤٤) فى مؤلفاته الطبية ان العنب يقوى التنفس ، ويزيد من القوة والحيوية والقدرة على التحمل على الجوع والبرد . لذا فان تناول العنب دائما يقوى الصحة .

فى وادى العنب غرف "ينفانغ" المكونة من عدة طوابق من الثقوب . وغرفة "ينفانغ" الصغيرة الجميلة تسمى "ليانغفانغ" ايضا ، وقد بنيت لتجفيف ثمار العنب . تبنى هذه الغرف بالطوب فى امكنة مرتفعة طليقة الهواء بأحجام واحوال مختلفة . وعموما ترتفع كل غرفة ٣٫٥ امتار عن اديم الارض ، ومساحتها ٩ امتار مربعة . توضع فيها عوارض خشبية كثيرة تعلق عليها عناقيد العنب . وجدرانها الاربعة عليها ثقوب منتظمة . لأن العنب فى شينجيانغ يجفف بالهواء الطلق فى هذه الغرف ، وليس يجفف بأشعة الشمس ، لهذا يحافظ الزبيب فى شينجيانغ على لون العنب الاصلى والطعم الحلو اللذيذ .

تنتج توربان كميات كبيرة من العنب الابيض الخالى من البذور . والزبيب

الذى ينتج من هذا العنب اخضر اللون ولامع وذو طعم حلو وحامض مناسبين ، فحمل بذلك لقب " اللآلئ الخضراء الصينية " . وتنتج توربان ايضا عنبا على شكل حلمة الفرس وعنبا احمر ، وعنب كاشغر ، وكله ذائع الشهرة . كما يزرع مزارعو الفواكه الويغوريون هناك الخوخ والمشمش والتوت والعناب والجوز والكمثرى والتفاح والرمان والتين وانواعا مختلفة من البطيخ والشمام . وكلما حل شهر يوليو فاحت رائحة الفواكه الطيبة ، وتلألأت ثمار العنب الخضراء الضاربة الى الصفرة وذات اللون الفيروزى والاحمر الفائح ، متخذة شكل قلب الدجاجة او حلمة الفرس او الشكل المستدير ، ويكاد عصيرها يسيل منها ، فتشكل ثمار العنب هذه "عالما من الدرر واللآلئ" التى تبهر العيون . وينقل العنب والفواكه الى الاسواق ابتداء من يوليو ، فتنشرح الصدور برائحتها الطيبة الفواحة . هكذا يمكن للزوار القادمين من ارجاء الصين وخارجها ان يتمتعوا بمنظر الحصاد الوافر الجذاب ويتذوقوا فى نفس الوقت الفواكه الطازجة الوفيرة العصير واللذيذة الطعم فى توربان ، فى وادى العنب . لذا سميت توربان " مدينة العنب" او " مدينة اللآلئ" .

٣٤ ــ لماذا تكثر ضفائر الفتاة الويغورية ؟

جاء فى احدى الاغنيات : " ضفيرة الفتاة فى مدينة دابان طويلة ، والبطيخ فيها كبير وحلو . . . " فى هذه الكلمات اشادة بجمال الفتاة الويغورية . ويمكن للمرء ان يشاهد الفتاة الويغورية تؤدى الرقصة الويغورية وعلى رأسها عشرات الضفائر . هذه الضفائر السود اللامعة ، شأنها شأن ستارة معلقة على ظهرها ، تتحرك مع حركاتها الراقصة .

لم كل هذا العدد الكبير من الضفائر ؟ هل لها معنى آخر غير اضفاء الجمال ؟

ثمة رأى يقول ان عدد ضفائر الفتاة الويغورية بعدد سنها . ولكن هناك رأى آخر يعكس الرأى الاول ؛ فيرى ان عدد الضفائر دائما ما يكون عددا مفردا ، واكبر عدد ٤١ ضفيرة . لأن العدد ٤١ عدد مبارك لدى الويغوريين . اما المرأة الويغورية المسنة فلا تضفر شعرها الا بضفيرتين . لذلك يمكن القول ان عدد الضفائر لا يتعلق بالسن .

وثمة رأى ثالث يقول ان عدد الضفائر له علاقة بالزواج ، اى الفتاة الشابة ذات ضفائر كثيرة ، بينما المرأة المتزوجة تضفر شعرها بضفيرتين فقط . على كل حال يرى معظم الويغوريين ان كثرة عدد الضفائر انما هو لابراز الجمال . ويقول بعض الناس ان كثرة عدد الضفائر ترمز الى غزارة شعر الفتاة فى عنفوان شبابها ، وشعرها الكثيف شأنه شأن الاشجار الوارفة يبدو فى غاية الجمال والروعة . وكلما كثف الشعر ازداد عدد الضفائر وازداد الجمال . ولمصدر هذا القول فى الجمال علاقة ما بعبادة الطوطم .

٣٥ ـ لماذا يحترم اهل شينجيانغ "الافندى" ؟

مع تطور التبادل الاقتصادى والثقافى بين الصين والبلاد الواقعة غرب الصين ترجمت قصص الملا ناصر الدين الى اللغة الصينية وانتشرت فى الصين وبين ابناء قومية الويغور وغيرها من القوميات فى شينجيانغ بعد ولادة الصين الجديدة عام ١٩٤٩ بصورة خاصة . وسمى الناس ناصر الدين "الافندى" (معناها فى اللغة الويغورية الاستاذ او المعلم) احتراما له . واذا ما ذكر اسم الافندى ظهرت فى مخيلة الناس صورة لطيفة لمسلم ذى لحية طويلة وثوب طويل مخطط ، يلف رأسه بـ "شال" طويل ، ويركب حمارا هزيلا . لقد اكمل الناس او ابدعوا قصصا جديدة تحمل خصائص قومياتهم حسب ما يراودهم من آمال بأساليب قصص ناصر الدين . وجمع بعض الناس فى





«الافندى» الاسطورى

شينجيانغ اكثر من ٨٠٠ قصة عن الافندى . ولأن الافندى يساعد الناس في حل المشاكل وازالة الهموم ، ويؤيد العدالة والاستقامة ، ويوجه نقدا

للمظاهر السيئة ، وثق به كل من الرجال والنساء والصغار والكبار ، وخصوه باحترام كبير . وبعد ولادة الصين الجديدة ظهرت قصص الافندى بمختلف الطبعات .

اضافة الى ذلك فان قومية الاوزبك وقوميات اخرى فى شينجيانغ قد ابدعت قصصا عن الافندى عابقة بمشاعرها وبلغاتها القومية وبأسلوب التعبير المتمثل فى التفاؤل والروح المرحة . اما فى السنوات الاخيرة فظهرت صورة الافندى فى بكين عاصمة الصين ايضا . فيبدو الافندى فى صورة المسن ، الحكيم ، الداعى الى العدالة من اجل تحقيق مصالح ابناء الشعب ، واحتوته فى عصرنا الحاضر قلوب الناس ، انه ناصر الدين .

تطورت قصص الافندى اليوم من الحكايات المروية باللسان الى الحكايات المدونة فى الادب الشعبى الويغورى . وهى تعبر عما فى قلوب ابناء الشعب من الحب والكراهية بأسلوب السخرية والنقد . وحظى الافندى من خلال استقامته وطيبته بمحبة ابناء الشعب الصينى .

ومع ان قصص الافندى شهدت تطورا وغزارة ، غير ان صورة الافندى لم تتغير ، فهو ما زال مثل ناصر الدين رفيع الاخلاق طيب السمعة واسع المعارف ، يحظى باحترام الناس جميعا .

٣٦ ــ ما هما جناحا قومية القازاق ؟

قومية القازاق قومية مولعة بالغناء . وهى ايضا قومية ماهرة فى ركوب الخيل ، وهناك مثل قازاقى يقول : " الاغنية والخيل جناحان لقومية القازاق " :

جناح قومية القازاق الاول ــ الغناء .

حياة ابناء القازاق تسودها الاغانى والانغام . والغناء يرافق القازاقيين طيلة عمرهم . وتسمع الاغانى سواء عند الولادة او فى الاعياد او الزفاف

او الاجتماعات او الالعاب . وجاء فى الامثال : " عندما يولد الانسان يفتح الغناء له ابواب العالم ، وعندما يرحل عن الحياة ويوارى فى القبر يرافقه الغناء . "

عندما يأتى المولود الجديد الى الدنيا يستقبل الناس الفجر ٣ مرات من اجله . وفى كل مرة يتواصل الغناء حيث يجتمع الشبان والشابات فى بيته ويشدون من المساء الى الفجر ، يشدون بأغنيات تدعو له بالخير والسعادة طول العمر وتتمنى للمولود ان يكون " آكن " (مطرب شعبى) وللمولودة ان تكون " بلبلا" يغرد فى مستقبل الحياة .

وعندما ينهى القازاقى آخر مطاف فى طريق حياته مودعا الدنيا يرثيه الناس بأغنيات مفعمة بالحزن حدادا عليه ، ويستمر الحداد ٤٠ يوما احيانا .

وكذلك يغنى الناس اغنية " جياليجيا " فى عاطفة صادقة وعميقة لوداع العروس التى سترحل من بيت والديها الى حياة جديدة . اما زوجة اخى العروس فتغنى نيابة عن العروس اغنية "سنسمامن" تعبيرا عن حنين العروس الى اهلها . ويجرى غناء الآكن فى اثناء حفلة الزفاف . وعند نزع طرحة العروس تلهج ألسنة الناس بأجمل الكلمات وبصوت طليق . وهذا الغناء ، طويلا كان ام قصيرا ، يتم ارتجالا .

تقول اغنية " جياليجيا " :

من عادات القازاق وداع العروس بالغناء ،
فراقك يعز على قلوبنا ،
فارحلى مطمئنة .
امنياتنا ان تبنى حياتك الجديدة بكل همة .
الفتاة الجادة لا تشعر بالوحدة ،

اقرباؤك هم الذين ينتظرونك ،
سيحبونك كما احبك والداك ،
فاذهبى باطمئنان ،
الى بيتك الجديد .

وتقول اغنية الترحيب بالعروس :

مرحبا بك ايتها الفتاة الجميلة ،
نرحب بمقدمك ،
نتمنى ان ترفلى فى حلل السعادة ،
وان تكون حياتك مفعمة بالانسجام مع شريكك .
فهذا بيتك !
من اليوم انت ربة هذا البيت ،
دبرى امر اسرتك جيدا واحتفى بالضيوف ،
اياك والثرثرة ، فهى تجلب المشكلات ،
وابتعدى عن الطيش والتسرع حتى لا تضيع المهابة ،
واتصفى بالفضيلة وباحترام الكبار والعناية بالصغار .

لذلك ليس من الصعب ان نجد ان دور الغناء هام فى حياة قومية القازاق وثيق الارتباط بها . يمكن للغناء ان يسمع فى كل ارجاء مروج ابناء قومية القازاق ، كما تسمع اصوات الاوتار العذبة والاغانى المثيرة خلال الرعى والانتقال من مرج الى آخر وعند سباق الخيل ومباريات خطف الحمل . اما فى موسمى الربيع والخريف اللذين تتوفر فيهما المياه والاعشاب وتسمن

الابقار والاغنام ، فدائما ما يطلق الرعاة لأنفسهم العنان فى الغناء .

"آكن" اسم عام للمطرب القازاقى الشعبى ، وهو ايضا لقب للشاعر الشعبى احتراما له . ونظرا لقلة عدد الناس الذين يعرفون القراءة والكتابة كثر انتشار الادب بين ابناء الشعب بأسلوب الرواية الشفوية . فأصبح جمع الابداعات الشعبية وعرضها بأسلوب الغناء مهمة ملقاة على عاتق الآكن . ويجمع الآكن قدرا غير قليل من القصائد القديمة والقصص والامثال والحكايات والاقوال المأثورة المنتشرة بين ابناء الشعب ، ويغنيها متجولا هنا وهناك . واذا تأثر الآكن ، تسابقت افكاره ، وانطلق الشعر على لسانه ارتجالا . ويترك آثار قدميه فى كل المروج ، وصوت غنائه رنان وقوى ، وعواطفه صادقة ومثيرة . يضيف الآكن لحياة ابناء قومية القازاق متعة متزايدة ، لذلك لا يقدرون على العيش من دونه .

صار عزف وغناء الآكن برنامجا لا يستغنى عنه فى حياة ابناء قومية القازاق . ونشاطات مسابقات الغناء التى تجرى دائما فى المناسبات الاجتماعية تعد ميدانا يعبر فيه كل الآكن عن معارفه ومواهبه على نحو مستفيض . ودائما ما تجرى مسابقات الغناء من حلول المساء حتى طلوع الفجر ، جاذبة الرعاة من كل مكان ، ولا يستسلم احد المتنافسين للآخر ، فيصعب تمييز الفائز من غير الفائز .

يعتبر ابناء قومية القازاق الآكن لسانا ناطقا باسمهم ، لذلك يكنون له احتراما جما .

جناح قومية القازاق الثانى — الخيل .

وتعتبر الخيل صديقة لقومية القازاق وشريكة له فى الحياة . يعود تاريخ النشاطات المعيشية والانتاجية التى تتخذ الخيل محورا لها الى امد بعيد . وهذا التاريخ العريق تربطه علاقة مباشرة بتاريخ قومية القازاق . لذلك اصبح

مدح الخيل موضوعا لا غنى عنه فى كل من الموسيقى والشعر والامثال ونشاطات التسلية لقومية القازاق . حب الغناء يلازم حب الخيل .

سباق الخيل وخطف الحمل ومطاردة الفتاة لأبناء قومية القازاق ترافقها الاغانى العذبة ووقع حوافر الخيل . وفى ارجاء المروج اللامتناهية الجميلة الساحرة يرعى الرعاة القازاقيون الخيول ملوحين بالسياط ومغنين بصوت عال وقوى .

وقد اطلق الشاعر يانغ مو — من ابناء شينجيانغ — العنان لأشعاره ، واصفا مشاهد سباق الخيل لقومية القازاق بما يعبر عن طبيعة وخصائص قومية القازاق المتمثلة فى الشجاعة والاقدام والشهامة والتفاؤل . ومما قاله هذا الشاعر :

يحطم عرف الخيل عالم التراجع ،
وعالمنا على ظهور الخيول .
. . . . . .
يطاردون ويركضون ،
من كبار السن حتى الفتيات .
فهذا تهليل وذلك تشجيع ،
فما احلى هذه الاصوات !
القدوم هو معنى الحياة .
. . . . . .

تجرى قومية القازاق على سهول الحياة بمساعدة جناحيها : الغناء والخيل .
وقد ذابت روحها القومية المتمثلة فى الثقة بالنفس فى الاغانى ووقع حوافر الخيل مفعمة بمشاعر الزهو والاعتداد بالنفس .

٣٧ – لماذا يقال ان قومية الطاجيك قومية ذات حماسة شأنها شأن النار ؟

هناك بيت من الشعر يقول :

يسرح ابناء الطاجيك ويمرحون فوق هضبة البامير ،
مستلهمين القدرة والهمة من جبالها .

يشمخ على هضبة البامير جبل موشيتاق – اكبر الجبال الجليدية المشهورة ، وجبل تشياوقلى – ثانى جبل فى العالم من حيث ارتفاعه . ويشكل هذان الجبلان مع عشرات الجبال الثلجية الشامخة والانهار الجليدية المعلقة فى الاعالى والبحيرات الهادئة والمروج المعشوشبة والحقول الخضراء منظرا ساحرا لهضبة البامير التى تقع عليها محافظة تاشكورقان الذاتية الحكم لقومية الطاجيك – موطن ابناء قومية الطاجيك . تنتشر حقول وقرى ابناء الطاجيك فى وديان كبيرة وصغيرة على ارتفاع ٣٠٠٠ متر فوق سطح البحر . وقد منحت الحياة شبه الرعوية وشبه المستقرة ابناء قومية الطاجيك الاخلاق الحميدة المتمثلة فى الاجتهاد والشجاعة . كما يحافظون جيلا بعد جيل على تقاليدهم القومية العريقة والبسيطة ، الا وهى الامانة والطيبة واحترام الآخرين والالتزام وعدم الاضرار بالمصالح العامة . وهذه الاخلاق الحميدة سمة بارزة للقومية كلها ، كما انها تمثل عقيدتها .

وبسبب الانتقال من مرج الى مرج لمزاولة الاعمال الرعوية تشكلت لدى قومية الطاجيك عادة عريقة ، هى : اذا حمل المرء فى سفره اشياء اكثر مما يحتاج اليه ، او اشترى اشياء جديدة تتعبه كثيرا ، امكنه ان يترك الاشياء التي لا يستعملها مؤقتا في اي مكان في طريقه ويضع حجرا صغيرا

فوقها او اية علامة اخرى . وحين يرى الناس الاشياء التى عليها علامة يعرفون ان صاحبها سيعود اليها ليأخذها ، فلا يمسونها ابدا . ومهما مضى الوقت على هذه الاشياء تبقى مع علامتها فى مكانها ، لذلك عندما ينتقل الرعاة من مرج الى مرج فى الربيع ويتركون بعض اشيائهم ويضعون فوقها علامات ، يجدونها لا محالة عندما يعودون اليها فى الخريف . واذا صادف ان ضاع شيء ما ، فان صاحبه لا يقلق عليه لأنه يعرف ان الشخص الذى وجده سيحمله الى اهله ليتعرفوا على صاحبه . ان ما ذكرناه سابقا ليس قصة اسطورية ، بل هو حقيقة اكيدة . ذلك انهم تلقوا جيلا بعد جيل التعاليم الاخلاقية الطيبة متأثرين بالاخلاق الحميدة مثل ما يقال : " المرء الذى يأخذ حاجة غيره ، حاله حال كلب سرق الاكل فضم ذيله بين قائمتيه الخلفيتين بشدة تجنبا من الضرب . " وهناك اقوال تهدف الى حث الناس على اخماد الشر فى مهده ، مثل : " الماء يجرى بطيئا ، ولكنه يأكل وادى الجبل اذا مضى وقت طويل . " لذلك اذا قلنا ان الظروف الطبيعية قد غذت نفسيتهم وعواطفهم ، فالحياة قد صقلت امانتهم وطيبتهم ، لذلك يبدون كأن ازهارا حمراء يافعة تتفتح فى قلوبهم دائما وابدا .

ان اخلاق قومية الطاجيك الحميدة قد اوجدت مظهرا اجتماعيا رائعا فى ايامنا الحاضرة . وقد نشرت الصحافة ان محافظة تاشكورقان لم تشهد مجرما واحدا فى الفترة ما بين عامى ١٩٧٨ و١٩٨٣ ، كما ان المحاكم لم تتلق اية شكوى من اجهزة النيابة ، وعليه لم تعقد المحاكم اية جلسة ، ولم تعرف السجون ولو سجينا واحدا . وهذه ظاهرة نادرة الحدوث . حتى السواح يمكنهم ان يتركوا ما لديهم من الاشياء والامتعة دون ان يساورهم اى قلق . وحدث ان سافر بعض الجامعيين الى هناك لكتابة مقالات او لابداع رسومات . واقاموا فى ٥ نواح ، ولم يغلقوا ابوابهم او يقفلوها ، ولم يقلقوا على امنهم .

وقد اجاد احد امثال الطاجيك فى التعبير : " الانسان الصالح عبد ضميره ، والشرير عبد المال . "

ان ابناء قومية الطاجيك لا يتحلون بالامانة والطيبة فحسب ، بل يعاملون الناس ايضا بالمودة والحفاوة . اذا رأى طاجيكى غريبا آتيا من بعيد ، اسرع اليه يحييه . واذا جاءه ضيف على ظهر فرس ، ساعده على الترجل عن الفرس ، وتناول منه سوطه . اما صاحبة بيت المضيف فتفرش حشية ليجلس الضيف فوقها ، ثم وسادة وراء ظهره وتخلع له نعليه ليستريح . وحين يهم الضيف بالمغادرة يحضر له المضيف الفرس ، ثم يساعده على الركوب ، ويناوله السوط . ويهتم ابناء الطاجيك بقرى الضيف ، غير منتظرين جزاء ولا شكورا . وحتى الفقير منهم يبادر الى المساعدة فى تدبير المعيشة والاقامة ، ويقدم المضيف الى ضيفه الطعام الذى يحتاج اليه فى سفره ، وغالبا ما يكون هذا الطعام كيسا من الجبن .

٣٨ — ما هى لعبة " مطاردة الفتاة " ؟

هناك قصيدة لقومية القازاق تصف مشاهد " مطاردة الفتاة " . اذا قرأها الانسان لاحت فى مخيلته المناظر الرائعة والعواطف الجياشة ، فهذه اشبه بلوحة فنية لمطاردة الفتاة تتجلى امام عينى الانسان . تقول القصيدة :

فى المروج تجرى على ظهر حصان ادهم ،
وألحق بك على متن حصان اشهب ،
حصانك كما الطير فى سرعته ،
ولكن يصعب ان تلحق بفتاة احلامك .
انا فاشل ، فارفعي السوط واجلدني ،

فمن خفايا القلب تنساب ادمعى ،
آه ، لماذا رفعت السوط عاليا وانزلته رفيقا ؟
فما احلاه سوطا لطيفا فى حشايا اضلعى !

* * *

لتنزلى ببطء من قمة الجبل فوق حصانك الادهم ،
سأصحبك فى الطواف بين المروج المتفتحة الازهار ،
ما اجمل الازهار الحمر فى المروج !
ولكن فتاتى ، حبيبتى ، اروع منها ،
اطلقى خيوط حبك وشدينى بها ،
خيوط الحب تشد قلبى اليك طول الحياة .

مشاهد مطاردة الفتاة فى القصيدة مثل مشاهد مطاردة الفتاة فى الحياة الواقعية تماما . كلما حلت الاعياد احيا ابناء القازاق والقرغيز لعبة ركوب الخيل والرياضة التقليدية — لعبة مطاردة الفتاة . هذه اللعبة نوع من نشاطات التسلية للشباب ، وتجرى بأسلوب هروب الشاب ومطاردة الفتاة له . وفى الواقع يمكن للمتزوجين وغير المتزوجين ان يشكلوا اثنين اثنين كما يشاؤون ، ثم يتجهون الى مكان محدد . فكل الشباب والشابات يظهرون ما فى قرارة نفوسهم ومشاعرهم للفوز واظهار القوة والمهارة مستفيدين من سرعة خيولهم ، ويعبرون عما فى افئدتهم من الحب فى نفس الوقت . هناك حكاية قديمة وجميلة تشير الى اول مصدر للعبة مطاردة الفتاة . تقول بأن بجعة تحولت فى الماضى السحيق الى فتاة جميلة ، ثم تزوجت صيادا . وركب كل منهما جوادا ابيض كالبجعة ، وراحا يطاردان بعضهما بعضا . لذلك نقول بأن هناك علاقة بين لعبة مطاردة الفتاة وبين هذه الحكاية .

دائما ما تقام لعبة مطاردة الفتاة فى المروج فى الصيف والخريف ، حيث يأتى الرعاة من كل حدب وصوب لمشاهدتها . تبدأ اللعبة بدعوة المضيف ، ثم يتجه الشباب والشابات اثنين اثنين على ظهور الخيل الى مكان محدد . وفى الطريق يمكن للفتى ان يعاكس او يغازل الفتاة ، او يعبر عن حبه لها بشرط ان لا يتجاوز الحد . والفتاة تسمع ذلك صامتة ولا تبدى اية معارضة حتى لو شعرت بالخجل . ولكن عند العودة من المكان المحدد يشرع كل من الفتى والفتاة بحث جواده رافعا سوطه ومندفعا بسرعة . فيجرى الفتى فى الامام وتطارده الفتاة من خلفه . واذا لحقت به يمكنها ان تجلده انتقاما من معاكسته ومغازلته لها ، مما يؤدى الى احراج بعض الفتيان ، فيثير ذلك ضحكات المشاهدين . ويعامل بعض الفتيان بتسامح ورفق لما يتصفون به من الخجل الذى يجعلهم لا يوقعون الفتيات فى موقف حرج خلال معاكستهن فى الشوط الاول . واذا كانا يحبان بعضهما بعضا قبل هذه اللعبة ، يرى المشاهدون ان السوط يرفع على رأس الفتى ولا ينزل ، اذ تكتفى الفتاة بالتلويح بسوطها رمزيا .

٣٩ ـ ما هى مباريات خطف الحمل ؟

خطف الحمل لعبة رياضية قائمة على المطاردة والخطف على ظهور الخيول فى المروج الشاسعة . وهى تعبير عن المهارات الفائقة التى يتقنها ابناء قومية القازاق والطاجيك والقرغيز فى النشاطات الانتاجية الرعوية الطويلة الامد ، كما انها لعبة رياضية قومية تقليدية . فالراعى الشجاع يمكنه ان يصبح لاعبا ممتازا فى خطف الحمل .

يمارس الرعاة الاعمال الرعوية فى المروج الواسعة . وكلما تغيرت المواسم اضطروا الى الانتقال من مرج الى آخر مع مواشيهم . ولحماية المواشى لا

يجابهون المناخ المتقلب فحسب ، بل يناضلون ضد الحيوان المفترس ؟ واذا هوجمت وتفرقت قطعان الغنم دائما ما يحنى الراعى ظهره فوق ظهر حصانه ليأخذ شاة بعد اخرى لتجميعها . فتشكلت لديه مع مرور الايام مهارة فائقة ، تحولت تدريجيا الى نشاطات مباريات جماهيرية تحظى باقبال كبير . وتقام دائما فى الاحتفالات الكبيرة او بعد صلاة الاعياد او دعوات الخير .

تجرى مباراة خطف الحمل عموما فى الخريف الذى تسمن فيه الاغنام وتقوى الخيول ، وقد تجرى هذه المباراة احيانا فى اثناء الرقص والغناء فى الاحتفالات . ينقسم المشتركون فى خطف الحمل الى صفين ، وعددهم يصل الى العشرات عموما ، وقد يزيد عن مائة شخص احيانا . ويمتطى كل فارس جواده القوى ، ويقف فى صفه منتظرا البدء . وفى بداية المباريات ، يصلى كبير القوم او احد المسنين ويدعو هؤلاء اللاعبون له بالخير ، وهم على ظهور خيولهم .

والحمل الذى يستعمل فى هذه المباريات صغير ، يذبح ويفصل رأسه عن جسده . ومن اجل ان يكون هذا الحمل قويا ومرنا فلا يمزق عند التخاطف ، ينقع فى الماء اولا او يصب الماء فى معدته .

ما ان تصدر التعليمات ببدء المباريات حتى ينطلق كل الفرسان الى الهدف كالنمور تنطلق الى اقدام الجبال . واذا تمكن الفارس الذى خطف الحمل من الوصول الى الهدف به قبل غيره ، كان هو الفائز .

يسمى لحم هذا الحمل المطبوخ " لحم السعادة " ، ويأكله المشاركون جميعا . واذا ألقى هذا الحمل فى فناء ما ، اعتبر صاحب الفناء كأنه اقام حفلة فرح ، كما يعتبر الحصان الذى فاز صاحبه فى المباريات " بطلا " ، ويكافأ بتزيينه بأشرطة حمراء .

ينظم فرسان الفريقين حسب مسؤوليات معينة ، وعلى كل واحد منهم ان

يناضل من اجل ان يفوز فريقه . وعند المباريات لا بد ان يتعاون كل الفرسان فى الفريق الواحد وان يضافروا جهودهم ، ويتقنوا المهارات ، ويتشجعوا فى عملية الخطف . وبذلك يمكنهم ان يضمنوا ان يكون الحمل من نصيب فريقهم . وعند التنازع والتخاطف العنيفين يصبح كل من الذكاء والشجاعة محورا لتحقيق النصر . وتستغرق المباريات ساعات احيانا . والمتوترة منها تبهر العيون .

٤٠ — من هو "ماناس"؟ ومن اين جاء هذا الاسم ؟

لقومية القرغيز ملحمة شعبية تتناقلها ألسنة الاجيال . انها ملحمة « ماناس » ، الملحمة الروائية التاريخية المشهورة التى تعد من الاعمال الادبية الشعبية التى يفتخر بها ابناء قومية القرغيز . تحكى الملحمة عن الروح الشجاعة التى تحلى بها ماناس فى قيادته لأبناء الشعب فى معارضة الاضطهاد والعدوان . وتعبر عن حب ابناء القرغيز العميق وعواطفهم الفياضة تجاه بلادهم وموطنهم . هذه الملحمة من خصائصها انها تمثيلية ، لغتها بسيطة ، وعقدتها جيدة الحبك ، تستمد صورة البطل من الاساطير ، بينما تجعله يحيا فى قلوب الناس . و« ماناس » ايضا ملحمة غنائية تضم اكثر من ٢٠ لحنا . والمطرب الشعبى الذى يغنى « ماناس » لقبه "ماناستشى" ويحظى باحترام الناس .

على طريق الحرير القديم فى شينجيانغ مدينة اسمها ماناس ، وهناك ايضا نهر يدعى ماناس وبحيرة باسم ماناس . . . فلماذا تحمل هذه كلها اسم ماناس ؟

ماناس بطل يعيش فى قلوب ابناء الشعب . هناك حكاية قديمة عن ماناس يكتنفها الغموض . تقول الحكاية :

كان هناك زوجان مسنان ، يقارب عمرهما المائة ، لم ينجبا . وكانا



ملحمة «ماناس» الاسطورية

يحنان الى انجاب خلف لهما . وفيما هما على هذه الحال اكتشفت العجوز انها حامل . واخيرا وضعت كرة لحمية . واعتقد زوجها ان هذه الكرة ليست الا من فعل الشيطان ، فلا بد من رميها . غير ان العجوز حرمت عليه ذلك لأنها جزء من لحمها ، وقد عانت من المرارة والتعب فى حملها مدة ٢٠ شهرا .

وعزما على فتح هذه الكرة اللحمية . ولم يخطر ببالهما ان فى داخلها ولدا لطيفا ، فاستقبلا ابنهما الذى تشوقا اليه ليل نهار . وهكذا جاء ماناس الى الحياة الدنيا على الارض . كان ماناس ماهرا وذكيا ذكاء غريبا . وعندما بلغ التاسعة من عمره اصبح اذا رأى شيئا عرفه وصنع مثله فورا ، واذا ما ركب

جوادا سيطر عليه ، واذا اطلق سهما اصاب الهدف . كان يتحلى بجرأة النمر واخلاق الاسد . وكان طيب القلب سمح الاخلاق . وكان يشفق على الفقراء ، حتى انه اعطاهم ما فى بيته من الخيول والجبن واللبن .

غضب والده منه لأنه فرط بما لديهم الى الفقراء ، وطرده من بيته اخيرا . بدأ ماناس حياة التشرد ، وترك آثار قدميه فى المروج الواسعة فى صحراء غوبى الجرداء . ورفع راية الثورة وهو فى الثانية عشرة من عمره ، وهزم فى معركته الاولى قوم كارماك الذين حكموا ابناء القرغيز فى الايام الماضية . واصبح بذلك بطلا شعبيا . ومن اجل ذكرى روح ماناس المتمثلة فى عدم الخوف من القوة الطاغية وحب الفقراء وحمايتهم اطلقت اجيال ابناء القرغيز التالية على الجبل الشامخ والبحيرة والنهر والمدينة اسم ماناس تعبيرا عن حبهم العميق لماناس . وملحمة «ماناس» ليست الا مدحا وثناء لحياة ماناس العظيمة . وسيبقى ماناس خالدا فى قلوب ابناء قومية القرغيز ، كما سيظل خالدا على الارض التى يعيش عليها ابناء هذه القومية .

٤١ — اين تقع اكبر منطقة ذاتية الحكم لقومية هوى فى الصين ؟ وما هى خصائصها ؟

تعد منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى الواقعة شمال غربى الصين اكبر منطقة ذاتية الحكم لقومية هوى على مستوى المقاطعة فى الصين . وهى الوحيدة من مناطق الحكم الذاتى لقومية هوى فى الصين . تزيد مساحتها عن ٦٠ الف كيلومتر مربع ، وتعداد سكانها يبلغ ٤ر٣٥ ملايين نسمة ، منهم ما يزيد عن ١ر٢٤ مليون نسمة من ابناء قومية هوى ، يشكلون ٣٢ر٥٪ من تعداد سكان المنطقة الاجمالى . وزيادة نسبة السكان سريعة نوعا ما ، حيث ازداد تعداد سكانها حاليا ثلاثة اضعاف ما كانوا عليه فى الخمسينات .

وهناك اغنية شعبية تصف منطقة نينغشيا ، تقول كلماتها : " تتفتح ازهار اشجار العناب الصحراوى ، ويفوح عبيرها فى ارجاء منطقة نينغشيا الشبيهة بمناطق جنوب نهر اليانغتسى الغنية . يمتد النهر الاصفر كالتنين فى شرقيها ، وجبال خلان الشامخة فى غربيها تحوى كنوزا كثيرة . " تسند نينغشيا الجبال ، وتطل على المياه . والنهر الاصفر مثل شريط يشمى ، بينما المنطقة المروية بمياه النهر الاصفر فى نينغشيا مثل درة على هذا الشريط ، لذلك اصبح قول " النهر الاصفر يغنى نينغشيا " معروفا على ألسنة الناس . وتشكل مساحة المنطقة المروية بمياه النهر الاصفر ٣٧٪ من مساحة المنطقة الاجمالية ، ويحتل حجم انتاجها من الحبوب الغذائية ٧٥٪ من حجم انتاج الحبوب فى المنطقة كلها . وقد وصلت مياه النهر الاصفر جنوب المنطقة الى المناطق الفقيرة والجافة بمشروع ضخ المياه ، مما جعل المناطق التى شهدت الجفاف والقحط فى معظم الاوقات الماضية تشهد اليوم مساحات واسعة من الحقول ذات المردود العالى . وفى السنوات العشر الماضية ، ازدادت مساحة المنطقة المروية بمياه النهر الاصفر مليون مو . ومن المعروف ان فى نينغشيا خمس كنوز هى الكنز الاحمر — ثمار الحضض الصينى ، والكنز الاصفر — عرق السوس ، والكنز الازرق — حجر خلان ، والكنز الابيض — فرو الغنم ، والكنز الاسود — النسطوك (نوع من الخضر) . وثمار الحضض الصينى افضل من مثيلاتها فى مختلف انحاء الصين لرقة قشرتها وكبر لبها وحلاوة طعمها . وهى مفيدة للعين والرئة ومغذية للكبد والكلى ومقوية للتنفس والطاقة الحيوية ومقاومة للسرطان . وارز نينغشيا يسميه التجار الاجانب " الارز اللؤلؤى " .

تشمخ جبال خلان غربى سهب يننشوان بنيغشيا ، وفيها موارد معدنية وافرة . ويحتل الفحم مكانة هامة فى نينغشيا . وتبين الاحصاءات ان احتياطى

الفحم فى نينغشيا يحتل المركز الخامس فى الصين . ويتحلى فحم تايشى الذى ينتجه منجم روتشيقو بميزات كثيرة ، منها انخفاض نسبة الرماد وقلة نسبة الكبريت والفسفور وكثرة الطاقة الحرارية وشدة المقاومة الكهربائية والنشاط الكيمياوى . ويصدر الى بلجيكا وفرنسا واليابان وجنوب شرقى آسيا ، ويملحه التجار الاجانب بلقب " ذهب تايشى الاسود " . واضافة الى ذلك يحتل احتياطى الجبس فى نينغشيا المركز الاول فى الصين . ويبلغ احتياطى الغاز الطبيعى ١٠٠ مليار متر مكعب . وفى نينغشيا ايضا احتياطى كبير من موارد المياه ورمال المرو والصخر الكلسى وصلصال الخزف .

تأتى نينغشيا فى المقدمة من ناحية حجم توليد الكهرباء بالنسبة للفرد الواحد ، والحجم الاجمالى لمولدات الكهرباء اكثر من ٩٠٠ الف كيلوواط ، وحجم توليد الكهرباء ٩ر٤ مليارات كيلوواط / ساعى سنويا . لذلك وصف عدد غير قليل من الناس نينغشيا بأنها غنية بالطاقة .

ان الطاقة والموارد غير المعدنية الوافرة قد فتحت آفاقا واسعة امام تطور نينغشيا وامام صناعة الطاقة والصناعات ذات الاستهلاك العالى للطاقة والصناعات الفحمية — الكيمياوية وصناعة مواد البناء . وقد تشكل اليوم نظام صناعى من حجم معين ، يتخذ صناعة الفحم والطاقة الكهربائية والميكانيكا والتعدين والكيماويات والغزل والنسيج الصوفى خصائص رئيسية .

وتحتل نينغشيا مركزا متفوقا فى بعض النواحى فى تطورها الصناعى ، بينما هناك ظروف طبيعية معينة فى غير صالح تطورها . ولوقوع نينغشيا على هضبة التراب الاصفر فان ظروف المناطق الجبلية فيها سيئة ، فتآكل التربة مع جريان المياه شديد للغاية ، مما شكل مع كثرة الكوارث الطبيعية وعدم ارتفاع القوة الانتاجية وعدم توازن التطور بين المناطق الجبلية ومناطق السهوب ظروفا سلبية تعرقل تطورها . غير ان ابناء نينغشيا لا يعتمدون على الطبيعة فقط ،

بل يخوضون نضالا عنيفا ضد الظروف الطبيعية السيئة لتغيير ملامح موطنهم .

ان هضبة التراب الاصفر معروفة فى العالم ، ويبلغ معدل سمك طبقة التراب الاصفر فيها ٣٠ مترا ، واكبر طبقة سمكا يزيد سمكها عن ١٠٠ متر . تقع محافظة شيجى فى مركز هذه الهضبة وتآكل التربة مع جريان المياه خطير ، ومساحة الارض التى يجرى فيها تآكل التربة تحتل ٨٢٪ من مساحة ارض هذه المحافظة . لقد جرف جريان المياه ٤ر٥ امتار مكعبة من تربة اديم الارض فى كل مو من الارض خلال سنة واحدة اضافة الى غزو الفيضان والسيول المحملة بالطين ، فانخفضت نسبة استخدام الارض انخفاضا سريعا ، وتراكم الطمى فى خزانات المياه والبرك وبين سدود المياه . ونقصت الاعلاف والاسمدة والوقود فى هذه المحافظة نقصانا مخيفا . لذا لا نبالغ اذا قلنا ان محافظة شيجى فقيرة الجبال سيئة الانهار حزينة القلوب . ما المخرج والحالة هذه ؟ كيف يمنع الدوران السلبى للظروف الطبيعية فى شيجى ؟ قام ابناء شيجى الذين يشكل ابناء قومية هوى القوام الرئيسى لهم بزراعة الاعشاب والتحريج فى هضبة التراب الاصفر ، وزرع كل واحد منهم ١١٦ شجرة فى المعدل ، فأنجزوا مشروع الحزام الاخضر فى شيجى . وبعد الفحص الذى اجراه برنامج الغذاء العالمى التابع للامم المتحدة حقق هذا المشروع الهدف المنشود . فبدأت الارض الجرداء تشهد اخضرارا ، ولتوفر الغابات فيها اصبح لديها الامل والقوة والحياة .

منذ ما يزيد عن ٣٠ سنة تلت تأسيس منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى استفادت المنطقة استفادة كبيرة من الحكم الذاتى للاقليم القومى فى وضع بعض السياسات والاجراءات المتصفة بالمرونة والخصائص المناسبة على نحو اكثر لتطوير الاقتصاد القومى ، مما دفع عجلة تطور هذه المنطقة القومية اقتصاديا واجتماعيا . وفى السنوات العشر الاخيرة ، وحسب ظروف

نينغشيا المتميزة ، صاغت اللجنة الدائمة لمجلس نواب الشعب فى المنطقة بضعة عشر قانونا ولائحة محلية لاستخدام حقوق الحكم الذاتى بصورة مستفيضة . فبدأت مثلا تطبق سياسة اعفاء الفلاحين من جمع الحبوب فى ٧ محافظات يكثر فيها السكان من ابناء قومية هوى ، فى المنطقة الجبلية جنوبى نينغشيا ، لمدة ١٠ سنوات ابتداء من عام ١٩٨٠ . واذا قارنا بين الحاضر وما قبل ٣٠ سنة وجدنا ان عدد الكوادر من قومية هوى قد ازداد اكثر من ١٠ آلاف نسمة ، كما حظيت عادات وتقاليد قومية هوى بالاحترام ، وازدادت وحدات الخدمات الاسلامية ازديادا متضاعفا . وهناك اليوم ما يزيد عن ٢٠٠٠ مسجد تستقبل المسلمين فى نينغشيا . كما اقيم معهد علوم اسلامية ومسجد جديد كبير فى مدينة ينتشوان حاضرة منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى .

وهكذا دخلت نينغشيا ، وفيها قومية هوى ، مرحلة تاريخية جديدة مزدهرة .

٤٢ ـ لماذا اطلق على عاصمة منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى المسلمة لقب "مدينة العنقاء" ؟ ولماذا اسمها الحالى ينتشوان (الأرض الفضية) ؟

اقيمت منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى المسلمة عام ١٩٥٨ . ولعاصمتها ينتشوان تاريخ عريق وثقافة باهرة .

جاء فى المدونات التاريخية ان ينتشوان كانت تحمل اسم مدينة شينغتشينغ فى عهد اسرة شيا الغربية (١٠٣٨ ـ ١٢٢٧) ، ثم ورد ذكرها فى مدونات اوائل عهد الجمهورية الصينية (١٩١١ ـ ١٩٤٩) باسم "مدينة العنقاء" الذى جاء من قصة اسطورية : قيل بأنه كانت فى الماضى البعيد عنقاء

جميلة طارت من جنوب نهر اليانغتسى الى ينتشوان الحالية ، حيث كانت المناظر الطبيعية جذابة ، وجلبت للمدينة اسما ساحرا – " مدينة العنقاء " . وفى السنوات الاخيرة بنيت فى المدينة نافورة ، فيها نصب تذكارى – رمز الوحدة بين القوميات المختلفة – على قمته المعقودة شكل عنقاء فضية اللون تنشر جناحيها . وفى الجانب الداخلى من النصب صورة لحوريتين محلقتين ترفعان بأيديهما قطعة من الاحجار الكريمة بخمسة ألوان – احمر واصفر وازرق واسود وابيض – وهى رمز لمنتجات نينغشيا المحلية . وهذه الاشكال تشير الى خصائص المنطقة وانطلاقها فى التنمية .

تعتبر ينتشوان احد مصادر الحضارة العريقة فى مجرى النهر الاصفر . وبالقرب منها منطقة شويدونغقو التى كان القدماء ينشطون فيها ويتناسلون منذ ثلاثين ألف سنة . وقد اطلق على مكتشفات هذه المنطقة " ثقافة شويدونغقو" . وعلى المنحدرات الشرقية من جبال خلان غرب ينتشوان تقع مقابر لأباطرة اسرة شيا الغربية اكتشفت فيها بقايا الشواهد المنحوتة بلغة شيا الغربية واللغة الصينية ، والحلى الذهبية والفضية ، والمنحوتات الخيزرانية ، وبقايا الدروع البرنزية واللآلئ وغير ذلك مما دفن مع الموتى ، وكلها تدل على ازدهار الحضارة القديمة فى هذه المنطقة .

يعود تاريخ ينتشوان الى عهد " الربيع والخريف" و" الممالك المتحاربة " قبل ألفى سنة . وقتها كانت تتجمع فى هذه المنطقة قوميات بدوية . وفى القرن الخامس اسس هوليانبوبو من خلف الهون هناك مملكة شيا التى تعتبر احدى الدول الست عشرة المشهورة فى التاريخ الصينى ، وتم ترميم برج هايباو الواقع فى شمال ينتشوان الحالية – اقدم مبنى اثرى فى نينغشيا – فى ذلك العهد . وفى الفترة ما بين ١٠٠٤ و١٠٠٨ اقامت قومية دانغشيانغ (قومية صينية قديمة) مع قومية هان والقوميات الاخرى فى هذه البقعة من الارض

مدينة اطلق عليها شينغتشو ، وهى الاساس السابق لمدينة ينتشوان الحالية ، وقد اتخذها لى يوان هاو ملك مماكة شيا الغربية عاصمة للمملكة عام ١٠٣٨ ، وجعل لها اسما جديدا هو شينغتشينغ . وبعد وفاته بنت زوجته برجا اطلق عليه برج تشنغتيانسى فى جنوب غربى ينتشوان الحالية رجاء تمديد عمر ابنها الملك الجديد للمملكة ، وذلك شاهد عيان آخر من التاريخ .

اذن ما معنى اسم المدينة الحالية ينتشوان ؟

معناه حرفيا الارض الفضية . وهناك من يشرحون اسم المدينة بأن الاتربة فى هذه المنطقة تحمل نسبة كبيرة من القلى ، فعندما يتوقف الرى فى الحقول الزراعية فى الشتاء تبدو المساحة الواسعة من الاراضى فضية اللون ، ومن هنا جاء اسم المدينة الحالى .

لقد مضت على هذه المدينة مئات السنين ، الا ان حياتها الجديدة لم تبدأ الا منذ خمس وثلاثين سنة . وقد طرأت على معالمها تغيرات كبيرة خلال الفترة الاخيرة ، فأصبحت حقا تشبه اليوم عنقاء جميلة مفعمة بالنشاط والحيوية .

وهناك اناس يصفون ينتشوان الماضية بأنها " مجرد شارع مع عمارتين ، وحديقة فيها قردان ، ويكفيها شرطى واحد لحراستها من طرفيها . " لكن ينتشوان اليوم اصبحت عاصمة منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى ، ومركز المنطقة سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، ويمكن للمرء ان يجد فيها عمارات شاهقة موزعة على نحو منتظم ، وشوارع واسعة ، وطرقا معبدة ، وحدائق وملاعب للاطفال ، واماكن ترفيهية . كما ظهرت فيها مصانع وورشات متعددة ، وازدادت مدارسها وجامعاتها بكمية كبيرة ، بالاضافة الى معهد العلوم الاسلامية . واكثر ما يلفت الانظار هناك ذلك المسجد فى ضاحية المدينة الجنوبية ، الذى بنى على الطراز المعمارى الاسلامى بارتفاع اكثر

من عشرين مترا ، وامامه نافورة جميلة مستديرة للشكل ، ويتسع مصلاه لألف مصل .

٤٣ ــ لماذا اطلق على المجرى الاعلى للنهر الاصفر داخل مقاطعة قانسو وتشينغهاى ونينغشيا " ممر المعادن غير الحديدية " ؟

هناك بجانبى النهر الاصفر وعلى امتداد قرابة ألف كم من محطة رونغيانغشيا الكهرمائية فى مقاطعة تشينغهاى الى محطة تشينغتونغشيا الكهرمائية فى منطقة نينغشيا قاعدة هامة لانتاج الالومنيوم والمغنسيوم والنحاس والرصاص والزنك والفضة ومعدن الاتربة النادرة ، وغيرها من المعادن غير الحديدية ، حيث بنى عدد كبير من مؤسسات انتاج المعادن غير الحديدية ، وبلغت كمية انتاجها السنوى اكثر من ٥٠٠ ألف طن . وتحتل كمية انتاج الالومنيوم السنوى بطريقة التحليل الكهربائى نسبة ٧٠٪ من مجمل انتاج الصين . ولذلك تحمل هذه المنطقة لقب " ممر المعادن غير الحديدية " .

ويصعب على الناس ان يتصوروا أن هذه المنطقة ذاتها كانت صحراء " لا ينمو على اراضيها عشب ، وتهب فيها رياح شديدة تحمل معها الاتربة والحصى" . ان ما شهدته من التغيرات يعود بالطبع الى كفاح اهلها الذين يعملون دون كلل او ملل .

٤٤ ــ لماذا تعد ألعاب ووشو لقومية هوى لؤلؤة بين ألعاب ووشو الصينية ؟

كان فى الصين لاعب كبير لألعاب ووشو من قومية هوى ، اسمه وانغ تسى بينغ ، وقد اطلق عليه الناس لقب " ملك القوة " . وهناك قصص مثيرة حوله .

يقع موطنه فى منطقة تسانغتشو بمقاطعة خبى ، حيث يتجمع بعض ابناء قومية هوى . كان وانغ يتمتع بروح العدالة ، ويحب الرياضة العسكرية منذ طفولته . وقد تتلمذ على معلمين مشهورين لتعلم مهارة ألعاب وشو ، واجاد ألعاب ملاكمة " تشاتشيوان " (ملاكمة جامر) وملاكمة " هونغتشيوان " وملاكمة " تشانغتشيوان " ، وكان ذا قوة كبيرة ، يستطيع ان يرفع حجرا وزنه اكثر من خمسين كغ . وذات مرة استطاع كبح بغل مذعور راكض فى الشارع ، وحال بذلك دون وقوع حادث خطير ، فانتشر صيته بين الناس بلقب " ملك القوة " .

وفى عام ۱۹۱۸ قدم وانغ تسى بينغ الى بكين ليتولى منصب مدرب لألعاب وشو فى الجيش . وقتها كان لاعب روسى قد اقام حلبة للمصارعة فى احدى الحدائق ، يمارس فيها تحديه العلنى ، ويدعى انه رجل قوة عالمى . ونعت الصينيين بأنهم " مرضى آسيا الشرقية " . فاشتعل وانغ غضبا ، وتحدى الروسى باسم جمعية المحاربين الصينيين تشجيعا لمعنويات ابناء الامة الصينية . حاول هذا الروسى تجنب المواجهة مع وانغ بحيل مختلفة وعن طريق غير مباشر ، الا ان وانغ عقد عزمه على الصراع الحاسم مع خصمه ، وظهر فى حلبة المصارعة متباهيا بقوته وجبروته . وبعد عدة جولات من المصارعة اوقع وانغ خصمه الروسى على الارض ، وكان طول قامته مترين ، اما وزنه فيبلغ ٥٠٠ باوند ، وانتصر عليه . ولكن الذى فاجأ المشاهدين هو ان رجال الشرطة كانوا يحاولون القبض على وانغ . فثارت الجماهير ، وهبت تحمى بطلها الذى اسهم فى الدفاع عن الكرامة الوطنية . وقد كتب الرسام الصينى الكبير الراحل تشى باى شى عبارة يمدح بها وانغ : " مصارعة النمر الشرس فى الجبال الجنوبية وطرد التنين الضارى من البركة العميقة " .

ان ابناء قومية هوى المسلمة يحبون ألعاب وشو ، ويتخذونها وسيلة

لمقاومة الاضطهاد والظلم والدفاع عن النفس . وقد جعلوها تدريجيا نوعا من ألعابهم الرياضية التقليدية .

ومنذ عهد اسرة مينغ بزغ كثير من اللاعبين الكبار فى ألعاب ووشو من بين ابناء قومية هوى ، وظهر كثير من مدارس هذه الالعاب ، اشهرها " جياومن تانتوى" (تمارين الركل بالساق) وملاكمة " باجيتشيوان" وملاكمة " تونغبى بيقواتشيوان" وملاكمة " تشاتشيوان" ، بالاضافة الى ألعاب " هويهوى شيباتشو" (التمارين الثمانية عشر للقتال بقبضة اليد لقومية هوى) ، وملاكمة " تانغبينغ تشيشيتشيوان" وملاكمة " شينيى ليوختشيوان" . اما ألعاب النبوت والسيف والرمح فهى من اشهر مدارس ألعاب ووشو ايضا .

ان الممثل البارز لملاكمة " شينيى ليوختشيوان" هو ماى مو تو من عهد اسرة تشينغ ، الذى اتقن المهارة العجيبة فى قبض الطير والسيطرة على طيران الفراشة باليد . فكانت الفراشة تطير تحت يده دون ان تستطيع الهروب منه ، وهو يجرى معها ، وبلغت مسافة جريه على هذا الشكل ٥ر٢ كم ، وبذلك اطلق عليه " البطل الكبير فى هذه الملاكمة" ، كما اطلق عليه مع لاعبين آخرين " النوابغ الثلاثة" فى هذه الملاكمة .

وفى عهد اسرة مينغ اشتهرت " لعبة الرمح من اسرة ما" التى ابدعها اسلاف ما تسو تو . وجاء فى احد الكتب ان حركات ما تسو تو فى ملاكمة " تونغبى بيقواتشيوان" تشبه السوط — كلا ساعديه مثل حبل السوط ، وكفيه مثل طرف الحبل ، وهو يصدر بذلك قوة مثل سهم غير مرئى .

وفى عام ١٩٣٦ اشتركت فرقة ألعاب ووشو الصينية بصفتها ممثلة خاصة فى الدورة الحادية عشرة للالعاب الاولمبية التى اقيمت فى برلين ، حيث عرض اللاعب الصينى الكبير تشانغ ون قوانغ ألعاب ملاكمة " تشاتشيوان"

لأول مرة امام لاعبى مختلف البلدان والمشاهدين الالمانيين .

ظل ابناء قومية هوى يتناقلون ألعاب ورشو جيلا بعد جيل ، ويطورون ما حققه اسلافهم فى هذا المجال . لقد ظهرت فى الصين ايضا عدة مناطق ذات تقاليد لهذه الالعاب ، مثل منطقة تسانغتشو ، حيث تقع فى دائرتها محافظة منغتسون الذاتية الحكم لقومية هوى ، التى اطلق عليها "موطن ألعاب ملاكمة باجيتشيوان" ، وظهر فيها عدد غير قليل من اللاعبين الكبار فى هذه الملاكمة ، مثل اللاعب وو تشونغ الذى كان يجيد لعبة الرمح . وقد قام بمباراة مع ابن الامبراطور كانغ شى من اسرة تشينغ ، ووضع شيئا من المسحوق الابيض على طرف رمحه فى المباراة ، واصاب حاجب ابن الامبراطور بطرف الرمح مرتين دون ان يشعر الاخير بشيء . واليوم تأسست فى المحافظة جمعية ألعاب ورشو للكشف عن مهارات الاسلاف التقليدية لهذه القومية . كما اخذت النشاطات الجماهيرية لألعاب ورشو فى المحافظة تتطور .

٤٥ — ما هو "هوا — أر" ؟

يستحسن ان ننظر الى الانشودة التالية قبل الاجابة عن السؤال :

"هوا — أر" كلام من صميم القلب ،
لا نتمالك انفسنا عن التغنى به .
سوف نواصل الغناء على هذا الشكل ،
ما دمنا احياء .

* * *

لا يمكن للسمك ان ينفصل عن الماء ،

فكيف يعيش من دونه ؟
" هوا — أر" عواطف قلوب الاخوان الجياشة ،
فكيف نعيش دون التغنى به ؟

* * *

من هذه الانشودة نجد ان " هوا — أر" نوع من الاغانى ملازم لأبناء بعض القوميات الصينية ملازمة السمك للماء .

اذن ، ما خصائص هذا النوع من الاغانى ؟

ان " هوا — أر" نوع من الاغانى الجبلية ، ابدعه ابناء قومية هوى وباوآن ودونغشيانغ وسالار وغيرها من القوميات المسلمة فى شمال غربى الصين مع قوميتى هان وتو ، ويتميز بأسلوبه الفريد المتمثل فى البساطة والشكل الطبيعى ونقاء المشاعر وروح الانطلاق . وله انواع تختلف باختلاف المناطق والقوميات من حيث ألحانها ونغماتها ومحتوياتها وطريقة ادائها . فمنها ما يتصف بالبساطة ، وما يمتاز بالنغمات الجلية او النغمات الناعمة المتزنة . واغانى " هوا — أر" المتنوعة هذه تتهادى فى وديان الهضبة والفضاء فى شمال غربى الصين ، وتلقى الترحيب من ابناء مختلف القوميات لما تتمتع به من النكهة المحلية والظرافة ، وقد اصبحت الغذاء الروحى لهم .

وهناك عدة تفسيرات لكلمة " هوا — أر" . جاء فى «سجلات العادات الشعبية والبيئة الاجتماعية فى مقاطعة قانسو» ان اغانى " هوا — أر" الجبلية دائما ما تبدأ بالتشبيهات بالزهر (هوا — أر بمعنى الزهر فى اللغة الصينية) . وعندما يغازل الفتى حبيبته بالاغانى الجبلية يناديها بكلمة " هوا — أر" (اى الزهرة) ، بينما تناديه هى بكلمة " الصبى" . وبذلك اصبحت كلمة " هوا — أر" التى تستخدم فى الاغانى كثيرا اسما لهذا النوع من الاغانى الجبلية .



اغنية «هوا — ار» المحببة الى القوميات
المسلمة فى شمال غربى الصين

كما جاء فى مثل هذه المدونات لمقاطعة تشينغهاى ان ابناء مختلف القوميات الذين يعيشون فى هضبة تشينغهاى جيلا بعد جيل قد ابدعوا الاغانى الجبلية الجميلة ، واطلقوا عليها " هوا - أر " او " شاونيان " (بمعنى الصبى فى اللغة الصينية) . ويمكن ان نجد من ذلك ان هذه الاغانى الجبلية قد اشتملت على فرح الشعب ورغباته وامانيه وآلامه واحزانه .

كما ان الناس يختلفون فى الآراء فى مصدر " هوا - أر " . فمنهم من يرون ان " هوا - أر " هو نوع خاص من الاغانى الشعبية تشكل تحت تأثير الاغانى الشعبية لقوميتى التبت والمنغول ، ومن يرون انه تطوز من اغانى ابناء قومية هوى الذين انتقلوا الى شمال غربى الصين من مناطق اخرى ، وراحوا يعبرون بأغانيهم عن حنينهم الى مواطنهم ، ومن يرون ان اغانى الذين هاجروا من نانجينغ الى تاوتشو فى عهد اسرة مينغ هى ام " هوا - أر " ، اذ كان من عادتهم ان يستخدموا كلمة " هوا - أر " فى اغانيهم .

والحقيقة ان " هوا - أر " قد ظهر منذ ألفى سنة بوصفه نوعا فريد الاسلوب من الاغانى الشعبية ، وشاع كثيرا فى منطقة قانسو ، حيث اطلق على لينشيا " موطن هوا - أر " . اما فى منطقة تشينغهاى فان " هوا - أر " شكل من الآداب والفنون المستساغة . وقد وصف بعض الناس هذه المنطقة بأنها " بحر من اغانى هوا - أر " . وكذلك تشيع اغانى " هوا - أر " فى منطقة ليوبانشان فى نينغشيا . وتعتبر اغانى " هوا - أر " جزءا هاما تتكون منه الآداب والفنون الشعبية للقوميات المسلمة ، كما تحتل مكانة هامة فى الآداب الشعبية والموسيقى لقومية سالار ودونغشيانغ وباوآن باعتبارها انعكاسا لأمانى الشعب .

ومحتويات اغانى " هوا - أر " غنية ، تضم علم الفلك والجغرافيا والنشاطات الزراعية والقصص التاريخية والعادات وبعض صغائر الامور .

اما اغانى الحب فهى تحتل اكبر نسبة بين اغانى " هوا — آر " ، وهى تصور مشاعر الاشتياق والفرح والحماسة والحزن تصويرا حيا ودقيقا . وبالاضافة الى ذلك تمتاز اغانى " هوا — أر " بالعبارات الحية والتشبيهات المناسبة والنغمات الجلية الناعمة .

كان ابناء الشعب يغنون " هوا — أر " فى البرية او على منحدرات الجبال ، ومعظمهم من الرعاة او الحمالين ، وتنتشر اغانيهم بسرعة كبيرة . وكلما جاء العيد اقيم لديهم مهرجان اغانى " هوا — أر " الذى يبلغ عدد المشتركين فيه احيانا عشرات الآلاف ، وهم يرتدون الملابس الجميلة ويغنون ما يؤلفونه ارتجالا من الكلمات البديعة المنتظمة معبرين بها عن مشاعرهم .

ومنذ تأسيس الصين الجديدة ومهرجان " هوا — أر " التقليدى يقام فى منطقة قانسو وكثير من المناطق الاخرى . كما ابدعت الاوساط الادبية والفنية بعض الاوبرات والباليهات على اسلوب " هوا — أر " . وفى بعض المهرجانات يشعل الناس النار ، ويغنون حولها حتى وقت متأخر من الليل ، ودائما ما يتفق المغنون على اللقاء الجديد فى السنة التالية .

ان اغانى " هوا — أر " زهرة متألقة فى فنون الامة الصينية ، وابناء الشعب من مختلف القوميات يصفون حبهم لها بأغنية " هوا — أر " التالية :

نحن نعيش فى بحر من الاغانى ،
واصواتنا مثل رنين الجرس الفضى ،
فكيف يمكن منع جلجلتها ؟
اذا توقفنا عن الغناء لحظة واحدة ،
اضطربت قلوبنا ،

وتدفقت اغانى " هوا – أر " من صدورنا مثل المياه .

٤٦ – ما خصائص حياة كل من قومية دونغشيانغ وسالار وباوآن ؟

يهتم ابناء قومية دونغشيانغ بآداب التعامل اهتماما كبيرا . فيؤدى السلام بعضهم لبعض كلما تقابلوا ، وخاصة عندما يقابلون الكبار من جيل آبائهم فلا بد ان يبادروا الى تحيتهم . اما فى معاملة الضيوف فانهم يظهرون المزيد من الحفاوة ، حيث يدعون الضيوف القادمين للجلوس ، ويقدمون لهم احسن ما لديهم من الاطعمة والشاى ، مهما كانت الاسرة فقيرة . وهناك مثل شائع بين ابناء هذه القومية يقول : " ان المضيف لا يرتاح الا اذا صعد الدخان من مدخنة موقده . "

ومن عادة ابناء قومية دونغشيانغ ان يجالسوا الضيوف على المأدبة من البداية حتى النهاية دون ان يغادروا المائدة ، الا انهم لا يأكلون مع الضيوف ، بل يقدمون لهم الشاى والطعام بلا انقطاع احتراما لهم . ويحبون ان يكرموا الضيوف بالدجاج المطبوخ المقسم الى ١٣ قطعة ، ويعتبرون ذيل الدجاجة افضل قطعة فيها ، ويقدمونها عادة لأعز الضيوف واكبرهم سنا .

كما يهتم ابناء هذه القومية بالنظافة . فدائما ما تكون محتويات بيوتهم نظيفة ومرتبة . ومن عادتهم ان يضعوا ادوات الاكل مثل الطاسات والملاعق والطسوت والدلاء مقلوبة ، ويرون ذلك ضروريا للحفاظ على نظافتها . ويعلق فى كل بيت من بيوتهم اناء خاص يستخدمونه فى الاستحمام . كما يضعون تحت افاريز البيت ابريق غسيل ، يسمونه " آدوما " ، وبه يغسلون وجوههم وايديهم ، بدلا من الطست ، اذ يرون ان المياه تصبح قذرة بمجرد ان يستخدمها الانسان ولو مرة واحدة ، فلا يجوز استعمالها من جديد . ولذلك يفركون وجوههم بأيديهم من الاعلى الى الاسفل عند الغسل ، ولا يعيدون

الفرك من الاسفل الى الاعلى ابدا .

وبالاضافة الى ذلك هناك بعض العادات الخاصة بحياة قومية دونغشيانغ مثل ملء الكوب بالماء باليد اليمنى نحو الجهة اليسرى او باليد اليسرى نحو الجهة اليمنى ، ولا يسمحون بصب المياه نحو الجهة الخارجية . وكذلك يتناولون الخبز باليد قطعة قطعة ، ولا يسمحون بتناوله بالاسنان مباشرة .

يحب ابناء قومية دونغشيانغ الشاى كثيرا ، ويشربونه فى كل وجبة ، ويفضلون شاى " تشونجيان " من انتاج يوننان . اما عندما يحضر الضيوف فيكرمونهم بالشاى الثلاثى المعطر الذى يتكون من الشاى والسكر البلورى و" عين التنين " والعناب المشوى والزبيب ، ويجمعون كل هذه الاشياء فى الطاسة ، ثم يصبون فيها الماء المغلى الساخن . وهم لا يدخنون ولا يشربون الخمر .

وتتميز الجنازة لدى قومية دونغشيانغ بسرعة الدفن . وفى العادة يجتزون الميت يوم وفاته . ولا يصفون الميت بأنه "مات" ، اذ يرون ان كلمة "الموت" ليست مناسبة الا للحيوانات .

ولقومية سالار عادة تقليدية خاصة فى السكن . فلديها منظمة سكنية تتكون من اسرتين او حتى اكثر من عشر اسر ذات صلة رحم قريبة من جهة الاب ، تسمى "آقناى" بمعنى " الاخوان " او " الاسرة " ، وفوقها منظمة سكنية اخرى تسمى "كونغموسا " بمعنى " الاصل " تتكون من عدة منظمات "آقناى" . ويسكن ابناء القومية من منظمة "آقناى" الواحدة او من منظمة "كونغموسا" الواحدة فى نفس القرية التى قد تكون صغيرة تضم فقط ١٠ — ٢٠ اسرة ، او كبيرة تضم حوالى مائة اسرة . وقد يسكن هؤلاء الناس فى منطقة واحدة . واحيانا يسكن ابناء قومية سالار مع ابناء قومية هوى فى قرية واحدة .

ومعظم مساكن قومية سالار مستوية السقوف ، تتكون من هياكل خشبية

وجدران ترابية ، ويطلق على البيت " تشوانغقوه " ، ويتكون عادة من قاعة ومطبخ وغرفة للضيوف وحظيرة . وتعتبر القاعة المبنى الرئيسى للبيت ، وتقع على الخط المحورى المتوسط ، ويتجه بابها الى الجنوب ، وتكون مرتفعة واسعة نسبيا ، وتضم ثلاث حجرات متجاورة . وعند بعض الاسر الغنية تكون القاعة فاخرة ، حيث تتخذ ابوابها وشبابيكها اشكالا منحوتة دقيقة ، وتصنع من الاخشاب الجيدة النوعية . اما غرفة الضيوف والمطبخ فيقعان عادة بجانبى القاعة . وبالاضافة الى ذلك فان فى معظم بيوت قومية سالار بستانا لأشجار الفواكه والخضروات ، تلك ميزة هامة لمساكن هذه القومية . وعندما تنقسم الاسرة ليستقل الاولاد عن والديهم يظل اصغرهم مع الوالدين، بينما ينتقل الاولاد الآخرون الى مساكن جديدة .

وقومية باوآن من اشد القوميات حبا لأغانى " هوا — أر " ، وهم يعبرون بهذه الاغانى عن حقدهم على المجتمع القديم وعلى عدوهم ، وعن الحب المخلص الطاهر بين الشبان والشابات ، وعن حياتهم السعيدة بعد تأسيس الصين الجديدة .

ولدى قومية باوآن ألحان تشبه اغانى " هوا — أر " ، وهى خاصة بالمأدبة ، ويطلق عليها ايضا " ألحان الاسرة " . واشكالها متنوعة ، تضم الغناء المنفرد ، والغناء الثنائى ، والغناء الجماعى ، وغناء المرافقة ، والغناء الحوارى ، والغناء المنفرد الجماعى المختلط ، والغناء الثنائى الجماعى المختلط .. الخ . وتصحب كلمات هذه الالحان بعض حركات الرقص البسيطة ، كما تمتاز الالحان نفسها بالنغمات الخفيفة والجميلة والطلقة والعاطفية والايقاعات الجميلة .

ويحب ابناء قومية باوآن الرياضة ، وبالاضافة الى سباق الخيل تضم ألعابهم الرياضية الرئيسية ما يلى :

رماية السهام : يصنع قوسهم من الخيزران ، وطوله ٣ر١ متر تقريبا ، وطرفاه مغلفان بقرن البقر ، ووتره مصنوع من عدة حبال مفتولة من اطناب البقر . وهذا القوس الذى يصنع بطريقة محلية قوى لا يستطيع فتحه الا من له ساعدان قويان . والذى يقوى على فتح القوس لا يعنى انه يستطيع اصابة الهدف ، اذ ان السهم لمثل هذا القوس حديدى مصنوع على شكل مثلث ، ورمايته ليست بالامر السهل . وتبلغ مسافة الرماية عادة ٢٠٠ متر تقريبا .

رماية " باوقا " : يعتبر " باوقا " نوعا من ادوات الرماية ، ويتكون من حبلين ، طول كليهما ٧٥ر١ متر تقريبا ، وسلة قماشية مرتبطة بالحبلين فى الوسط ليوضع فيها الحجر عند اللعب ، وحجمها غير ثابت ، يتم تحديده حسب حجم الحجر . وعندما يقوم اللاعب برماية " باوقا " يضع وسطى اصابعه فى الحلقة التى ترتبط بطرف الحبل ، ويمسك طرف الحبل الآخر بالابهام والسبابة . ثم يحرك السلة تحريكا دائريا استعدادا للرماية . وعندما يتأكد من صحة التصويب الى الهدف يفك الابهام والسبابة ، ويرمى الحجر نحو الهدف . وتقاس المهارة فى هذه اللعبة ببعد الرماية ودقتها فى اصابة الهدف . وتفيد هذه اللعبة فى جمع قطيع الغنم وتقوية الساعدين ، لذلك يحبها الاهالى كثيرا .

لعبة " باوياو " — رفع الخصر بالذراعين : هى مباراة تجرى بين رجلين ، فكل منهما يمسك خصر خصمه بذراعيه ، والذى يجعل قدمى خصمه ترتفعان عن الارض بقوته ومهارته يعتبر فائزا .

لعبة " موتشى " — مباراة التلويح بالراية : سارية الراية تصنع من ٤ — ٥ شرائح من الخيزران ، وتطلى بغراء العظام ، وتلف عليها طبقات من الاقمشة السوداء ، فتصبح قوية متينة . وطولها يختلف باختلاف طول قامة اللاعب ، ولها عادة ثلاثة مقاسات : ٧ر٢ متر ، ٣ امتار ، ٤ امتار . اما الراية فهى

عادية ملونة . وقبل المباراة يتم ادخال السارية فى فتحة حديدية على الجانب الايمن من سرج الحصان ، واللاعب راكب الحصان يمسك السارية بيده اليمنى ؛ والعنان بيده اليسرى . وعندما يسمع صوت طلقة الاشارة يحث حصانه فورا . وفى الوقت نفسه يمسك طرف السارية ، ويلوح بالراية حسب القواعد المحددة حتى يكمل خمس حركات فى مسافة قدرها ١٠٠ متر ، تبدأ من الوراء ، وتتجه الراية اولا من الجانب الايمن الى الايسر ، ثم من الامام الى الوراء ، واخيرا تمر من فوق الرأس . والذى يكمل الحركات قبل الآخرين يفوز بالمرتبة الاولى .

لعبة داووتشيانغ — مباراة اطلاق خمس طلقات : هذه المباراة تجرى ايضا على ظهور الخيل ، فاللاعب يركب الحصان ومعه بندقية محلية ، وعندما يسمع الاشارة يحث حصانه بسرعة ، ويمسك البندقية بيد ، ويملؤها بالبارود ويضغط على الزناد بيد اخرى ، ويطلق النار بصورة متواصلة . وعلى اللاعب ان يكمل الحركات كلها فى مسافة قدرها ٢٠٠ متر . والذى يتم اطلاق خمس طلقات قبل الآخرين يفوز بالمرتبة الاولى .

٤٧ — ما معنى " منهوان " ؟ وما نظام " منهوان " ؟

يختلف الناس فى آرائهم حول مصدر كلمة " منهوان " . فهناك من يرون ان هذه الكلمة جاءت من كلمة " باب " فى اللغة العربية ، بمعنى " دعوة الباب المقدس " ، بينما يرى الآخرون ان كلمة " منهوان " مأخوذة من اللغة العربية لكن معناها " البحث عن الباب " ، كما قيل ان " منهوان " هو اللفظ المحرف من " المنهج " او " المنهل " ، ذلك ان الطريقة الصوفية كانت معروفة باسم " المنهج " او " المنهل " فى ابكر وقت . الا ان معظم الناس يرون ان كلمة " منهوان " مستمدة من اللغة الصينية بمعنى " اسرة

رسمية " او " اسرة حسب ونسب" ، تبين الهوية والمكانة والامتيازات لأسرة او كتلة .

وحقيقة الامر ان كلمة " منهوان " تشير الى بعض مذاهب التعبد المتميزة بخصائصها المتنوعة ، التى يدين بها بعض الناس من قومية هوى ودونغشيانغ وسالار وباوآن وغيرها من القوميات المسلمة الموزعة فى شمال غربى الصين ، والتى تحمل صبغة التصوف ، ومصدرها الصوفية ، شأنها شأن مذهب ايشان فى منطقة شينجيانغ .

ومذاهب " منهوان " المختلفة تحمل الخصائص التالية بالمقارنة الى مذهبى " القديم " (المذهب التقليدى) و" الاخوان " : من حيث العقائد الدينية يتبع كل مذهب من مذاهب " منهوان " مؤسسه واسرة المؤسس والقبة مع حفظ العقائد الاسلامية الاساسية ، ويرى ضرورة تأدية عبادات " الطريقة " بالاضافة الى تأدية عبادات " الشريعة " . ومن حيث النظام الدينى تهتم جميع مذاهب " منهوان " اهتماما متفاوتا بالجلوس الهادئ وغيره من فرائض التعبد ، ومراسم الصلاة ، التى تحمل صبغة التصوف ، والاعياد الدينية المختلفة ، بدا فيها ذكرى وفاة مؤسس المذهب واعضاء اسرته . ومن حيث التنظيم الدينى تهتم جميع مذاهب " منهوان " بوراثة تقاليدها — نسبها وتعاليم اسلافها ، ويعين مؤسس المذهب وكيلا له (الرئيس) مباشرة ليقوم بمسؤولية الاشراف فى دائرة المذهب ، كما يعين ويبدل الائمة فى المساجد التابعة للمذهب . اما من حيث النظرية الدينية فلكل مذهب من مذاهب " منهوان " نظرية دينية تصوفية خاصة ومجموعة كاملة من قواعد عبادات " الطريقة " وتلاوة الذكر ، وهناك كتب نظرية خاصة بالمذهب .

ظهرت مذاهب " منهوان " فى شمال غربى الصين فى اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر ، وذلك تحت تأثير الصوفية من آسيا

الوسطى ومذهب ايشان من منطقة شينجيانغ . ووفق المعلومات الحالية يتضح ان اول ما ظهر من مذاهب " منهوان " هو مذهب بيجياتشانغ الذى اسمه ما تسونغ شنغ (١٦٣٩ — ١٧١٩) عام ١٦٧٤ ، ومذهب المفتى الذى اسمه ما شو تشن (١٦٣٣ — ١٧٢٢) عام ١٦٨٢ ، وهذان المذهبان ينتميان الى الخفية . وفى الوقت نفسه كان هناك رجل آخر (؟ — ١٦٨٩) اسمه خوجه عبد الله ، ادعى بأنه من ذرية محمد عليه السلام للجيل التاسع والعشرين ، نشر نظرية مذهب القادرية من الصوفية فى مناطق قوانغدونغ وقوانغشى ويوننان وختشو (لينشيا الحالية) بمقاطعة قانسو ولانغتشونغ من مقاطعة سيتشوان على التوالى . ثم اسس تلميذه تشى جينغ (١٦٥٦ — ١٧١٩) مذهب " داقونغبى " من القادرية عام ١٦٨٩ . وبالاضافة الى ذلك اسس ما مينغ شين مذهب الجهرية ، وكان قد درس نظرية الصوفية فى اليمن مدة ١٦ سنة ثم عاد الى البلاد عام ١٧٤٤ . وبعد ذلك شهدت مذاهب " منهوان " فى الصين تطورات وانقسامات متعددة حتى تشكلت اربعة مذاهب كبرى : الجهرية ، الخفية ، القادرية والكبرية ، لكل منها عدة مدارس فرعية .

ان الفرق الاكبر بين مذاهب " منهوان " والمذاهب الاسلامية الاخرى هو ان الاولى تهتم منذ بدايتها بوراثة تقاليد المذهب ، اما نظام توارث منصب مشرف المذهب فقد يتم من الاب الى الابن ، او من الفاضل الى الفاضل ، وعلى كل حال لا يتم ذلك الا وفق تعليم المشرف شفويا او شهادة خاصة بذلك يسلمها المشرف للوارث ، ومن يحصل على التعليم او الشهادة ، او على الاثنين معا يصبح له حجة وثقة لتولى منصب مشرف المذهب ووراثة تقاليده .

اما نظام " منهوان " فهو نظام اجتماعى وسياسى واقتصادى ودينى ، مارسته مذاهب " منهوان " المختلفة فى مسيرة تطوراتها وفى ظل شروط اجتماعية تاريخية معينة ، وجوهره سلطة مشرف المذهب المركزة .

ففى ظل نظام " منهوان " يتمتع مشرف المذهب بالسلطة الدينية العليا وبالامتيازات السياسية والاقتصادية . ولا يعد زعيم المذهب الروحى فحسب ، وانما يكون اولا زعيمه الدنيوى ، ويعتبره معتنقو المذهب مرشدا ، ومربى وشيخا ووليا وخطيبا ، ويطلقون عليه " صاحب الاسرة " و" الجد " و" جد الجد " ، ويخضعون له خضوعا تاما ، وينفذون اوامره وتعاليمه دون شرط ولا قيد . ولا يجوز لأى شخص من معتنقى مذهبه ان يتصرف دون تعاليمه . ووفق مبادئ نظام " منهوان " فان الخضوع لمشرف المذهب يعنى الخضوع لله ، والخضوع لتعاليمه يعنى الخضوع للقدر ، والسبب فى ذلك كله يعود الى ان هذا النظام متأثر بثقافة الصين التقليدية (الافكار الكونفوشية) . ولذلك فان نظام " منهوان " هو نظام نموذجى للامتيازات الاقطاعية تم تشكيله بعد فترة طويلة من ظهور مذاهب " منهوان " ، وليس مع ظهورها . كما ان هذا النظام قد تم ظهوره وتكامله على اساس اقتصاد ملاك الاراضى الاقطاعى .

وحسب المعلومات الحالية يكون نظام " منهوان " قد ظهر فى الفترة ما بين عهد الامبراطور قوانغ شيوى (١٨٧٥ — ١٩٠٨) من اواخر اسرة تشينغ واوائل عهد الجمهورية الصينية (١٩١١ — ١٩٤٩) ، ويرمز الى ذلك ظهور نظام مذهب الجهرية — فرع من " منهوان " . ومنذ اواخر عهد اسرة تشينغ حتى عام ١٩٥٨ ظهر نظام " منهوان " فى جميع مذاهبه ، برغم اختلاف تأثيراته فى المذاهب الاخرى . ثم تعرض هذا النظام القائم على اساس اقتصاد ملاك الاراضى الاقطاعى المتميز باخضاع الملكية العقارية للضربة القاضية نتيجة الاصلاح الزراعى وقيام جمهورية الصين الشعبية . وفى عام ١٩٥٨ ، ومع التدمير النهائى للاقتصاد الاقطاعى والتحويل الاشتراكى للصناعة والتجارة الرأسماليتين ، انهار الاساس الاقتصادى الذى يقوم عليه

نظام " منهوان " ، فانتهى هذا النظام بصفته نظاما للامتيازات الاقطاعية ، ولم تبق اليوم الا مذاهب " منهوان " المتميزة بنظرياتها وتعاليمها الدينية الخاصة ، التى لم تعد تمارس نظام " منهوان " الماضى .

٤٨ — ما التعليم المسجدى الاسلامى الصينى ؟

هو نوع من انواع التربية الدينية على شكل "كتاب" ، ظهر فى تاريخ الاسلام الصينى ، ويجرى فى داخل المسجد ، حيث يقبل الامام عدة تلاميذ ، ويعلمهم الكتب الاسلامية المختلفة والفرائض الدينية ، ويعد منهم ذوى المؤهلات الدينية لسد حاجة المسلمين فى حياتهم الاجتماعية .

تفرع التعليم المسجدى الاسلامى الصينى من التعليم الاسلامى العربى حينما كان الاخير فى مرحلته الاولى . ويعتبر السيد هو دنغ تشو (١٥٢٢ — ١٥٩٧) الذى ينتمى الى ويتشنغ فى ضاحية مدينة شيانيانغ بمقاطعة شنشى مؤسس التعليم المسجدى لقومية هوى . لقد درس هو دنغ تشو الكتب الكونفوشية والاسلامية فى طفولته ، ثم عقد عزمه على ترجمة الكتب الاسلامية الى اللغة الصينية ونشرها فى الصين . ولكن ذلك كان يفوق قدرته . وحين اصبح فى نهاية العقد الرابع من عمره كان يقيم فى بكين ، ويجل شخصيات كونفوشية شهيرة ، ويدرس الكتب والاشعار ، كما تتلمذ عند مبشر عربى مسلم ، حتى اصبح عالما يجيد العلوم الاسلامية واللغة الصينية معا . وبعد توديع معلمه العربى خارج ممر جيايويقوان عاد الى موطنه فى شنشى ، حيث قام بتعليم التلاميذ وتغطية نفقات معيشتهم ، ومن هنا بدأ التعليم المسجدى الاسلامى الصينى ، واطلق على السيد هو دنغ تشو فيما بعد " مؤسس التعليم المسجدى" .

وقد بلغ عدد تلاميذ هو دنغ تشو عدة مئات ، كان من اشهرهم الامام

فنغ وآخر يدعى هاى با با . ثم ظهرت على التوالى بعض مذاهب التعليم المسجدى المتميزة مع تطور التاريخ .

مذهب شنشى : يعتبر السيد هو دنغ تشو مع الدفعة الاولى من تلاميذه الممثل لهذا المذهب الذى يهتم بالتعمق والتخصص فى المعارف ، ويدرس الكتب الاسلامية باللغة العربية فقط مقتصرا تدريسه على التوحيد . وقد اجاد هو دنغ تشو علم الكلام واسلوب الحنفية التدريسى ، فأطلق عليه " المساعد الفاضل " لأبى الحنفية .

مذهب شاندونغ : يمثله السيد تشانغ تشى مى والسيد لى يونغ شو . ويهتم هذا المذهب التعليمى بسعة المعارف واجادتها ، ويمتاز بالاهتمام بقواعد اللغة الفارسية ، ويدرس اللغتين العربية والفارسية معا بالاضافة الى التوحيد والفلسفة الصوفية . وكذلك يضع الاسلوب التدريسى ونظريته فى مكانة هامة ، ويقوم بالتدريس بأسلوب تدريجى ، بحيث يتقدم من السطحى الى الاعمق . وكان هناك عدد غير قليل من اساتذة هذا المذهب ، ألفوا بعض الكتب ، مثل الاستاذ تشانغ تشى مى الذى ألف كتاب « هواء المنهاج » فى قواعد اللغة الفارسية ، وهذا الكتاب لم يلق اقبالا كبيرا لدى المسلمين الصينيين فقط ، وانما اشتهر ايضا فى الدول العربية بعض الوقت .

وهناك بالاضافة الى ذلك بعض المذاهب الفرعية ، مثل مذهب يوننان الذى يمثله السيد ما ده شين والسيد ما ليان يوان . ويجمع مزايا مذهبى شنشى وشاندونغ . ومذهب لانتشو الذى يمثله تشو لاو يه ، ويمتاز بأسلوب الدراسة الصارم ، وقلة المواد الدراسية مع جودة نوعيتها ، ويهتم بالتدريس العميق والكامل والدقيق . ومذهب ختشو الذى يمثله السيد ما وان فو ، ويهتم بدراسة الفقه والشريعة ، وهو مذهب الانتقال من تدريس التوحيد الى التركيز على دراسة الشريعة ، ويدعو بكل قوة الى اصلاح ما يخالف الشريعة من المراسم

الاسلامية . ومذهب جنوب شرقى الصين الذى يمثله وانغ داى يوى وليو تشى وى الذى قام بتأليف وترجمة عدد كبير من الكتب حول الاسلام .

يسمى الاستاذ فى التعليم المسجدى الاسلامى " الامام المدرس " او " المشرف على الشؤون الاسلامية " . وفى بعض المناطق يطلق عليه " الامام الشيخ" . ومعظم الاساتذة من هذا النوع ائمة ذوو معارف اسلامية معينة ، قادمون من المناطق والمساجد الاخرى بدعوة المسلمين المحليين . اما التلميذ فيسمى " خليفة " او " ملا" . ويدرس التلميذ فى المسجد مدة غير محددة ، ولا يحصل على مؤهلات الامام الا بعد ان يقيم الامام له مراسم خاصة بذلك .

اما كتب القراءة الخاصة بالتعليم المسجدى فليست موحدة ، بل تختلف باختلاف المناطق والمذاهب والائمة ، وتتوقف على رغبة الاساتذة الى حد كبير . ولكن هناك ١٣ كتابا لا بد من قراءتها تدعى «الكتب الـ ١٣ القيمة » ، ظل المسلمون الصينيون يتناقلونها خلال مئات السنين . منها ستة كتب باللغة الفارسية تدرس مع الكتب العربية ، وذلك يعتبر من الخصائص الهامة للتعليم المسجدى الاسلامى .

ولا يخلو التعليم المسجدى الاسلامى الصينى من بعض العيوب : اولا ، مدته الدراسية فائقة الحد ، تتراوح من ٥ الى ٨ سنوات . ثانيا ، يفتقر الى الخطة التدريسية الدقيقة المحكمة ، وتتوقف الموضوعات التدريسية كليا على تخصص الامام المدرس . ومع ذلك فان التعليم المسجدى الاسلامى الصينى يعتبر نوعا من نظم التعليم الاسلامى الصينى امتص من تعليم " الكتاب" بعض ميزاته ، وقد لعب دورا معينا فى اعداد ذوى المؤهلات الدينية ، ودفع تطور التعليم والثقافة لدى قومية هوى ، كما اثر فى نشر وتعميم الثقافة الاسلامية ، واحتل بذلك مكانة معينة فى تاريخ الاسلام الصينى .

٤٩ ـ هل هناك فى الصين نسخ مخطوطة من القرآن الكريم ؟

ان المسلمين الصينيين من مختلف القوميات يعتبرون نسخ القرآن الكريم من الاعمال الدينية الحميدة . ومنذ مئات السنين والمسلمون الصينيون يتناقلون ويحفظون كمية كبيرة من نسخ القرآن الكريم المخطوطة الجميلة الخط والرائعة التصميم والتجليد .

وللمسلمين الصينيين تاريخ طويل فى نسخ القرآن الكريم ، يعود الى عهد اسرة يوان (١٢٧١ ــ ١٣٦٨) على الاقل . وما زالت فى مسجد دونغسى ببكين نسخة مخطوطة من القرآن الكريم محفوظة حتى اليوم ، تم نسخها فى جمادى الآخرة عام ٧١٨ هـ ، اى عام ١٣١٨ م . وقد مضى عليها اكثر من ٦٧٠ سنة . وناسخها يدعى محمد بن احمد بن عبد الرحمان .

تمتاز نسخ القرآن الكريم المخطوطة فى الصين بجمالها وفخامتها . منها ما نسخ بالقلم الخيزرانى او الخشبى ، وخطها قوى ثابت ، ومنها ما نسخ بالريشة الصينية وخطها بسيط قوى ناعم . وكثيرا ما تزين اغلفتها وحواشيها بأشكال ملونة جميلة . ويقوم الناسخ بعمله بعد تبطين ورق "شيوان" (نوع من الورق الجيد النوعية) ليكون قويا لامعا مناسبا للنسخ والاستحمام . وكانت تحفظ فى القصر الامبراطورى فى عهد اسرة تشينغ نسخة مخطوطة من القرآن الكريم متكونة من ٣٠ مجلدا ، واغلفتها مصنوعة من الحرير الاصفر ، ولون اوراقها ازرق ، وكلماتها مكتوبة بالذهب ، وقيل ان تكاليف كل مجلد منها بلغت ألفى قطعة نقدية ، وتعتبر نسخة ثمينة للغاية .

وفى الصين عدد كبير من النسخ المخطوطة من القرآن الكريم تتمتع بالمستوى الفنى العالى . ففى مسجد لانديانتشانغ ببكين نسخة منها ، تم نسخها فى عهد اسرة تشينغ (١٦٤٤ ــ ١٩١١) ، وتضم ٣٠ مجلدا ، وقد كتبت بالقلم الخيزرانى ، واسلوب خطها قوى دقيق ، وكلماتها موزعة فى

تناسق ، فتبدو نصوصها كأنما نسخت دفعة واحدة . كما ان كلا من اسلوب نسخها ونظامه بديع ، اذ كتبت نصوصها بالحبر الاسود ، وعلاماتها بحبر الزنجفر ، وجميع الحروف والكلمات والعلامات فيها واضحة ودقيقة ، وفى رأس كل صفحة ادعيات مناسبة وجميلة ، تدل على مستوى الناسخ العالى فى اللغة العربية .

لكل قومية صينية مسلمة عدد غير قليل من الفنانين المشهورين فى نسخ القرآن الكريم ، وما نسخوه يعتبر من الاعمال الفنية النادرة ، ويجسد التبادلات الثقافية بين الصين والدول العربية ، وقد اسهموا بأعمالهم هذه فى دعم الصداقة بين الشعب الصينى والشعوب العربية . وكان هناك فنان لنسخ القرآن الكريم من قومية هوى فى اواخر عهد اسرة تشينغ يدعى هوا با با ، وما نسخه من القرآن الكريم كثير وجميل ، وقد اهدى السيد ما سونغ تينغ نسخة منه لملك مصر فؤاد الاول حينما زار مصر ، فسر الملك بالهدية كثيرا ، ورد على السيد ما سونغ تينغ بمجموعة من الكتب الاسلامية ، اقام السيد ما سونغ تينغ على اساسها مكتبة « فؤاد » فيما بعد بالتعاون مع زملائه الآخرين .

٥٠ — ما احوال نسخ القرآن الكريم المطبوعة على الكليشيهات الخشبية وترجماته فى الصين ؟

وفقا للمعلومات المتوفرة حاليا ظهر القرآن الكريم المطبوع على الكليشيهات الخشبية فى الصين فى اواسط القرن التاسع عشر . فبعد ان قام دو ون شيو زعيم ابناء قومية هوى فى يوننان بالانتفاضة وبسط سلطته الثورية فى دالى ، نشر عام ١٢٧٩ هـ — ١٨٦٢ م ثلاثين جزءا من القرآن الكريم المطبوع على الكليشيهات الخشبية . ويضم كل جزء ٢٨ او ٢٩ صفحة ، واغلفتها فاخرة مبطنة بالقماش الازرق ، واسلوب تجليدها كلاسيكى بسيط لكنه

رائع . وهذه الاجزاء الثلاثون تعتبر النسخة الاولى للقرآن الكريم المطبوع على الكليشيهات الخشبية فى الصين . وفى عام ١٨٧٢ استولى جيش اسرة تشينغ على دالى ، فأتلفت هذه النسخة فى الحرب . الا ان ما جيه تشن المعلم والمستشار الدينى فى قصر القائد دو ون شيو غامر بحفظ بعض الاجزاء من هذه النسخة لدى اسرته ، وكان القائد دو يستخدمها فى حياته . وظلت هذه الاجزاء فى يد الامام ما بين تشيوان — الجيل السادس من احفاد ما جيه تشن .

وفى عام ١٨٩٥ من عهد الامبراطور قوانغ شيوى من اسرة تشينغ قام السيد ما ليان يوان العالم التربوى المشهور فى التعليم المسجدى الاسلامى بمهمة نحت القرآن الكريم من جديد ، وذلك بالتعاون مع جماهير المسلمين فى يوننان . وقد تحمل الحاج تيان جيا بى المعلم الكبير للقرآن الكريم والخطاط المشهور للغة العربية مسؤولية كتابة كل نصوص الكتاب العزيز . وقام السيد ما ليان يوان بالمراجعة والتنقيح . واشترك فى عملية النحت اكثر من ثلاثين نحاتا ماهرا من مقاطعة سيتشوان . وكانت نسختهم للقرآن الكريم المطبوع على الكليشيهات الخشبية رائعة ، واسلوب تصميمها وتجليدها يحمل روح البساطة الكلاسيكية الجميلة ، واوراقها مصنوعة من القطن من انتاج يوننان المحلى ، واغلفتها قماشية دقيقة ، وخطها العربى قوى جميل يسر الناظر ويحمل صبغة الخط الصينى . وقد بلغ عدد الاخشاب المنحوتة ١٩٤٦ قطعة ، لها ٣٥٧١ صفحة للطبع ، وكلها محفوظة الآن فى مسجد نانتشنغ بمدينة كونمينغ .

اما ترجمات القرآن الكريم فمنها ما هو باللغة الصينية وما هو باللغة الويغورية .

هناك ترجمات للقرآن الكريم باللغة الصينية تنقسم الى نوعين ، احدهما

ترجمات صوتية ، والآخر تفسيرات من حيث المعنى . الاول يعنى كتابة نصوص القرآن الكريم بالكلمات الصينية من حيث النطق ، وجمع النصوص العربية والترجمة فى كتاب واحد ، مثل كتاب « هانشيويه ختينغ » من ترجمة يوى هاى تينغ عام ١٨٨٢ ، وكتاب « هايتيه يين » من ترجمة يانغ جينغ شيو عام ١٩١٩ . ويمكن للمسلمين الذين يعرفون اللغة الصينية ان يستفيدوا من مثل هذه الترجمات الصوتية فى تلاوة القرآن الكريم بالنطق العربى . اما الثانى فهو اضافة الملاحظات وترجمة معانى النصوص ترجمة صوتية ، بحيث توجد فى كتاب واحد نصوص القرآن الكريم والترجمة الصوتية لها بالكلمات الصينية مع ملاحظات وترجمات لمعانى النصوص . ومثال ذلك كتاب « جينغهان تشوجيانغ هيتينغ » من ترجمة ما يوى شو عام ١٨٨٧ ، و« هايتينغ ييجيه » من ترجمة ما ليان يوان عام ١٨٩٩ ، و« باومينغ تشنجينغ » من ترجمة ما كوى لين ويانغ ده يوان عام ١٩١٩ ، و« تيانجينغ ييجيه » من ترجمة لى تينغ شيانغ عام ١٩٢٤ ، و« ترجمة الاجزاء المختارة من القرآن الكريم » للسيد ليو جين بياو عام ١٩٣٤ ، بالاضافة الى ما نشرته جمعية بكين الاسلامية عام ١٩٨٢ من الطبعة الجديدة لـ « الاجزاء المختارة للقرآن الكريم » .

واول من قام بالترجمة الكلية للقرآن الكريم باللغة الصينية فى الصين هو ما ده شين (اسمه الآخر فو تشو) وهو عالم من قومية هوى فى عهد اسرة تشينغ . وقد اتم ترجمة عشرين جزءا من القرآن الكريم فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ومن المؤسف انه توفى قبل ان يكمل عماله . ولم يبق اليوم من ترجمته الا خمسة اجزاء . ومن ترجمات القرآن الكريم باللغة الصينية ايضا ما يلى :

١ — ترجمة لى تيه تشنغ ، طبعة بيبينغ (بكين الحالية) عام ١٩٢٧ ؛

٢ — ترجمة جى جيويه مى ، طبعة شانغهاى عام ١٩٣١ . ٣ — الترجمات الثلاث للسيد وانغ جينغ تشاى (اسمه الآخر ون تشينغ) ، والثالثة منها نشرت فى شانغهاى فى اكتوبر ١٩٤٦ ، وفيها ١٩٤٣ ملاحظة مع التوضيحات الموجزة والاضافية ، وقد لقيت اقبالا كبيرا من المسلمين الصينيين . ٤ — ترجمة ليو جين بياو ، طبعة بيبينغ عام ١٩٤٣ . ٥ — ترجمة يانغ تشونغ مينغ (اسمه الآخر جينغ شيو) ، طبعة بيبينغ عام ١٩٤٧ . ٦ — ترجمة شى تسى تشو ، طبعة تايبى عام ١٩٥٨ . ٧ — ترجمة الاستاذ محمد مكين التى نشرت عام ١٩٨١ من دار النشر للعلوم الاجتماعية فى الصين . ٨—ترجمة لين سونغ التى نشرت عام ١٩٨٨ من دار النشر التابعة لمعهد القوميات المركزى .

هذا وقد اشترك كثيرون فى عمليات ترجمة القرآن الكريم مثل هاى سى فو وشا جين تشانغ ولى تشنغ فانغ وغيرهم ممن ترجموا ستة اجزاء من القرآن الكريم من اللغة العربية الى اللغة الصينية عام ١٩١٤ بعد سنتين من العمل ، واسلوبهم اللغوى فى الترجمة مسجدى محض . وكذلك السيد ها ده تشنغ والسيد وو ته قونغ والسيد شا شان يوى وغيرهم ، وهم من اعضاء فرع شانغهاى لجمعية هويجياو الصينية ، ممن ترجموا القرآن الكريم جماعيا الى اللغة الصينية الكلاسيكية الاسلوب منذ عام ١٩٢٦ ، ونشروا ثلاثة اجزاء من ترجمتهم فى « مجلة شهرية لجمعية هويجياو الصينية » مع الملاحظات المفصلة . وقيل ان هذه الترجمة قد تمت فى الخمسينات ، الا انها لم تنشر رسميا . وكذلك ترجم السيد تشانغ بينغ دوه جزأين من القرآن الكريم بأسلوب الشعر المنثور عام ١٩٤٦ ونشرهما فى شانغهاى . وفى عام ١٩٥٠ نشر قسم النشر التابع لجامعة بكين مع مطبعة الشؤون التجارية للنشر القسم الاول لترجمة الاستاذ محمد مكين ، الذى يضم ثمانية اجزاء من القرآن الكريم وفيها ست سور مع ملاحظات موجزة ، وذلك بالاضافة الى « مختارات القرآن

الكريم المبوبة » التى ترجمها الامام يانغ بين سان قبل وفاته ، والتى يقوم بترتيبها ومراجعتها اليوم الامام تشن قوانغ يوان بمسجد دونغسى ببكين ، ومن المتوقع ان تصدر قريبا .

ونشرت فى الوقت نفسه انواع كثيرة من ترجمات القرآن الكريم باللغة الويغورية فى شينجيانغ . ففى عام ١٩١٠ اكمل الامام يوسف ترجمة « مختارات القرآن الكريم » بالتعاون مع الامام روتسى فى تاتشنغ ، كما انجز الحاج الامام موهامايتى تسرفو ترجمته للقرآن الكريم فى عام ١٣٧٤ هـ (اى عام ١٩٥٤ — ١٩٥٥ م) فى ييلى . وفى عام ١٩٦١ اهدى السيد عبد الله من ييلى الى الجمعية الاسلامية كتابا بعنوان « الحكمة » ، وهو ترجمة للقرآن الكريم باللغة الويغورية انجزها ابوه الحاج الامام شابيتى فى عام ١٣٦٧ هـ (اى عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ م) فى يينينغ ، وقد لقيت هذه الترجمة تقديرا كبيرا من المسلمين . وهناك ترجمة الامام شمس الدين المشهورة بين جموع المسلمين منذ وقت طويل ، وفى عام ١٩٨٦ انجز العالم الويغورى الشهير مايمايتى سايلى ترجمته للقرآن الكريم بعد ست سنوات من العمل الجدى ، واصدرتها دار النشر للقوميات فى بكين ، وهى عبارة عن كتاب ثنائى اللغة عربى — ويغورى ، والنصوص المترجمة فيه متطابقة تماما مع الاصل ، واسلوب اللغة الويغورية فيه سلس انيق ، والملاحظات فيه واضحة تتصف بالايجاز والدقة ، ولذلك حازت هذه الترجمة ثقة المسلمين وترحيبهم ، كما ان لها تأثيرها فى العالم العربى .

٥١ — ما هى طبعات « الحديث النبوى » المترجمة والمختارة فى الصين ؟

فى الصين انواع مختلفة لـ « الحديث النبوى » ، وهى مختارات مترجمة

بالاضافة الى « الحديث النبوى» المترجم الكامل .

اول من قدم للمسلمين الصينيين مقتطفات من « الحديث النبوى» هو الشاعر الامى الويغورى احمد يوقناك الذى عاش فيما بين القرنين الـ ١٢ والـ ١٣ الميلادى . وقد ادخل فى قصيدته « دخول باب الحقيقة » (باللغة الكاشغرية) بعض اقوال النبى محمد صلى الله عليه وسلم حول المعارف والاحسان لتعزيز نظرياته . كما ورد فى مؤلفات بعض العلماء المسلمين الصينيين الذين عاشوا فى اواخر اسرة مينغ (١٣٦٨ — ١٦٤٤) واوائل اسرة تشينغ (١٦٤٤ — ١٩١١) بعض المقتطفات المترجمة لـ « الحديث النبوى» ايضا .

ومن اشهر مختارات « الحديث النبوى» فى الصين « الخطب » و« الاربعون » . وهذان الكتابان مترجمان من اللغة الفارسية الى الصينية وقد تداولتهما ايدى المسلمين الصينيين خلال مئات السنين مواد دراسية فى التعليم المسجدى . والى جانب ذلك تم طبع « احاديث خاتم الانبياء » على الكليشيهات الخشبية فى مدينة تشنجيانغ بمقاطعة جيانغسو عام ١٨٩٣ . وطبع « سنة خاتم الانبياء » بقلم ما ليان يوان عام ١٨٩٤ . وفى عام ١٩٣٥ طبعت دار الصحف والكتب الاسلامية ببكين « الاربعون » الذى ألفه ما يوى لونغ على الكليشيهات الحجرية .

اما مختارات « الحديث النبوى» المتداولة والشائعة فى منطقة شينجيانغ فهى مختلفة الانواع باللغة العربية والفارسية ، ومن اشهرها « صندوق جمع الانوار» (الفارسية) و« شرح صحيح البخارى» (العربية) و« الف كلمة وكلمة » (العربية) و« اقوال النبى محمد (ص) وافعاله التى سجلها العلماء البخاريون » (العربية) و« علبة النور» (العربية) و« جواهر البخارى» (العربية) و« للتفسيرات» (العربية) و« التنبيهات» (الفارسية) وما شابه ذلك .

ومن اشهر مختارات «الحديث النبوى» المترجمة باللغة الصينية : كتاب «الخطب» الذى تمت ترجمته على يد لى تينغ شيانغ ونشرته دار النور بمدينة تيانجين عام ۱۹۲۳ ، ويقع هذا الكتاب فى مجلدين ، وكتاب «احاديث الاربعين النووية» الذى ترجمه الامام محمد تواضع بانغ شى تشيان ونشرته دار الفجر للمعارف ومطبعة مسجد دونغسى ببكين عام ١٩٤٧ ، وكتاب «سجلات اقوال النبى محمد (ص) وافعاله» الذى ترجمه تشو بى هوا وتانغ وى ليه معا ونشرته دار الحضارة الاسلامية فى شانغهاى عام ١٩٢٦ .

اما كتاب «الحديث النبوى» الكامل فلم تكتمل ترجمته الا بعد تأسيس الصين الجديدة . ففى ١ مايو ١٩٥٠ نشرت دار الفجر للمعارف ببكين كتاب «جواهر البخارى وشرح القسطان» بالصينية . وفى يونيو ١٩٥٤ اصدرت دار الجماهير لقومية هوى للكتب نسخة الكتاب المذكور بالعربية مع ترجمة معانيه الى اللغة الصينية ، ومؤلف هذا الكتاب هو العالم العربى فى علم الحديث ابراهيم ومترجمه ما هونغ يى . وفى عام ١٩٥٢ ترجم تشن كه لى الى الصينية كتاب «التاج» (التاج الجامع للاصول فى احاديث الرسول) للعالم المصرى منصور الشهير فى علم الحديث ، واضاف اليه تفسيرات دقيقة ، وسمى هذا الكتاب المترجم باسم «اسفار الحديث النبوى» ، ثم اصدرته دار الصحف والكتب الاسلامية ببكين عام ١٩٥٤ . وكان انتشاره واسعا وصداه كبيرا لدى المسلمين الصينيين . وفى عام ١٩٨١ تعاون المسلمان الصينيان محمد صالح وباو ون آن على ترجمة كتاب «جواهر البخارى وشرح القسطان» الذى ألفه الامام المصرى مصطفى محمد ، وشرحه العالم القسطلانى باللغة الويغورية والصينية الحديثة ، وقد نشرته دار النشر للقوميات ودار العلوم الاجتماعية الصينية . وجدير بالذكر ان هذا الكتاب لقى ترحيبا وتقديرا من مسلمى مختلف القوميات ورجال علوم الدين الاسلامى فى الصين .

٥٢ — من هم المسلمون الصينيون المشاهير الذين درسوا فى البلدان الاسلامية ؟

ان تاريخ ذهاب المسلمين الصينيين الى المناطق والدول الاسلامية لطلب العلم يعود الى وقت بعيد . كان من عادة المسلمين فى شينجيانغ ، من قومية الويغور او القوميات الاخرى ، ان يذهبوا الى مناطق آسيا الوسطى لدراسة الدين والمعارف الاخرى . فقد تخرج كثير من الملات المشهورين فى الجوامع الاسلامية فى بخارى ودلهى وبومباى وغيرها . ومن ابرزهم محمود الكاشغرى (١٠٠٨ — ١١٠٥) الذى كان يتجول فى مناطق آسيا الوسطى فى الفترة ما بين عامى ١٠٥٨ و١٠٧٢ . وفى اثناء تجوله اقام فى بغداد فترة ما . وكان يدرس ويعكف على التأليف فى وقت واحد ، فألف «قاموس اللغة التركية» المشهور فى العالم .

وكثيرا ما اغتنم المسلمون الصينيون فرصة الحج ليمكثوا فى البلدان العربية مدة من الزمن للاستزادة من المعارف الاسلامية . فكان هناك مثلا مسلم صينى من مقاطعة قانسو فى اسرة تشينغ (١٦٤٤ — ١٩١١) ، يدعى ما لاى تشى ، سافر الى مكة لأداء فريضة الحج ، ثم بقى هناك ثلاث سنوات للدراسة . وبعد عودته الى الوطن اسس المذهب الخفى ، احد مذاهب "منهوان" الاربعة الاسلامية فى الصين .

وقيل ان ما مينغ شين (١٧١٩ — ١٧٨١) قد سافر مع عمه الى مكة لأداء فريضة الحج لما بلغ ١٢ عاما من عمره . ولكن عندما مر ببلاد اليمن فى طريقه الى مكة اتخذه الشيخ ابن الزينى ، الامام الكبير للطائفة الصوفية ، تلميذا له . فدرس على يد الشيخ ابن الزينى شرائع مذهب الصوفية ١٦ سنة . وبعد ذلك عاد الى الصين واسس المذهب الجهرى احد مذاهب "منهوان" الاربعة الاسلامية الصينية .

وفى عام ١٨٤١ فى عهد اسرة تشينغ رحل ما ده شين (١٧٩٤ — ١٨٧٤) من قومية هوى فى مقاطعة يوننان الى مكة لأداء فريضة الحج . وبعد ذلك تجول فى مختلف البلدان العربية ، فمكث هناك ٨ سنوات للدراسة . وبعد ان عاد الى الوطن انكب على التعليم المسجدى الاسلامى وتأليف اعماله بالصينية والعربية . وقد اصبح عالما كبيرا محترما لدى المسلمين من قومية هوى فى مقاطعة يوننان .

وفى عام ١٨٩٩ ذهب الطبيب الويغورى يوسف عاجى كادر عاجى (١٨٧٦ — ١٩٦١) الى تركيا حيث درس نظريات الصيدلة بعد اداء فريضة الحج فى مكة مرتين مع والده وعمه . ثم عاد الى الوطن وانكب على ترجمة وتصنيف الوثائق والمعطيات الصيدلانية والطبية من اللغة العربية والفارسية الى الصينية . وقد صنف كتاب « تشخيص الامراض الباطنية والجراحية وعلاجها » وألف موسوعة لطب الويغور بعنوان «كانونغتشيه» .

وفى عام ١٨٨٨ سافر ما وان فو (١٨٤٩ — ١٩٣٤) من قومية دونغشيانغ الى مكة لأداء فريضة الحج ، وقد تعلم هناك شرائع مذهب السنة (اهل السنة) ، ثم عاد الى الوطن واسس مدرسة الاخوان الاسلامية . وكان يدعو الى تأسيس الاسلام حسب شرائع القرآن الكريم ، وقد اطلق عليه لقب " الحاج البستانى" .

وفى عام ١٩٠٦ سافر الامام وانغ كوان (١٨٤٨ — ١٩٤٩) وتلميذه ما ده باو ، وهما من قومية هوى فى بكين ، الى مكة لأداء فريضة الحج ، ثم درسا فى مصر وتركيا . وفى اوائل القرن العشرين ذهب الامام ها ده تشنغ (١٨٨٨ — ١٩٤٣) وتلميذه الامام تشو تسى بين ، وهما من قومية هوى فى شانغهاى ، الى مصر للدراسة ، مغتنمين الفرصة لأداء فريضة الحج . وفى عام ١٩٢٢ سافر الامام وانغ جينغ تشاى (١٨٨٠ — ١٩٤٩) وتلميذه ما

هونغ داو الى بومباى ، حيث التحقا بمعهد عثمان الاسلامى للدراسة ، ثم ذهبا الى مصر ليدرسا فى جامعة الازهر الشريف . وفى خريف العام التالى رحلا الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج . وبعد ذلك سافرا الى انقره للسياحة . ومن ثم بقى ما هونغ داو هناك ، فدرس اولا فى معهد اسطنبول للمعلمين ، ثم انتقل الى كلية الفلسفة فى جامعة اسطنبول لمواصلة الدراسة . وفى عام ١٩٣٣ حصل على شهادة الليسانس فى الآداب . اما معلمه الامام وانغ جينغ تشاى فعاد الى مصر مرة اخرى لمواصلة دراسته فى جامعة الازهر . وقد عينته ساطات الازهر شيخا لرواق الصين ، الامر الذى ادى الى ظروف مؤاتية لتعلم الطلاب المسلمين الصينيين فيما بعد . وقال الامام وانغ جينغ تشاى ان هنالك مسلما صينيا من مقاطعة قانسو ، اسم عائلته "ما" ، قد سبقه الى التعلم فى جامعة الازهر . وحسب ذكريات الامام محمد تواضع بانغ شى تشيان (١٩٠٢ — ١٩٥٨) فانه فى الفترة ما قبل نشوب الحرب العالمية الاولى وبعده (١٩١٤ — ١٩١٨) قد درس فى جامعة الازهر الشريف مسلمان صينيان ، يدعى احدهما تشاو ينغ شيانغ من مقاطعة قانسو ، والآخر ما كاى تانغ من مقاطعة شنشى . والى جانب ذلك درس عدد كبير من ابناء قومية هوى الصينية فى تركيا .

وفى الثلاثينات بدأت حكومة الصين ترسل طلابها المسلمين الى مصر لطلب العلم فى جامعة الازهر الشريف بصورة مخططة . ففى عام ١٩٣٠ تم الاتفاق بين جمعية تنمية الدين الاسلامى فى مقاطعة يوننان وجامعة الازهر على ارسال الطلاب الى الجامعة للدراسة ، فوصلت البعثة الاولى من المسلمين الصينيين الى القاهرة فى يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٣١ ، وكانت تتكون من اربعة طلاب هم محمد مكين (ما جيان) وعبد الرحمن نا تشونغ وسعيد لين تشونغ مينغ وتشانغ يو تشنغ برئاسة معملهم شا قوه تشن ، مدير ادارة التعليم فى

مدرسة مينغده المتوسطة فى يوننان . واعتبرت هذه بداية رسمية لارسال الطلاب من لدن المنظمات الاسلامية الصينية .

ومنذ ذلك الوقت حتى نهاية عام ١٩٤٥ ارسلت ست بعثات الى الازهر ، وبلغ عدد مبعوثيها الاجمالى ٤٦ شخصا . وجدير بالذكر ان السيد شا قوه تشن قد عين شيخا لرواق الصين بالازهر ، وفيما بعد حل محله الامام محمد تواضع بانغ شى تشيان . وكان الامام محمد تواضع بانغ شى تشيان مدرسا لمادة الحضارة الصينية بالازهر ومستشارا للملك فاروق فى الشؤون الشرقية .

٥٣ – اين المراقد الاخيرة للمسلمين الذين جاؤوا الى الصين من الدول العربية وبلاد الفرس والبلدان الاسلامية الاخرى ؟

لقد توفى كثير من المسلمين الذين جاؤوا من الدول العربية وبلاد الفرس والبلدان الاسلامية الاخرى فى اراضى الصين فى قديم الزمان ، ومراقدهم الاخيرة منتشرة فى اماكن مختلفة ، اشهرها كما يلى :

قوانغتشو (كانتون) :

فى تل قويهواقانغ من مدينة قوانغتشو اليوم بناء اسلامى الطراز ، يقال بأنه ضريح سعد بن ابى وقاص الذائع الصيت ، احد الحكماء فى نظر المسلمين الصينيين ، وقد سمى حينذاك " الحكيم الاول " . وقيل انه كان خال محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن العرب الاربعة الذين جاؤوا الى الصين للتبشير بالاسلام فى عهد الامبراطور تاى تسونغ (٦٢٦ – ٦٤٩) من اسرة تانغ (٦١٨ – ٩٠٧) . ومما ذكر على الشاهدة ان هذا الضريح بنى فى عام ٦٢٩ . وغرفة الضريح مربعة الشكل من الآجر ، ومقنطرة السقف . ويعتبر هذا الضريح من اقدم الابنية الآجرية العديمة العوارض الموجودة فى الصين اليوم .

تشيوانتشو (الزيتون) :

هناك مقبرة مقدسة على المنحدر الجنوبى لجبل لينغشان الذى يبعد ٥ر٢ كيلومتر عن تشيوانتشو شرقا فى مقاطعة فوجيان ، حيث دفن مسلمان من العرب الذين جاؤوا الى الصين فى وقت مبكر للتبشير بالاسلام ، وهما " الحكيم الثالث" و" الحكيم الرابع" . وحسب ما ورد فى « سجل فوجيان » كان لمحمد صلى الله عليه وسلم اتباع ، من بينهم اربعة حكماء " جاؤوا الى الصين يبشرون بالاسلام فى عهد الامبراطور وو ده من اسرة تانغ (٦١٨ — ٩٠٧) . فذهب الحكيم الاول للتبشير بالاسلام فى قوانغتشو ، والثانى فى يانغتشو ، اما الثالث والرابع فقد وصلا الى تشيوانتشو للتبشير بالاسلام حيث توفيا ودفنا . " وفى المقبرة المقدسة صفوف من الاعمدة الحجرية وكثير من الشواهد الحجرية ، تحكى دون صوت تاريخ التبادل الثقافى بين الصين القديمة والعرب . ومنذ عشرات السنين اكتشفت فى تشيوانتشو على التوالى مئات القطع من المنحوتات الحجرية الاسلامية ، ومعظمها متعلق ببناء الاضرحة . وعن طريق النحت الحجرى باللغة العربية والفارسية واللغة التركية ذكرت اسماء الموتى وتواريخ او اماكن ولادتهم وتواريخ مماتهم وكذلك سور من « القرآن الكريم » ونصوص من « الحديث النبوى » . وكان هؤلاء المسلمون من اليمن وهمدان ومالق من تركستان وخلاط من ارمينية ، وسراف وشيراز وجاجرم وبخارى وخوارزم وهوراسان واصفهان وتابريز وغيرها من بلاد الفرس . وهناك كتاب بعنوان « النحت الحجرى الاسلامى بمدينة الزيتون » بتأليف تشن دا شنغ وغيره ، وفيه تقديم مفصل لكل ما ذكر اعلاه . فنحن على يقين بأن تشيوانتشو لم تكن مجرد مكان هام يأتى اليه المسلمون من العرب والفرس او من آسيا الوسطى فى الزمن القديم ، بل كانت احد مراقدهم الاخيرة .

يانغتشو :

فى مدينة يانغتشو مقبرة اسلامية قديمة ، هى مقبرة بهاء الدين ، وفيها ضرائح لبهاء الدين وساقندا ومحمود وجمال الدين وفنى ، وفيها اضرحة اخرى لمسلمين آخرين . وفيها مقصورتان ، احداهما لضريح بهاء الدين والاخرى لضريح فنى . وفى المقبرة مقصورة اخرى بنيت حديثا فى عام ١٩٨٤ غرب مقصورة ضريح بهاء الدين ، قد نصبت فيها اربع شواهد لأضرحة المسلمين العرب من عهد اسرة يوان (١٢٧١ — ١٣٦٨) . واستخرجت هذه الشواهد عام ١٩٢٧ عندما ازيل المبنى القديم جنوب المدينة حيث كانت مقبرة للمسلمين . وعلى هذه الشواهد نقش تعريف بالمتوفى وتاريخ وفاته باللغة العربية والفارسية والصينية . ومن خلال ما نقش على الشواهد من سور « القرآن الكريم » ونصوص « الحديث النبوى » يمكن للمرء ان يقطع فى القول بأن هؤلاء العرب جاؤوا الى الصين من بعيد ، والدليل على ذلك العبارة المنقوشة على الشواهد والتى تقول " من مات غريبا فقد مات شهيدا " .

هانغتشو :

فى هانغتشو اكثر من ١٠ مقابر اسلامية لقومية هوى . وقد كشفت اعمال الحفر عام ١٩٥٣ ان هذه المقابر متكونة من ثلاثة او اربعة طوابق تحت الارض استخرجت منها كميات كبيرة من الرمم لأكثر من ١٠ آلاف جثة ونحو ٦٠ شاهدة منقوشة باللغة العربية والفارسية . وهذه الشواهد تدل على ان معظم اصحابها قد توفوا فى الفترة ما بين عامى ٧٠٠ و٧٥٢ هـ ، اى بين عامى ١٣٠٠ و١٣٥١ م ، فى عهد اسرة يوان ، وكلهم من العرب والفرس ، وكانت منزلتهم الاجتماعية رفيعة نسبيا ، وهم من الخوجهات والتجار والامراء والنبلاء والشيوخ . وهناك الى جانب ذلك مقبرة قديمة اخرى تشغل مساحتها

حوالى ١٦٠ مترا مربعا ، وهى مقبرة لأحد الدعاة العرب وقيل انه قد جاء الى الصين فى عهد اسرة سونغ (٩٦٠ — ١٢٧٩) مع تابعين له للتبشير بالاسلام وساعد عامة الناس بمهارته الطبية الفائقة . وقد لقى احترام الناس ، ودفن هنالك بعد وفاته عام ١١٢٧ .

بكين :

فى مسجد نيوجيه ببكين قبران ، نعرف من شاهدتيهما ان احدهما للشيخ محمد بن احمد البرهانى القزوينى الذى توفى عام ٦٧٩ هـ (عام ١٢٨٠ م) ، والآخر للشيخ على ابن القاضى عماد الدين الذى كان من اهل بخارى وتوفى عام ٦٨٢ هـ (١٢٨٣ م) . وقيل بأن فى ضاحية حاضرة محافظة تشانغبينغ القريبة من بكين ضريح لشيخ عربى مجهول اطلق عليه الاهالى لقب " البابا الذى قتل الاصلة " . ولهذا اللقب قصة تقول انه كان فى منطقة تشانغبينغ اصلة تهدد حياة الاهالى . وذات يوم مر ذلك البابا العربى بهذه المنطقة لنشر الاسلام ، فقاتل ببسالة تلك الاصلة التى اعترضت طريقه الى ان قتلها ، لكنه لقى حتفه كذلك . فبنى له الاهالى ذلك الضريح لتخليد ذكره .

سيتشوان :

على السفح الجنوبى لجبل باناونغ ، على بعد كيلومتر واحد من حاضرة محافظة لانغتشونغ فى شمالى مقاطعة سيتشوان ، مقصورة ضريح شهيرة هى مقصورة جيوتشاو التى دفن فيها الخوجه عبد الله العربى الذى جاء للتبشير بالاسلام فى الصين . وهو مؤسس القادرية من مذاهب " منهوان " الاربعة الاسلامية فى الصين ، فأطلق عليه لقب " الشيخ " و " البابا " و " الحكيم

القادم من الغرب" ، وقيل انه لما اتى الى محافظة لانغتشونغ عام ١٦٨٤ كان قد تجاوز المئة من عمره . وقد اتخذ المسلم الصيني تشي جينغ يي تلميذا له ، فلقنه نظريات القادرية الدينية . وذاعت شهرته في ارجاء المنطقة ، وتوافد اليه كثير من المسلمين الصينيين ومشاهير رجال الدين لدراسة المعارف الاسلامية . وبفضله تشكلت القادرية الاسلامية الصينية ، وبلغ عدد اتباع هذه الطريقة اكثر من ١٠٠ ألف فرد منتشرين في شمالي سيتشوان ومقاطعة شنشي وقانسو وتشينغهاي ومنطقة نينغشيا ومنطقة شينجيانغ . وعندما توفي عبد الله العربي دفن هناك . وبنى له الاهالي ذلك الضريح لتخليد ذكره وابراز اسهاماته في نشر الاسلام في الصين .

شيآن :

كان في الجامع الكبير من زقاق هواجيويه بمدينة شيآن مشرفان عربيان على شعائر الدين الاسلامي ، يدعى احدهما بدور سيد ، والآخر جمال الدين . وقد توفيا ودفنا في شيآن . ولكن موقع قبريهما ما زال لغزا حتى يومنا هذا .

شينجيانغ :

في كوتشار وآتوشي من شينجيانغ مزاران لمسلمين جاءا الى الصين للتبشير بالاسلام من آسيا الوسطى . وفي ونسو وخوتيان كذلك مزارات للمسلمين الاجانب . وقيل ان يوسف قادر خان في اسرة قلاخان قد دعا اربعة ائمة من آسيا الوسطى مع جنودهم لمساعدته في محاربة جنود سلطة خوديان البوذية . وكانت المعارك حامية ، فاستشهد هؤلاء الائمة الاربعة وجميع جنودهم في ميدان الحرب ، ودفنوا في جنوبي منطقة شينجيانغ .

دتشو :

فى قرية بيينغ التى تقع فى الضاحية الشمالية الغربية لمدينة دتشو اثر قديم شهير يلفت انظار الزوار ، الا وهو مقبرة الملك الشرقى من مملكة سولو فى اوائل القرن الخامس عشر . ويقع امام المقبرة نصب تذكارى نقشت عليه كلمة تأبينية بخط تشو دى ، الامبراطور تشنغ تسو من اسرة مينغ (١٣٦٨ — ١٦٤٤) . لقد ورد فى السجلات التاريخية الصينية ان مملكة سولو كانت امارة تدين بالدين الاسلامى وتسيطر على جزر سولو الواقعة بين جزيرة كاليماتان وجزر الفلبين . وقد اسس القائد باتوجه باحرا مملكة سولو بعد توحيد الجزر ، واعتلى العرش وتلقب بالملك الشرقى . وفى اغسطس ١٤١٧ ابحر الملك الشرقى باتوجه باحرا مع اخويه ، الملك الغربى وملك دونغ ، الى الصين فى زيارة ودية بصحبة حاشية قوامها ٣٤٠ شخصا ، بما فى ذلك اهلهم وخدمهم وحشمهم . وقد رحب بهم الامبراطور تشنغ تسو من اسرة مينغ ترحيبا حارا ، واكرم وفادتهم فى احتفال كبير ، وقدم لهم هدايا ثمينة ووهبهم ألقاب النبلاء . وبعد انتهاء زيارتهم شرعوا فى رحلة العودة من بكين الى ديارهم ، فأبحروا جنوبا عبر القناة الكبرى (قناة بكين — هانغتشو) . وعند وصولهم الى مدينة دتشو اصيب الملك الشرقى بمرض حاد مفاجئ ، ووافاه الاجل فى يوم ١٣ سبتمبر ١٤١٧ ، فدفن فى شمالى دتشو فى يوم ٣ اكتوبر ١٤١٧ . وبعد وفاة الملك الشرقى عاد ابنه الاكبر توماخان مع عميه الملك الغربى وملك دونغ الى بلاده . اما زوجة الملك الشرقى جمونين وابناه الثانى ونحارا (ون حارا) والثالث آنتولو (آن تولو) وغيرهم ، وعددهم يفوق العشرة ، فقد بقوا فى دتشو لرعاية مقبرة الملك الشرقى . وفيما بعد استقرت زوجة الملك الشرقى هناك مع ولديها حتى وفاتهم ، ثم دفنوا فى مكان قريب من مقبرة الملك الشرقى .

وفى عام ١٧٣١ جاء سلطان مملكة سولو فى زيارة رسمية الى الصين ، وتوجه الى دتشو بصفة خاصة لزيارة اجداده . وطلب منه احفاد الملك الشرقى ان يسمح لهم بالحصول على الجنسية الصينية لأن المحيط يفصلهم عن ديارهم ، فقبل سلطان سولو طلبهم ، ونقله الى ادارة حكومة اسرة تشينغ (١٦٤٤ — ١٩١١) عنداك . وقد صادقت الحكومة الصينية على ذلك الطلب ، فحصلوا على الجنسية الصينية تحت اسم اسرة "ون" و"آن" . وحتى الآن ما يزال انسال الملك الشرقى لمملكة سولو يعيشون هناك سعداء .

٥٤ — ما هى احوال الابحاث العلمية الاسلامية فى الصين اليوم ؟

انقسمت الابحاث العلمية الاسلامية فى الصين الى مرحلتين بعد تأسيس الصين الجديدة باعتبار عام ١٩٦٦ خطا فاصلا .

فى المرحلة الاولى ظهرت الى حيز الوجود الجمعية الاسلامية الصينية ومعهد الاسلام الصينى ومعهد ابحاث الاديان العالمية التابع لأكاديمية العلوم الاجتماعية الصينية وغيرها ، وتم تدريب بعض الباحثين المتخصصين فى الاسلام . وبدئ فى اصدار مجلة فصلية ، هى «المسلم الصينى» ، تنشر مقالات اسلامية . وقد نظمت عدة استقصاءات اجتماعية كبيرة النطاق لعشر قوميات مسلمة من حيث المجتمع والتاريخ والسكان والتربية والتعليم والدين والثقافة واللغة والتقاليد والعادات . وصدر عدد من الاعمال المترجمة ، وألفت كمية من المعلومات الوثائقية ، وظهر عدد من المقالات والاعمال العلمية ذات التأثير .

وفى المرحلة الثانية توقفت كل النشاطات خلال "الثورة الثقافية" الممتدة من عام ١٩٦٦ الى ١٩٧٦ . وعادت الابحاث العلمية الاسلامية فى الصين الى مجراها الطبيعى بعد عام ١٩٧٩ ، بل شهدت تطورا سريعا . ويمكن

للمرء ان يرى ذلك من النواحى التالية :

(١) انعقدت ندوات مختلفة للابحاث العلمية الاسلامية ، وتم تبادل نتائج هذه الابحاث .

فى فبراير ١٩٧٩ عقد معهد ابحاث الاديان العالمية التابع لأكاديمية العلوم الاجتماعية الصينية مؤتمرا وطنيا (مؤتمر كونمينغ) لوضع برنامج الابحاث العلمية ، اشترك فيه خبراء وعلماء ومدرسون ومسؤولون من معاهد الابحاث والمدارس العالية ودوائر الدعاية والنشر والهيئات المسؤولة عن الشؤون الدينية . وبناء على ما قرره هذا المؤتمر انعقدت فى اغسطس ١٩٧٩ فى اورومتشى بشينجيانغ ندوة حول اعمال البحث الاسلامى لخمس مقاطعات فى شمال غربى الصين . وفى الفترة ما بين ١٩٨٠ و١٩٨٦ انعقدت على التوالى فى ينتشوان ولانتشو وشينينغ وشيآن واورومتشى ندوات للابحاث العلمية الاسلامية . وبالرغم من ان هذه الندوات الخمس نظمت خصيصا لخمس مقاطعات فى شمال غربى الصين ، الا انها تميزت بصفة وطنية فى الواقع . فقد قدم العلماء والباحثون فى الاسلام والعاملون المتخصصون فى الدين الاسلامى من كل انحاء الصين اطروحات ومقالات مترجمة ومعلومات واعمالا خاصة ، بلغ عددها اكثر من ٣٥٠ ، وخلال هذه الندوات تشكل تدريجيا العمود الفقرى للباحثين فى الاسلام بالصين الحاضرة .

وفى نفس الوقت عقد معهد ابحاث الاديان العالمية التابع لأكاديمية العلوم الاجتماعية الصينية عدة ندوات للابحاث العلمية ، واقام معرضا لنتائج هذه الابحاث . ففى اغسطس ١٩٨٧ عقد المعهد فى بكين ندوة وطنية للابحاث العلمية الاسلامية ، جرت فيها تحليلات ومناقشات حول تطور الاسلام خلال الـ ٤٠ سنة بعد الحرب العالمية الثانية ونهضة الاسلام الحاضرة وتحول العالم الاسلامى واتجاه تطوره ، فصارت هذه الندوة نقطة تحول

للابحاث الاسلامية بالصين الحاضرة . وعلى هذا الاساس تأسس المركز الصيني للدراسات الاسلامية ، ومهماته الاساسية كما يلي :

أ ــ وضع برنامج للدراسات وتنظيم الدراسات المسلسلة .

ب ــ ترجمة وتقديم الوثائق والاعمال والمعلومات الاسلامية المنشورة داخل البلاد وخارجها .

ج ــ دفع التبادلات العلمية الدولية وتنظيم الزيارات المتبادلة للعلماء وتبادل المنشورات واقامة ندوات مختلفة الانواع وحضور ندوات دولية او اقليمية او ثنائية .

د ــ تقديم خدمة التدريب او الاستعلامات لمن يعزم على الدراسة الدينية من خريجي الجامعات وطلاب الدراسات العليا والعاملين المتخصصين او الهواة .

هـ ــ نشر « مراسلة المركز الصيني للدراسات الاسلامية » .

وفيما بين عامي ١٩٨٦ و١٩٨٨ انعقدت على التوالي في مدينة سوتشو وشانغهاي وتشيوانتشو ندوات لأعمال الثقافة والتاريخ الاسلامية للمناطق الساحلية في جنوب شرقي الصين ، اشترك فيها الباحثون في الاسلام من مقاطعة جيانغسو وتشجيانغ وفوجيان وبلدية شانغهاي ، وجرت فيها مناقشات حول انتشار الاسلام في هذه المناطق وتطوره وثقافته وتعليمه وطوائفه ومساجده وشخصياته البارزة .

وفضلا عن ذلك اقيمت منذ عام ١٩٨٣ خمس ندوات وطنية لمناقشة « التاريخ الموجز لقومية هوى » ، وندوتان وطنيتان اخريان حول القصائد الروائية « قوتاد غوبيليك » (حكمة السعادة والبركة) التي كتبها الحاج يوسف خاص حاجب . وفي عام ١٩٨٨ عقدت بلدية بكين ندوة لمناقشة النظريات الخاصة بالقوميات والاديان . واعتبر هذا كله جزءا او فرعا من الابحاث العلمية الاسلامية بالصين الحالية .

(٢) نشر عدد كبير من الاطروحات والمقالات المترجمة والمعلومات .

بعد عقد ندوات الابحاث العلمية الاسلامية لخمس مقاطعات فى شمال غربى الصين نشرت حتى الآن ست مجموعات من المقالات هى «مجموعة مقالات حول الاسلام فى الصين فى عهد اسرة تشينغ» و«الاسلام فى الصين» و«دراسة الاسلام فى الصين» و«مجموعة مقالات حول الاسلام فى الصين» و«دراسة الاسلام فى شمال غربى الصين» و«مجموعة مقالات حول الاسلام فى تشيوانتشو» .

اما سيرة الاسلام فى الصين فقد ظهرت من العدم الى حيز الوجود ، وتطورت . وتم تبويب كثير من الكتب والمعلومات ، مما قدم للباحثين تسهيلات كبيرة فى اعمالهم .

(٣) نشر سلسلة من الاعمال الخاصة والمترجمة والكلاسيكية .

اشتملت الاعمال الخاصة على «تاريخ الطوائف الاسلامية الصينية ونظام "منهوان"» و«مصدر نظام "منهوان"» بقلم ما تونغ و«الاحوال الموجزة للطوائف الاسلامية فى نينغشيا» بقلم ميان وى لين و«حول المساجد» بقلم يانغ يونغ تشانغ و«العمران الاسلامى فى الصين» بقلم ليو تشى بينغ و«النحت الحجرى الاسلامى بمدينة الزيتون» بقلم تشن دا شنغ وغيره و«تاريخ قومية الويغور» بقلم ليو تشى شياو و«تاريخ مملكة قلاخان» بقلم وى ليانغ تاو وما الى ذلك .

اما الاعمال المترجمة فقد تضمنت «القرآن الكريم» و«الحكمة الاسلامية» و«تاريخ العرب» التى ترجمها الاستاذ الراحل محمد مكين (ما جيان) و«تاريخ الشرق الاوسط» الذى ترجمه ياو تسى ليانغ و«فجر الاسلام» الذى ترجمه الاستاذ عبد الرحمن نا تشونغ و«تاريخ الاسلام الموجز» الذى ترجمه وو يون قوى و«العرب فى التاريخ» الذى ترجمه ما تشاو تشون ومحمد

مكين (ما جيان) و« موجز تاريخ الطوائف الاسلامية » الذى ترجمه وانغ هواى ده و« تاريخ الموسيقى الاسلامى» الذى ترجمه لانغ ينغ و« تاريخ القوانين الاسلامية » الذى ترجمه وو يون قوى وما الى ذلك .

وبالنسبة الى الكتب الاسلامية الكلاسيكية باللغة الصينية تجرى اعمال تصنيفها وتنقيحها وتنقيط جملها على قدم وساق .

٥٥ ـ ما هى الاجراءات التى اتخذتها الحكومة الصينية فى تطبيق سياستها على الاسلام فى الصين ؟

تنفذ الحكومة الصينية سياسة الحرية فى الاعتقاد الدينى ، فتحترم الاعتقاد الدينى للمسلمين من مختلف القوميات الصينية . وقد تأسست فى عام ١٩٥٣ الجمعية الاسلامية الصينية فى بكين اولا ، ومن ثم تأسست جمعيات اسلامية محلية فى سائر المقاطعات والبلديات والمناطق ذات الحكم الذاتى ، وفى المناطق والمحافظات والمدن التى يتجمع فيها المسلمون ليديروا بأنفسهم شؤونهم الداخلية الدينية دون تدخل الحكومات فيها . وحتى عام ١٩٨٧ عقدت الجمعية الاسلامية الصينية مؤتمراتها الوطنية خمس مرات ، ونشرت « القرآن الكريم » و« الحديث النبوى» وغيرهما من الكتب الدينية الاسلامية واصدرت مجلة « المسلم الصينى» باللغة الصينية واللغة الويغورية ، وألفت وطبعت ألبوما حول حياة المسلمين الصينيين ، كما نشرت كتاب « القرآن الكريم » مع الشرح والتفسير ، وجدول المقارنة بين السنة الميلادية والهجرية والقمرية الصينية والتقويم وغيرها من المنشورات لتسد حاجة المسلمين من مختلف القوميات الصينية .

وفى عام ١٩٥٥ اقيم معهد الاسلام الصينى خصيصا لتربية الائمة والملات والباحثين فى علوم الاسلام . وبعد ذلك تأسست على التوالى معاهد وفصول

للاسلام فى مختلف الاماكن لتربية الائمة وغيرهم من رجال الدين . فقد اقيمت فى البلاد ٩ معاهد اسلامية محلية حتى نهاية عام ١٩٨٩ فى كل من شنيانغ ولانتشو وتشنغتشو وبكين وتشينغهاى وشينجيانغ وكونمينغ وشاندونغ ونينغشيا . وبالنسبة للمعهد الاسلامى فى شنيانغ فقد اقامته مقاطعة لياونينغ وجيلين وهيلونغجيانغ مشتركة . اما المعهد الاسلامى فى تشنغتشو فقد اسسته مقاطعات اربع هى خنان وشاندونغ وجيانغسو وآنهوى . وفى عامى ١٩٨٢ و١٩٨٦ ارسلت الجمعية الاسلامية الصينية بمساعدة الدوائر الحكومية المعنية بعثتين من الطلاب الى مصر وليبيا للدراسة .

ومنذ عام ١٩٨٠ خصصت الحكومة الصينية مبلغا كبيرا من النقود لترميم ما خرب من المساجد والخانقاهات * والمزارات وغيرها وبناء عدد من المساجد الجديدة . الامر الذى سد حاجة المسلمين الدينية من حيث الاساس . واعتبرت كثير من المساجد والخانقاهات والمزارات اماكن اثرية هامة محمية على مستوى وطنى او محلى .

ومنذ تأسيس الصين الجديدة نظمت الجمعية الاسلامية الصينية اكثر من ٢٠ وفدا للحج الى بيت الله الحرام تحقيقا لرغبات المسلمين الصينيين فى اداء فريضة الحج ، كما سافر خلال هذه السنوات الاخيرة عشرات الآلاف من المسلمين الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج على حسابهم وبمساعدة الجمعيات الاسلامية المحلية . واخذ التبادل الودى والعلمى يتطور تطورا طبيعيا بين المسلمين الصينيين والبلدان الاسلامية فى آسيا وافريقيا ورابطة العالم الاسلامى والمؤتمر الاسلامى العالمى وجمعية الدعوة والدعاة الاسلامية الليبية وغيرها من المنظمات والهيئات الاسلامية الدولية . وقد بعثت الجمعية الاسلامية الصينية اكثر من مرة بوفودها لزيارة عشرات البلدان الاسلامية

* الخانقاه : مدرسة صوفية اسلامية .

وحضور الندوات العلمية الاسلامية الدولية بمختلف انواعها والاشتراك فى المعارض الدولية للكتب الوثائقية الاسلامية ومسابقة التلاوة والخط . وقد اختير الامام صالح آن شى وى ، نائب رئيس الجمعية الاسلامية الصينية ، عضوا تنفيذيا لمجلس التنسيق الآسيوى التابع لرابطة العالم الاسلامى .

وتحترم الحكومة الشعبية جميع الحقوق والتقاليد والعادات الخاصة بالمسلمين من مختلف القوميات الصينية . ويشترك المندوبون المسلمون فى الحكومات الشعبية ومجالس نواب الشعب والمؤتمرات الاستشارية السياسية من المستوى المركزى حتى المستويات المحلية . ومن بين خمس مناطق ذاتية الحكم على مستوى المقاطعة فى الصين اثنتان للمسلمين هما منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى ومنطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم ، وهناك ولايات ومحافظات ذاتية الحكم ونواح قومية ذاتية الحكم . ويتمتع المسلمون من مختلف القوميات بجميع الحقوق التى نص عليها دستور جمهورية الصين الشعبية . وحسب ما قررته الحكومة فان المسلمين الصينيين يأخذون العطلة فى عيد الفطر وعيد الاضحى للقيام بالصلاة والاشتراك فى الاحتفالات بالعيد . وعندما يحل هذان العيدان فان القادة من جميع المستويات اما ان يزوروا بيوت المسلمين مهنئين بالعيد واما ان يشاركوهم احتفالهم بالعيد . وفى وحدات العمل مطاعم او مواقد اسلامية لمراعاة عادة المسلمين الخاصة فى الاكل . اما الوحدة التى تفتقر الى مطعم او موقد اسلامى فتعطى موظفيها وعامليها المسلمين علاوة معينة للاكل . وبالنسبة للعلاوة اليومية يتمتع المسلمون بقدر اكثر قليلا من غيرهم .

وقد لقيت الابحاث العلمية الاسلامية اهتماما بالغا . فهناك قسم للابحاث الاسلامية فى معهد ابحاث الاديان العالمية التابع لأكاديمية العلوم الاجتماعية الصينية ، وهناك هيئات للبحث الاسلامى او مختصون بالإسلام فى وحدات

العلوم الاجتماعية المحلية . ومن بين هؤلاء المختصين علماء مسلمون وغير مسلمين ، يحترم بعضهم بعضا ويتعاونون ويدفعون جنبا الى جنب قضية الابحاث الاسلامية الى الامام . وفى السنوات العشر الاخيرة عقدت بعناية الحكومات والهيئات المسؤولة على المستويات المختلفة سلسلة من الندوات للابحاث العلمية الاسلامية على اختلاف نوعها ونطاقها . وكانت الندوات الخمس الواسعة النطاق المنعقدة فى المقاطعات الخمس بشمال غربى الصين . والندوة الوطنية التى عقدها معهد ابحاث الاديان العالمية عام ١٩٨٧ قد دفعت الابحاث العلمية الاسلامية فى الصين الى مد جديد . وخلال هذه الفترة صدرت مئات من المقالات والمقالات المترجمة والمؤلفات والاعمال المترجمة والمعلومات الوثائقية المتعلقة بالابحاث العلمية الاسلامية . وقد توسع نطاق هذه الابحاث فتضمن كل مجال يتعلق بالاسلام مثل التاريخ والفلسفة والعمران والموسيقى والتربية والتعليم واللغة والكتب الدينية وطوائف الدين وعقائده وشرائعه والقومية والتراث الثقافى من البرونز والحجر والادب والفن والعلوم والتكنولوجيا وغيرها ، فكانت هنالك اكتشافات اخيرة ونظريات جديدة فى كثير من المسائل . اما الباحثون فيزداد عددهم باطراد ، ومنهم خبراء من الشيوخ وعلماء من الكهول والشباب . وهناك عدد غير قليل من المباحث وضعتها الدولة فى عداد المباحث الهامة . وفى السنوات الاخيرة ظهرت منظمتان شعبيتان جديدتان الى حيز الوجود هما جمعية الثقافة الاسلامية ببكين التى تأسست فى ١٢ نوفمبر ١٩٨٨ ، ورئيسها دينغ تشياو ، والمركز الصينى للدراسات الاسلامية الذى بدأت الاعمال التحضيرية له فى خريف ١٩٨٧ ، وتأسس رسميا فى عام ١٩٨٩ ، ومديره الاستاذ جين يى جيو . واقامة هاتين المنظمتين تساعد على دفع قضية الابحاث العلمية الاسلامية الى الامام .

٥٦ ـ ما هى التبادلات الودية الدولية التى قامت بها الجمعية الاسلامية الصينية فى السنوات الاخيرة ؟

مع توطد العلاقات بين الصين والبلدان العربية والاسلامية زادت الاتصالات الودية وتبادل النشاطات العلمية بين الجمعية الاسلامية الصينية والبلدان الاسلامية فى آسيا وافريقيا ورابطة العالم الاسلامى والمؤتمر الاسلامى العالمى وجمعية الدعوة والدعاة الاسلامية الليبية وغيرها من المنظمات الاسلامية الدولية . وبالاضافة الى مساعدة الدوائر الحكومية المعنية فى استقبال الضيوف الكرام مثل رؤساء البلدان الاسلامية الذين زاروا الصين دعت واستقبلت الجمعية الاسلامية الصينية ٣٢ وفدا اسلاميا من اكثر من ٢٠ دولة او منطقة فى الفترة ما بين ١٩٨١ و١٩٨٧ للقيام بزيارات ودية للصين ، وقد بلغ عدد اعضاء هذه الوفود ١٢٦ عضوا . فمن ٢٩ مايو الى ١٣ يونيو ١٩٨١ زار الصين وفد رابطة العالم الاسلامى برئاسة الامام احمد صلاح الدين . ومن ٣١ مايو الى ٦ يونيو ١٩٨٢ زار الصين وفد جمعية الدعوة والدعاة الاسلامية الليبية برئاسة الدكتور محمد احمد شريف . ومن ١٠ الى ٢٠ مايو ١٩٨٢ زار الصين وفد الصداقة الاسلامى برئاسة السيد عبد الله الرحمن ، رئيس الهيئة الخيرية الاسلامية الماليزية ورئيس مجلس الدعوة والدعاة الاسلامى لجنوب شرقى آسيا والمنطقة الباسيفيكية ورئيس الوزراء السابق . ومن ٢ الى ٣ يونيو ١٩٨٣ زار الصين السيد الامين العام للمؤتمر الاسلامى العالمى وعقيلته والسيد الامين العام لفرع باكستان للمؤتمر الاسلامى العالمى . ومن ١٣ ابريل الى ١١ مايو ١٩٨٤ زار الصين وفد رابطة العالم الاسلامى برئاسة نائب الامين العام الامام محمد بن ناصر . ومن ٧ الى ١٨ اكتوبر ١٩٨٦ زار الصين وفد المؤتمر الاسلامى العالمى برئاسة رئيس المؤتمر الدكتور مألوف . . . وقد استقبل جميع هذه الوفود قادة الدولة او القادة المحليون ، ورحبت بهم جماهير المسلمين اينما

حلوا . اما وفد التلاوة المصرى ووفد التلاوة الليبى فقد زارا الصين اكثر من مرة . وفيما بين ٤ و٨ ديسمبر ١٩٨٧ عقدت رابطة العالم الاسلامى الملتقى الاسلامى للدعوة والدعاة ببكين ، مما دفع التبادلات العلمية وعزز التفاهم المتبادل والصداقة الاخوية بين المسلمين الصينيين والعرب . ومن خلال الزيارات والنشاطات المتبادلة المذكورة اعلاه عرف الضيوف الكرام بأنفسهم احوال المسلمين الصينيين من حيث الاقتصاد والثقافة والقومية والسياسة الدينية . وفى الفترة ما بين ١٩٨١ و١٩٨٧ ارسلت الجمعية الاسلامية الصينية ، تلبية للدعوات ، ٢٥ وفدا متكونا من ٧٣ عضوا للقيام بالزيارات الودية للبلدان الاسلامية فى غربى آسيا وشمالى افريقيا وجنوبى آسيا وجنوب شرقى آسيا ولحضور ندوات اسلامية دولية مثل مؤتمر علماء الدين الاسلامى الدولى عام ١٩٨١ ، والمؤتمر الاسلامى الدولى بطوكيو عام ١٩٨١ ، والدورة الـ ١٥ لملتقى الفكر الاسلامى بالجزائر عام ١٩٨١ ، والمؤتمر الثانى لجمعية الدعوة والدعاة الاسلامية الليبية عام ١٩٨٢ ، والدورة الـ ١٨ لملتقى الفكر الاسلامى بالجزائر عام ١٩٨٤ ، والدورة الوطنية التاسعة لذكرى المولد النبوى فى باكستان عام ١٩٨٥ ، وملتقى الصوفية — التجانية فى فاس بالمغرب عام ١٩٨٥ ، وملتقى المولد النبوى الدولى ومؤتمر « القرآن الكريم » الدولى الثالث المنعقدين فى اسلام اباد بباكستان عام ١٩٨٥ ، ومؤتمر جمعية الدعوة والدعاة الاسلامية الدولى الثالث فى طرابلس بليبيا عام ١٩٨٦ ، ومؤتمر خطباء الجمعة الاول فى فاس بالمغرب عام ١٩٨٧ . وقد حضر مندوبو المسلمين الصينيين مؤتمرات اخرى ، والقوا فيها خطبا ، وهى الدورة الثامنة للملتقى الاسلامى للدعوة والدعاة بالازهر فى مارس ١٩٨٨ ، ومؤتمر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية المنعقد فى المقر العام لجامعة الدول العربية بالقاهرة فى مارس ١٩٨٨ ، وندوة الشرائع الاسلامية فى مسقط بعمان فى ابريل ١٩٨٨ ، والدورة الثانية للمجلس

الاعلى للشؤون الاسلامية ببغداد فى يناير ١٩٨٩ . كما ارسلت الجمعية الاسلامية الصينية وفدا للاشتراك فى معرض الكتب الدينية الدولى فى كراتشى عام ١٩٨٣ ، وقد لقيت المعروضات الصينية من الكتب الدينية وكتب العقيدة الاسلامية المترجمة اهتماما وتقديرا . وفى ابريل ١٩٨٨ اشترك الوفد الصينى للخط العربى فى المهرجان الدولى الاول للخط العربى والزخارف الاسلامية ، ونال عضوان من الوفد ، هما تشن جين هوى ولى ون يان ، شهادتين فخريتين صادرتين عن اللجنة العليا للمهرجان .

ومن احدى مهمات الجمعية الاسلامية الصينية تأييد النضال العادل الذى تخوضه شعوب البلدان الاسلامية وصيانة السلم العالمى . فتؤيد هذه الجمعية دائما وابدا ، باعتبارها ممثلا للمسلمين الصينيين ، القضايا العادلة للبلدان العربية والاسلامية وللشعب الفلسطينى . وقد بعثت الجمعية بمندوبيها لحضور مؤتمر السلم لرجال الدين الآسيويين ومؤتمر السلم لرجال الدين العالميين . وقدمت نصيبها من الاسهامات فى صيانة السلم العالمى مع رجال الدين فى العالم ، فحظيت بثقة وصداقة المسلمين فى العالم . وفى ابريل ١٩٨٦ وتلبية لدعوة الامم المتحدة الى اعتبار عام ١٩٨٦ عام سلم دوليا قدم الاعضاء المسلمون مع غيرهم من اعضاء الاوساط الدينية الذين اشتركوا فى الدورة الرابعة للجنة الوطنية السادسة للمؤتمر الاستشارى السياسى للشعب الصينى اقتراحا لاقامة صلاة السلم . فقررت الجمعية الاسلامية الصينية فى جلسة المدراء المنعقدة فى ٧ ابريل ١٩٨٦ ان تنظم الجمعيات الاسلامية المحلية المسلمين للقيام بابتهال الى الله من اجل السلم العالمى فى آخر يوم الجمعة من شهر رمضان او عند صلاة عيد الفطر . وقد لقى هذا القرار تأييدا حارا واستجابة حماسية من مسلمى مختلف القوميات . وفى الوقت نفسه صدرت مقالات تدعو المسلمين فى انحاء البلاد لتقديم اسهامات جديدة من اجل

صيانة السلم العالمى الدائم ، كتبها الحاج برهان شهيدى ، الرئيس الشرفى للجمعية الاسلامية الصينية والحاج عبد الرحيم ما سونغ تينغ نائب رئيس الجمعية والمدير الشرفى للمعهد الاسلامى الصينى والحاج صالح آن شى وى ، نائب رئيس الجمعية ونعمان ما شيان ، نائب رئيس الجمعية . وكان هذا كله تجسيدا تاما للرغبة القوية لدى المسلمين الصينيين فى حب السلم وعزمهم على صيانة السلم العالمى .

٥٧ — ما هى الجمعية الاسلامية الصينية ؟

ان الجمعية الاسلامية الصينية منظمة دينية وطنية للمسلمين فى الصين . بدأت اعمال التحضير لتأسيسها فى يوليو ١٩٥٢ ببكين باقتراح من الشخصيات المسلمة الشهيرة مثل برهان شهيدى ونور محمد دا بو شنغ ومحمد مكين (ما جيان) وغيرهم . وتأسست هذه الجمعية رسميا فى مايو ١٩٥٣ خلال المؤتمر الاسلامى الاول للمسلمين فى الصين المنعقد فى بكين . وكان برهان شهيدى مديرا لها ونور محمد دا بو شنغ نائبا له . ومقر الجمعية فى بكين . وفى اثناء المؤتمر الاسلامى الخامس للمسلمين فى الصين المنعقد فى مارس ١٩٨٧ اختير برهان شهيدى رئيسا شرفيا لها وشن شيا شى رئيسا لها وباى شو يى وآن شى وى وما شيان وأحد عشر غيرهم نوابا له ، مع كون ما شيان امينا عاما للجمعية ايضا .

ومهمات الجمعية الاسلامية الصينية هى مساعدة الحكومة على تطبيق سياسة الحرية فى الاعتقاد الدينى ، وتطوير التقاليد الاسلامية الحميدة ، وحماية الحقوق الشرعية لرجال الدين الاسلامى والمسلمين ، وتحسين ادارة الشؤون الدينية ، وتوحيد المسلمين من مختلف القوميات لحب الوطن الام والاشتراك فى البناء الاشتراكى المادى والمعنوى ودفع قضية توحيد الوطن

وتطوير وتعزيز العلاقات الودية والتبادلات الدولية بين المسلمين فى الصين وفى البلدان الاخرى وصيانة السلم العالمى .

ومنذ تأسست الجمعية الاسلامية الصينية وهى تلعب دور الجسر بين المسلمين والحكومة الشعبية ، فنقلت رغبات المسلمين ومطالبهم الى الحكومة ، ونسقت علاقات التعاون بين المسلمين وغير المسلمين ، ودعت الى تطوير تقاليد المسلمين الحميدة المتجسدة فى حب الوطن وحب الدين والتقيد بالقوانين وتعزيز الوحدة وتحسين الشؤون الدينية والاسهام فى بناء الوطن الاشتراكى . وادت هذه الجمعية ايضا اعمالا فعالة كثيرة ، فحظيت بثقة المسلمين . وتضمنت هذه الاعمال طبع الكتب الدينية ونشرها واصدار مجلة « المسلم الصينى» واقامة معهد الاسلام الصينى وتربية رجال الدين وجمع التراث الثقافى والكتب الكلاسيكية والقيام بالابحاث العلمية واعادة فتح المساجد والجوامع وتنظيم بعثات الحج والقيام بالتبادلات الودية مع البلدان الاسلامية والمنظمات الاسلامية الدولية وتأييد الشعوب العالمية فى نضالها العادل والدفاع عن السلم العالمى وغير ذلك .

٥٨ ـ كم عدد المعاهد الاسلامية فى الصين الآن ؟

فى الصين الآن عشرة معاهد اسلامية ، تسعة منها محلية هى :

(١) المعهد الاسلامى الصينى

هذا المعهد مدرسة اسلامية عالية ، اقامته الجمعية الاسلامية الصينية ، ومهمته الرئيسية اعداد الائمة الذين يتصفون بالوطنية ويتميزون بمستوى معين من التعاليم الدينى .

تأسس هذا المعهد فى بكين عام ١٩٥٥ بناء على القرار الذى اتخذه المؤتمر الموسع لأعضاء الجمعية الاسلامية الصينية المقيمين فى بكين ،

واغلق خلال " الثورة الثقافية " (١٩٦٦ ــ ١٩٧٦) ، ثم اعيد فتحه رسميا فى نوفمبر ١٩٨٢ حسب قرار المؤتمر الاسلامى الرابع للمسلمين فى الصين المنعقد عام ١٩٨٠ .

كان الامام دا بو شنغ اول مدير له . ومديره الشرفى ما سونغ تينغ ، ومديره الحالى شن شيا شى ونائباه ما وى تشى ويانغ تسونغ شان .

وتدرس فيه الكتب الاسلامية المقدسة وعقائد الاسلام وتاريخه واللغة العربية وجميع الدروس الاساسية التى تدرس فى جامعات العلوم الاجتماعية .

(٢) المعهد الاسلامى فى شنيانغ

اقامت هذا المعهد الجمعيات الاسلامية بمقاطعة لياونينغ وجيلين وهيلونغجيانغ مشتركة فى مارس ١٩٨٣ ، ومقره فى مدينة شنيانغ بمقاطعة لياونينغ ، ومديره لى هونغ بين .

(٣) المعهد الاسلامى فى تشنغتشو

اقامته الجمعيات الاسلامية بمقاطعة خنان وشاندونغ وجيانغسو وآنهوى معا فى نوفمبر ١٩٨٥ ، ومقره فى مدينة تشنغتشو بمقاطعة خنان ، ومديره الامام قاى شى مينغ .

(٤) المعهد الاسلامى فى بكين

اقامته الجمعية الاسلامية ببكين فى ابريل ١٩٨٦ ، ومقره فى بلدية بكين ، ومديره الامام آن شى وى .

(٥) المعهد الاسلامى بمنطقة شينجيانغ الويغورية ذات الحكم الذاتى

بدأت اعمال التحضير لاقامة هذا المعهد عام ١٩٨٣ ، وتمت اقامته عام ١٩٨٧ . ومقر المعهد فى مدينة اورومتشى بمنطقة شينجيانغ ، ومديره مايمايتى سايلاى .

مدة الدراسة فيه خمس سنوات ، وشروط القبول هى ان يكون المتقدمون شبابا يتمتعون بمستوى معين من الثقافة ومستوى متوسط من المعلومات الدينية ، ويحبون الوطن والاسلام . ويقيم المعهد ايضا دورات تدريب للائمة .

(٦) المعهد الاسلامى فى لانتشو

تأسس هذا المعهد فى ديسمبر ١٩٨٤ ، ومقره فى مدينة لانتشو بمقاطعة قانسو ، ومديره ما شيويه هاى .

مدة الدراسة فيه خمس سنوات ، وتدرس فيه اللغة العربية والكتب الاسلامية الاساسية المقدسة واللغة الصينية والسياسة والتاريخ والجغرافيا .

(٧) المعهد الاسلامى فى تشينغهاى

تأسس هذا المعهد فى ابريل ١٩٨٧ ، ومقره فى مدينة شينينغ بمقاطعة تشينغهاى ، ومدة الدراسة فيه خمس سنوات .

(٨) المعهد الاسلامى فى كونمينغ

بدأت اعمال التحضير لاقامة هذا المعهد عام ١٩٨٥ ، وتأسس رسميا فى نوفمبر ١٩٨٧ ، ومقره فى مدينة كونمينغ بمقاطعة يوننان .

(٩) المعهد الاسلامى فى جينان

تأسس هذا المعهد عام ١٩٨٩ ، ومقره فى مدينة جينان بمقاطعة شاندونغ ، ومديره ليو شو شيانغ .

(١٠) المعهد الاسلامى بمنطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى

تأسس هذا المعهد عام ١٩٨٩ ، ومقره فى مدينة ينتشوان بمنطقة نينغشيا ، ومديره الحاج ليو جينغ لونغ .

مطبعة اللغات الاجنبية بكين

توزيع

الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب

٣٥ شارع تشه قونغ تشوانغ الغربى ، بكين ، الصين

ص . ب ٣٩٩ بكين — الصين

الرمز البريدى ١٠٠٠٤٤

中国穆斯林问答
秀源编
*
外文出版社出版
(中国北京百万庄路24号)
邮政编码100037
北京外文印刷厂印刷
中国国际图书贸易总公司发行
(中国北京车公庄西路35号)
北京邮政信箱第399号 邮政编码100044
1991年(32开)第一版
(阿)
ISBN 7-119-01370-X/Z·514(外)
00600
17—A—2511P

المسلمون الصينيون

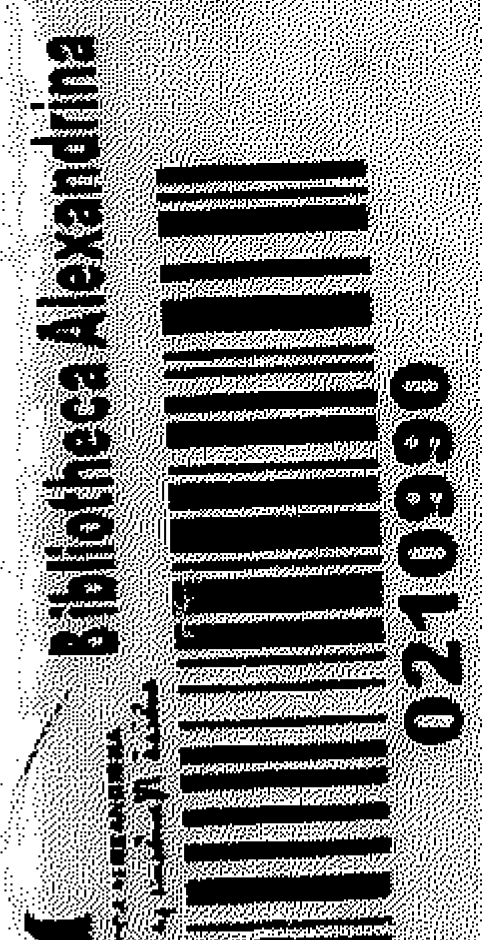
— اسئلة واجوبة —

تعريف بالكتاب

يعيش فى الصين حوالى ١٨ مليون نسمة من المسلمين، ينتشرون فى مشارق البلاد ومغاربها. كيف كانوا يعيشون فى الماضى؟ وكيف يعيشون فى الوقت الحاضر؟ وما هى عاداتهم وتقاليدهم؟ وكيف تشكلت حضارتهم العريقة الباهرة؟ وما هى ميزاتها؟ وكيف احوال حياتهم الدينية؟

لقد اجاب هذا الكتاب عن اسئلة كثيرة تهم المسلمين خارج الصين متخذا شكل اسئلة واجوبة بالاعتماد على المعلومات الوفيرة الموثوق بها، مما يساعد القراء على معرفة احوال الصين عامة واحوال المسلمين الصينيين خاصة.

والكتاب مزود بالصور والرسوم الجميلة ذا[illegible] القومية والدينية.



ISBN 7-119-01370-X
17-A-2611P